د. محمد سعيد القشاط

# أعلام من الصحراء

دار الملتقى للطباعة والنشر

**الإهداء**

- إلى أبنائي الأعزاء

أهدي هذه الصفحات من

تاريخ أجدادهم وبطولاتهم

**محمد**

الطبعة الأولى
1997



الناشر:
**دار الملتقى للطباعة والنشر**

بيروت ـ لبنان
ص.ب: 136582

ليماسول ـ قبرص
ص.ب: 6527

بسم الله الرحمن الرحيم

# تمهيد

لقدرة أرادها الله تعالى كان تراب الصحراء أول تربة مسّ جلدي ترابها. وكانت أول معارفي للدنيا في دنيا الصحراء بما احتوت من سعة في كون الله تعالى. وما احتوت عليه من أشجار وأزهار وحيوانات في درجاتها الدنيا والعليا.

كانت خيمتنا ضمن خيام أخرى كثيرة تعتبر مدرسة من مدارس الحياة. بها عرفت الخير والشر. وسمعت الشيوخ يتحدثون عن بطولات لآخرين لم أرهم. وآخرين سبقونا وسبقوهم إلى العالم الآخر. ولا يزال اللاحقون يروون بطولات لهم فذة. ومواقف لهم لا تنسى.

الصحراء كالكتاب الجيد الورق لا يبلي الدهر سطوره.

عرفت رجالاً اشتهروا بالشجاعة. وآخرين كانوا في منتهى الكرم. ورجالاً آخرين حملوا لواء العلم والدين ولواء العروبة في أصقاع الصحراء. لم ينتقلوا إليها في سيارات فارهة، ولا طائرات مرفهة، بل سيراً على الأقدام وعلى جمال تحمل الزاد الجسمي والعقلي في صناديق من الكتب والمعرفة. وفي رحلات تخترق الصحراء في شهور وأحياناً سنوات.

عرفت بعض ذلك في صغري وفي صباي واستمعت لأشعار الملحون في خيامنا تمجد البطولة والشجاعة لأبطال قارعوا الاستعمار الايطالي والفرنسي

في الشمال الافريقي. واستشهدوا في ساحات الشرف وبقيت كلماتهم الأخيرة ترن في آذان الدهر ينقلها الوالد للولد. وينقلها الكبير للصغير. يا لها من مدرسة عظيمة! هي مدرسة الشعب!

وما إن علمت من الدنيا ما ارتفع بي عن مستوى الخيمة والحي. حتى علمت بانبهار أبناء آلاف المجاهدين بالسيف والقلم يفرون دياجير الظلام في صحرائنا الكبرى. يتصدون للوثنية والبدع والخرافات وينشرون الدين الاسلامي السمح. بلا مقابل. وبلا راتب وبلا تشجيع ولا أوسمة. حسبهم الله ونعم الوكيل. وحسبهم ايمانهم الدافع الحقيقي للعمل الحقيقي. مجاهدون تصدوا للاستعمار الأوروبي في أدغال افريقيا فقهروه بأسلحتهم البدائية وإيمانهم الكبير. مصلحون أنشأوا الزوايا والمدارس لتعليم القرآن الكريم وأصول الدين الاسلامي العظيم.

معلمون نشروا اللغة العربية الفصحى في أمم لا زالت تدبجها منذ آلاف السنين.

فرسان صدق ملأوا الصحراء بأخبارهم وبطولاتهم.

سمعت ذلك عنهم. وتابعت أخبارهم في خيام الصحراء من الساقية الحمراء وموريتانيا إلى مالي والنيجر إلى تشاد وارتريا والسودان إلى مصر وليبيا وتونس والجزائر. حيث تمتد صحراؤنا الكبرى تتحدى الزمن وتتحدى الأعداء هادئة أليفة وادعة لمن خبر مجاهلها من رجالنا.

وغاضبة حاقدة مخوفة مهولة لمن جهل ثناياها وجهلته من الأعداء الزاحفين عليها.

تمتعت في خيام البدو وفي أسمارهم بالسماع لبطولات العرب المسلمين في هذه الصحراء الكبرى، ولم أشأ أن أحتفظ بهذا الاستمتاع لنفسي فرأيت أن أنقله لبقية العرب والمسلمين الذين لم تسمح ظروفهم بالإطلاع على بطولات أجداد لهم أناروا الدنيا وأصبحوا غرة في جبين الدهر. سيطلع المطلعون على هذا السفر. وسيجدون فيه أسماء لأشخاص جمعهم الهدف. وفرقهم الزمن والمواقع. فمنهم العالم المريد. والشيخ المتصوف والمجاهد

الكبير. والفارس الشهم. والأمير المحترم الذين أسسوا الامارات، والذين أسسوا المدارس. والذين أسسوا نهجاً في الجهاد من أجل الحرية.

حاولت أن أجمع أخبارهم باختصار شديد. ليس الغرض من ذلك الاتيان على أخبارهم وإنجازاتهم وأعمالهم جميعاً ولكن إلقاء الضوء البسيط على هؤلاء الجهابذة ليتمكن الدارسون والمتخصصون من متابعة بحثي هذا وإثراءه وتسليط الضوء على أبطال لنا ساهموا في اشراقة تاريخنا العربي الاسلامي. ومخافة أن يلتهمهم النسيان. جمعت أخبار مجموعات كبيرة من الرجال الذين أنجبتهم الصحراء. وذلك من أفواه الرواة ومن بطون الكتب. ومن ألسنة الشعراء ومن قصص القاصين في صحراء العرب الكبرى ومن مخطوطاتهم.

وجمعت ما وصل إليه علمي. كنماذج لهؤلاء الرجال ـ وما أكثرهم ـ، ليطلع أبناء هذا القرن وأبناء من يأتون بعدهم من أبناء قرون أخرى ـ إن أراد الله لهذه الدنيا أن تستمر لقرون أخرى ـ على رجال سطروا المجد بأقلام من قدرة الله وزالوا ولم تزل بصماتهم على جبين الدهر.

اقتصرت في جمعي هذا على أبناء الصحراء ولم أجمع لغيرهم. إن الحضر بطبيعتهم أولو ثقافة وعلم. يبحثون وينقبون في يسر ورخاء فلم أجد إلا النادر من نوابغ الحضر لم يحض بالتبجيل والتكريم والتقدير ولم تؤلف عنه المؤلفات وتصدر عنه الكتب.

أما سكان الصحراء. لمساحتها الشاسعة وبعدها عن مراكز المدن، فإن رجالها ينقل تاريخهم مشافهة وتتوارثه الأجيال دون أن يحظى بالبحث والتنقيب والدراسة.

إن رجالاً من ليبيا اجتمعت بهم لم يعرفوا أن أجدادهم جاهدوا ضد الفرنسيين في تشاد والنيجر ومالي أكثر من عشرين سنة.

وإن رجالاً اجتمعت بهم من مثقفي العرب لم يعرفوا أن قبائل التوارق. والفلان هم عرب وساهموا مساهمة فعالة في إثراء اللغة العربية ونشر الدين الاسلامي. وأن أغلب سكان الشمال الافريقي لم يعرفوا. ولم يطلعوا عن جهاد أجدادهم في الصحراء الكبرى علماً وثقافة وسيفاً وجلاداً.

لقد قمت بجمع أخبار هؤلاء الأعلام لأقدمهم لأبنائهم من أبناء هذا الجيل.

بعض هؤلاء الناس معروف لدى الكثيرين. وسيقول قائل إن هذا الرجل يوضح لنا واضح ويعرف لنا معرفة.

وبعضهم كاد أن يعفى عليه الدهر وينسى كما نسي آلاف المجاهدين والرجال الأفذاذ.

جمعت هؤلاء وهؤلاء لأقدمهم لأمتهم علها تسير على نهجهم وترفع راية للمجد بدأت تهتز، طالما رفعوها. ذائدين عنها واردين بها، حياض الموت فتكتب لهم الحياة ولراياتهم السؤدد والمجد والعلو.

جمعت هذه الثلة من الأعلام من الصحراء العربية الكبرى في تواريخ أنجبتهم مختلفة. وفي أزمنة متباعدة وفي مهام متباينة. ومع ذلك جميعهم جاهدوا من أجل علو شأن أمتهم فاكتسبوا المجد والخلود. واقتصرت في جمعي لهؤلاء الأعلام على الصحراء العربية الافريقية ولم أتطرق لشخصيات أخرى فذة نشأت وترعرعت وسطرت تاريخ أمتها في صحراء العرب بالجزيرة العربية من القسم العربي الآسيوي لأن ذلك القسم شبع دراسة وبحثاً وكتابة على مدى عصور التاريخ.

أوردت هؤلاء الأعلام لأن أكثرهم لم يكن معروفاً لدى إخوتهم العرب. ولأن وطنهم الكبير في الصحراء الافريقية العربية الكبرى لم تدرج ضمن خرائط العرب لأوطانهم لأن الاستعمار أرادها أن تكون غير عربية. وأرادها أبطال العرب أن لا تنفصم من أمة عمّرتها منذ آلاف السنين.

كتبت ما كتبت. وقدمت هذا العمل المتواضع وأرجو من الله العون والمغفرة.

**د. محمد سعيد القشاط**

طرابلس الغرب

21 يناير 1992

1

## الشيخ ابراهيم انياس

هو الشيخ الكبير والعالم الجليل ابراهيم بن عبد الله انياس الكولخي نسبة إلى بلدة (كولخ) في السنغال ينتمي نسبه إلى عقبة بن نافع الفهري عليه رضوان الله. وهو أكبر مشائخ الطريقة التيجانية في السنغال وينال من الحظوة والتقدير ما لم ينله إلا القلة من العلماء في هذا العصر.

وأسرة انياس يقول فيها أخوه الحاج محمد (نحن عرب سودتنا الأمهات) ويقول مادحهم:

أبناء انياس قد دلت شمائلهم ... بأن عنصرهم ينمي إلى العرب

ويقول آخر:

قوم لدى قرية (انتيكان) أصلهم ... من ذروة العرب من قاصٍ ومن دانٍ

والشيخ ابراهيم هو عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي.

وهو عالم فقيه قارىء مفسر نشر الإسلام في مناطق كثيرة من افريقيا وخصوصاً في نيجيريا. وله دواوين شعر مخطوطة وعدد كبير من المؤلفات في التصوف والفقه وتفسير القرآن.

تنقل في مختلف بقاع العالم يدعو للدين الاسلامي. زار ليبيا في بداية السبعينات وشاهدته في الاذاعة المرئية شيخاً مهيباً وقوراً متحمساً للإسلام وللعربية.

توفي عام 1975 عليه رحمة الله.

2

## أبو القاسم بن أحمد البصير

هو أبو القاسم بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد النبي بوسيف عالم جليل متعمق في الفقه الاسلامي فقد بصره في أخريات زمانه فلقب بالبصير.

ينتمي إلى قبيلة أولاد بوسيف القبيلة المرابطة في صحراء طرابلس، والتي تحظى باحترام وتقدير القبائل المجاورة. أسس جد القبيلة سيدي عبد النبي بوسيف زاوية أبو ماضي بالقرب من يغرف بالجبل الغربي.

وانتقل الشيخ أبو القاسم من زاوية أبي ماضي وأسس زاوية (قرزة) قرب المدينة الأثرية المشهورة (قرزة) في أراضي بني وليد.

ولتأسيس هذه الزاوية قصة يرويها العقيد بيلاردنيللي في كتابه القبلة، يقول:

«وحدث ذات ليلة ـ هكذا تقول إحدى الروايات المتواترة ـ حدث أن رأى في منامه بعض الملائكة التي أمرته ـ اطاعة للمشيئة الإلهية ـ أن ينتقل إلى قرزة ليستقر بها ويبني عليها مركزاً دينياً وزاوية.

عندما استيقظ في صباح اليوم التالي. قص على أفراد عائلته ما رآه في المنام وبعدما رفعت الخيم في رويس الطبل سار بهم نحو مقرهم الجديد.

توقف الركب على بعد 25 كيلومتراً من مقبرة قرزة الأثرية حيث وجه إلى أبنائه العبارة التالية:

ـ هنا أمرني أولياء الله الصالحون ببناء الزاوية، إلا أن الموقع لم يكن يناسب هذا الغرض حيث إنه لم يكن سوى مجرى أحد الوديان الذي ستؤدي فيضاناته إلى إلحاق أضرار بالزاوية.

لاحظ له ابنه البكر، فأجابه والده:

ـ لا تخافوا أبداً وهبط إلى وسط الوادي وسطر خطاً بعصاه ليضيف:

ـ بمشيئة الله سوف لن تتعدى المياه هذا الحد فثبت الزاوية هناك (وهي مبنى بدائي خشن ما زال قائماً حتى الآن)» انتهى كلام بيلاردنيللي.

وقد توارثت أسرة البصير زاوية قرزة والإشراف عليها إلى الآن.

## 3

## بلقاسم خيشي

هو الشيخ بلقاسم خيشي من قبيلة المحاميد العربية الشهيرة المستوطنة بمنطقة صرمان وبئر الغنم والصابرية غربي طرابلس، ولها فروع بوادي سوف بالجزائر، وبقيلي بتونس وبالمغرب وتشاد.

نَزحَت أسرته من زمن إلى منطقة (أدري) بفزان حيث ولد الشيخ بلقاسم وتعلم علوم الدين وقرأ القرآن في الزوايا القرآنية بالمنطقة ثم التحق بالجغبوب حيث واصل تعليمه.

ولما هبّ الليبيون للجهاد كان الشيخ بلقاسم ضمن المجاهدين الكبار.

فها نحن نجده عام 1915 يكلفه عابد السنوسي بقيادة المجاهدين ويستمر يطارد فلول الطليان إلى أن وصل إلى بلدة الجوش.

وفي الجوش التقى بابن عمه سوف المحمودي الذي كلفته تركيا بتحريك الجهاد وعينته نائب والي. فعينه رئيساً للمجاهدين فانضوى تحت لوائه مجاهدو قبائل الصبعان والحرارات. والقديرات والسبعة والغنائمة وغيرهم.

ولما كان الايطاليون يمدون نفوذهم عن طريق الخونه. وإن سلطان بن

شعبان أعلن انضمام مدينة زواره للطليان عام 1916 وأيدته قبائل النوائل. قام الشيخ بلقاسم خيشي بمهاجمة النوائل (بطويل الرشادة) (الخوي الأبيض) جنوب العسه بحوالى خمسة كيلومترات.

وهناك في المعركة سقط الشيخ بلقاسم خيشي شهيداً مع ابن أخته والشيخ علي الخنجاري مع ابن أخيه. والشيخ مفتاح الحراري. والمهدي كنيفو.

وهكذا انتهت حياة بطل من أبطال الجهاد في الصحراء بفضل دسائس المستعمر وأعوانه عليه رحمة الله.

## 4

## أبو بكر غرس الله

هو أبو بكر بن محمد بن غرس الله المرزوقي من قبيلة المرازيق المشهورة ببطولاتها في صحراء الجنوب التونسي. ولد أبو بكر حوالى 1892. وتربى تربية صحراوية معتمدة على الفروسية على ظهور الجمال وصيد الوحوش.

ولما هاجمت ايطاليا ليبيا عام 1911 واندلاع الثورة في شمال افريقيا مع بداية الحرب العالمية الأولى. تسلل أبو بكر مع مجموعة من أبناء عمومته والتحق بالثورة في ليبيا. وساهم في الجهاد. واشترك في عدة معارك، ولما فشلت الثورة في الجنوب التونسي عاد أبو بكر إلى تونس فقبض عليه الفرنسيون وحققوا معه وأطلقوا سبيله. ففر من جديد ملتحقاً بالجهاد في ليبيا واشترك في معارك 1922 و1923 ثم توجه إلى مناطق فزان حيث لاقى صنوف التعب والجوع والعري.

ولما انتهت المقاومة الليبية ضد الطليان وسيطر الايطاليون على كل التراب الليبي عام 1930 وأعلن الايطاليون العفو العام. فقدم نفسه للطليان وجندوه

في عساكرهم ولكنهم اكتشفوا أنه أحد المجاهدين السابقين فحققوا معه وأوقفوه فهرب إلى تونس وغير اسمه إلى اسم (ابن قطنش) وأصبح يشتغل في مواقع عمل متفرقة. ولكن البوليس الفرنسي تفطن له وبدأ يطارده. وكان في كل مرة يطلق عليهم النار ويفر.

وبمساعدة أحد أفراد قبيلته تحصل على عفو من السلطات التونسية (الباي) عام 1932 فرجع إلى المرازيق مسقط رأسه. فاشتغل بالتجارة.

ولكنه انتفض للثورة مرة أخرى في أثناء الحرب العالمية الثانية غير أنه لم يستطع الإقامة طويلاً في الجبال لمرض ألّم به في رجليه فتم القبض عليه وسجن ونقل إلى المستشفى للعلاج ولكنه هرب من المستشفى ودخل البلاد متنكراً تحت اسم (العربي بن علي المؤدب) ولكن السلطات الفرنسية طاردته وقبضت عليه وأعادته للسجن وقدم للمحاكمة، ولكن المحكمة برأت ساحته. فعاد إلى مسقط رأسه وقد ضعفت حركته لكبر سنه. وبقي هناك إلى أن توفي عليه رحمة الله عام 1967.

وكان محمد بن غرس الله من كبار الشعراء الشعبيين وسجل الكثير من مواقف جهاده بالشعر الشعبي.

## 5

## أبو بكر بن عمر اللمتوني

هو أخ يحيى بن عمر زعيم لمتونة. ومن المؤيدين لحركة الشيخ عبد الله بن ياسين الاصلاحية. فقدمه هذا الأخير للإمامة بعد وفاة أخيه. وأصبح قائداً لجهاد المرابطين. واندفع شمالاً بقواته حتى وصل إلى درعة وسجلماة وأغمات عاصمة جبال الأطلسي.

ولما ضجّ المواطنون من كثرة الجيش المرابطي وخيله وإبله. رأى أبو بكر بن عمر أن يخطط للمرابطين بناء عاصمة في الصحراء بعيدة عن العمران والمدن يستطيعون منها الانطلاق للجهاد والانطلاق لمرعى حيواناتهم. وكان الموقع مدينة (مراكش) ومعناها بالتارقية (مر ـ اكش) أي مر وكل يعني بلاد الخير.

وتزوج أبو بكر زينب النفزاوية وهي سيدة ذات عقل وجمال.

ولما استتب له الحال سمع بخلاف دبّ بين كدالة ولمتونة. فرجع إلى هناك وترك ابن عمه يوسف بن تاشفين نائباً عنه في المغرب. وطلق زوجته زينب لأنها لا تستطيع السير الطويل على ظهور الجمال ولا تتحمل ضنك الصحراء. وطلب من ابن عمه أن يتزوجها ففعل.

عاد أبو بكر إلى الصحراء وأصلح ذات البين بين قبائل لمتونة وكدالة. ورجع إلى الشمال حيث التقى بابن عمه يوسف خارج مراكش فجلس معه وأوصاه وفوضه في الحكم ورجع إلى الصحراء مندفعاً مجاهداً في سبيل الله فأسقط مملكة غانا واستولى على عاصمتها (كومبي صالح). ومضى يقاتل الوثنيين الافريقيين إلى أن قتل في إحدى هذه المعارك عليه رحمة الله عام 468هـ.

## 6

## أبو بكر قرزة

هو أبو بكر بن أحمد بن أبي بكر البصير من قبيلة أولاد أبو سيف؟

اشتهر باسم قرزة على اسم الزاوية التي أسسها جده في وادي (قرزة).

تعلم القرآن وعلوم الدين في الزاوية ولما شب عن الطوق تزعم قبائل أولاد بوسيف بعد استشهاد محمد بن عبد الله. وقاد معارك الجهاد في منطقته.

ولما عقد المجاهدون صلح سواني بن يادم في مناطق طرابلس 1919 رفض أولاد بوسيف الحضور لهذا الصلح.

كما أنهم رفضوا الحضور لمؤتمر غريان الذي عُقد عام 1920 لرأب الصدع وتنظيم رئاسة الجهاد في المؤتمر الوطني بغريان الذي انبثقت عنه (هيئة الاصلاح المركزية) لما نشبت المعارك من جديد 1922. هبّ أولاد بوسيف بقيادة زعيمهم سي أبو بكر قرزة للدفاع عن الوطن.

وانتقلوا جميعاً إلى فزان حيث كانت الفتنة في أوجها بين عبد النبي بن خير وعائلة سيف النصر من جهة. وبين خليفة الزاوي من جهة أخرى. فتدخل الشيخ أبو بكر قرزة في الصلح وأوقف الحرب ولكنه فاجأته المنيّة فدفن بين القوات المتحاربة عليه رحمة الله. وأوقف الحرب من أجله ثلاثة أيام وكان عمره قد تجاوز السبعين في عام 1926م.

## 7

## أحمد بن ابراهيم

أمير من أمراء العرب المسلمين في شرقي افريقيا عُرف في التاريخ باسم الامام. والغازي، أسس أسرة حاكمة في منطقة (عَدَل) الاسلامية. حيث تفجرت الحروب بينها وبين مملكة الحبشة المسيحية.

ويقول ممتاز العارف:

«.. وسرعان ما حشد المسلمون الجيوش التى ضمت الكثير من المتطوعين من قبائل الدناقلة وعفر وساهو والصوماليين باسم الجهاد».

ويقول:

«.. وانطلقت هذه القوات المجاهدة من معقلها الرئيسي في مدينة هرار

بقيادة أمير البلاد الإمام أحمد بن ابراهيم الملقب بالغازي. كان الهدف الرئيسي للحملة هو إحراز نصر كاسح يشمل الحبشة بأسرها. إذ كانت يومئذ في أشد حالات اضطرابها ووهنها بسبب تزايد الاضطرابات القبلية في الداخل وتصاعد غارات المسلمين من الخارج، فهزم الامبراطور لينبادنقل سنة 1529 وأخذ يتنقل من ملجأ لآخر وقوات الغازي تطارده وتضيق عليه الخناق. واستمرت بزحفها حتى سقطت بيدها (داوارو) واقليم شواسنة 1531 ثم تداعت بعدها أقاليم (امهارا) و (لاسنا) سنة 1533 وبالفترة نفسها استسلمت (يالي) و (هديه) و (غوارج) و (سيدامو) في الجنوب..».

وهكذا بدأت الامارات الحبشية تسقط أمام زحف العرب المسلمين طيلة الأعوام 1533 ـ 1534.

ولكن الأحباش أعادوا الكرة بمساعدة البرتغال والكنيسة المسيحية واستطاعت أن ترد بعض الامارات من الإمام أحمد وتخوض معه معارك شرسة سقط في إحداها شهيداً في معركة بالقرب من بحيرة(تانا) عام 1542 وبذلك تخلص الأحباش من عدو شرس يعتبرونه أكبر أعدائهم ولا زالوا يدرسون أولادهم في التاريخ حتى اليوم معارك أحمد بن ابراهيم أو كما يسمونه (أحمد غران).

واجتمع المسلمون من بعد استشهاد أحمد وانتخبوا الأمير نور بن الوزيد مجاهد وهو ابن أخت أحمد أميراً عليهم عام 1551. وبدأ ينظم صفوفهم وخاض ضد الأحباش معارك ومناوشات استطاع في إحدى هذه المعارك من قتل الملك غنوديوس عام 1559م وحمل رأسه إلى أرملة خاله تعبيراً عن الثأر لخاله الامام أحمد.

وقد توفي الأمير نور عام 1567م وخلفه في قيادة الامارة خادمه عثمان الذي استشهد في معركة مع الأحباش عام 1577.

وقد نقل الإمام محمد ابن الامام أحمد الامارة من هرار إلى واحة (عوسه) في صحراء الدناقل تاركاً مدينة هرر لأخيه الذي لقب بالوزير عام 1577.

ولكن الامامة استمرت في معارك إلى أن قتل الامام محمد عام 1583 وبذلك قضي على أقوى الأسر العربية الاسلامية التي حكمت منطقة هرار وصحراء الحبشة.

## 8

## أحمد آمود

شريف عربي ينتمي نسبه لعلي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء يتولى سلطنة آزقر التارقية إحدى سلطنات التوارق يقيم ببلدة جانت التي تقع حالياً في أقصى جنوب شرق الجزائر غربي مدينة غات. ويملك معظم بساتينها. وقد كانت جانت تتبع غات ضمن الأراضي الليبية ولكن في عام 1908 هاجم الفرنسيون القرية واستولوا عليها فهاجر السلطان أحمد آمود إلى غات حيث بدأ ينظم صفوف المجاهدين لحرب الفرنسيين.

وفي عام 1916 تكوّنت محلة من المجاهدين في اطار مهاجمة الفرنسيين في الصحراء الكبرى. وتجمعوا في مدينة غات حيث انطلقوا منها نحو جانت فاستولوا عليها وأسروا 440 جندياً سنغالياً من المجندين مع فرنسا وكذلك بعض الضباط الفرنسيين الذين حُملوا إلى (القفرة) حيث سجنوا هناك وقد كان السلطان إحمد آمود من ضمن قادة المجاهدين المهاجمين لجانت.

كما قتلت هذه المحلة المبشر الفرنسي (دي فوكو) وهو جاسوس فرنسي مكلف بنشر الثقافة الفرنسية والدين المسيحي بين المواطنين.

واتخذ المجاهدون قرية جانت مركزاً لتمويل المجاهدين المنطلقين لتحرير مالي والنيجر وتشاد. وبعد فشل الثورة العربية الاسلامية التي كانت تقصد تحرير منطقة الصحراء. وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1918 انسحب الشريف أحمد آمود إلى غات. وشارك مع المجاهدين في حرب الطليان. إذ

كان يقود محلة من المجاهدين وصلت إلى غذامس، وسيناون ويهاجم وادي الثلث غربي نالوت في عام 1923 ثم انسحب جنوباً حيث استقر بمنطقة الوادي وادي لآجال[1] (وادي الحياة).

وفي عام 1928 وقبل وصول الطليان للمنطقة توفي السلطان أحمد آمود مريضاً ودفن بالقرب من أوباري عليه رحمة الله.

ويقول بعض من لقيتهم من المنطقة إن أحمد آمود طلب من الله أن لا يرى الطليان فحقق الله دعوته وتوفى قبل وصولهم بعدة أيام.

9

## أحمد الباسل

هو أحمد باشا بن محمود بن محمد الباسل من قبيلة الجوازي الليبية التي هاجرت إلى مصر أيام الحكم القره مانلي بعد معارك طاحنة مع السلطة.

ولد عام 1871 بمصر وتعلم بها واتقن الانجليزية والفرنسية وقد نشأ نشأة بدوية وتعلم الفروسية وقرض الشعر وله أزجال شعبية وسمي عمدة لقبيلة (الرماح) بقرب الفيوم. وله بالفيوم مزارع وعزبة.

كما جعل من أعضاء الجمعية التشريعية واشترك مع سعد زغلول في نهضته. ونُفي معه إلى مالطة.

ويقول الزركلي في الأعلام:

«وكان محافظاً على الزي المغربي. وألف كتاباً سماه (نهج البداوة)».

وعندما هاجر المجاهدون الليبيون إلى مصر فراراً من بطش الطليان، استقبلهم أحمد الباسل وأكرم وفادتهم وآواهم وحفظهم من الضياع وأحسن

على الفقراء منهم وللشاعر أحمد بن دلة قصائد مدح في أحمد الباسل. وكذلك لسوف المحمودي قصيدة مدح يستنجد به لمساعدة أحمد بن دلة الذي لم يستطع الشيخ سوف مساعدته وتوفي أحمد الباسل بالقاهرة ودفن بالفيوم 1940 عليه رحمة الله.

10

## أحمد البكاي بن محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي

ولد الشيخ أحمد البكاي بتينبكتو ونشأ بها وبها تعلم علوم الدين وحفظ القرآن على يد والده محمد فهو من بيت علم وورع وتقوى.

وقبيلته كنتة من أهم القبائل العربية في الصحراء الكبرى كثرة عدد ومنعة وتقوى وعلم وحفاظاً على الدين. ويرجع نسبها إلى الفاتح عقبة بن نافع الفهري وأحمد البكاي هو شيخ الطريقة القادرية في الصحراء، وهذه الطريقة التي مع الأسف مالأت الاستعمار ووقفت إلى جانبه في الجزائر وفي الصحراء. وقد كانت رسائل الشيخ أحمد جوازات سفر لجواسيس النصارى في الصحراء يوصي فيها أتباعه بعدم التعرّض لهم ووجوب مساعدتهم.

فعل ذلك مع الرحالة بارتي وغيره.

وقد قاد الشيخ أحمد البكاي جموع القادريين لمحاربة الحاج عمر تال الفولاتي الذي كان يقود جموع التيجانيين واستولى على بلدة (الحمد لله) عاصمة ماسنا. وقد استطاع أحمد البكاي أن يشتت جيش الحاج عمر ويقتله في المعركة 1864م.

والشيخ أحمد البكاي وريث محضرة الأسرة تلك المحضرة التي تضم آلاف

طالبي العلم وحفظة القرآن من مختلف مناطق الصحراء كما أن أحمد البكاي قائد كنته في حروبها مع القبائل المجاورة أمثال ادو الحاج، والأنصار. كما أنه لسان كنتة الذي يرد عليها هجاء الهجائيين وقول الشعراء.

وقد عثرنا له على قصيدة يرد فيها على الأنصار ويهجوهم وكذلك ادو الحاج.

يقول أحمد البكاي مجيباً الشاعر أحمد سالم في قصيدته التي يهجو فيها كنته.

يقول أحمد البكاي:

طرقت نفيسة والدجى لم يبخل ... وسنان من طول السرى في الهوجل
باتت يمثلها لعيني طيفها ... فأرقت لا للعارض المتهلل
غيداء كنتاوية أموية ... قرشية ومن الطراز الأول
لا من يعيش ولادو لحاجية ... عجماء لم تنبل ولم تتنبل
لكن من الكنتي ينميها أبٌ ... فأب إلى عدنان غير مضلل
ذمٌّ على من يبتغيه وصالها ... بالقرب كانت أم بأرض الموصل
فخر الفتى في وصلها لو ناله ... لكن لغرة وصلها لم توصل
أنى اهتدت وأبو جبيهة دونها ... والفيف من قيرٍ ومن أنفلفل
ما همت لولاها نجود قبلها ... إحدى بني الكنتي لا إحدى بلى
فأهيم منها في هواي بهولة ... جملاء في أنف الشباب الأجمل
خرعوبة رعبوبة بهنانة ... وهنانة نفج الحقيبة عيطل

وبعد أن يصف محبوبته يخلص لوصف الناقة التي يريد الوصول عليها للمحبوبة:

ما قرب الأحباب والحاجات ما ... بعدت ـ بإذن الله ـ مثل البزّل
يا حسن مسراها على قولي لها ... يا ناقة اخدي بي خدي بي فارقلي
حتى تجيء إلى نفسية إنها ... أملي وجمع هواي عند تأملي
فهناك أحمد ما حمدت من السرى ... ويريح من رحلي مطاك ومرحلي

ثم يرجع لوصف المحبوبة ثم يتحول إلى هجاء أحمد سالم الذي يشدّ ازاره عن محبوبته استعداداً للحرب فيقول:

| | |
|---|---|
| إن أمرأ ينسى الهوى ينسى الوغى | شُغلا بهمّي مشربٍ أو مأكل |
| عقد المآزر للحروب يشدها | دون النساء فدهرها لم تحلل |
| هلا يشد ازاره عن أكلة | أو شربة في دركها لا يأتلي |
| هو للمحبوب وللطعام بمنزل | وعن الحبائي والوصال بمعزل |
| شد المآزر في الحروب عن النسا | من حاجة النكس الضعيف الزمّل |

ثم ينتقل إلى وصف المعارك مع قبيلة محمد سالم وغيرها من القبائل. والقصيدة في 414 بيتاً. وفي عام 1865 توفي الشيخ أحمد البكاي بتينبكتو. وقد خلف مجموعة من الكتب مخطوطة منها كتاب (السراج المنير في دياجي البدع في الدهور).

ويقول الأستاذ كادي درامي في مخطوطة:

«كان أحمد البكاي من هؤلاء الطماحين للرياسة والدنيا. ولم يكن مثل أسلافه المتصوفين بل كان بعيداً من وعن هذا الزهد والتصوف. وكان له المغنون و المطبلون مثل ملوك امبراطورية غانة قبل الإسلام».

11

## أحمد التنجوري

لم نعثر على اسم أبيه وتسلسل أسماء أجداده وإنما هو من قبيلة التنجور العربية التي زحفت من تونس باتجاه الجنوب مخترقة برنو ووداي حتى وصلت إلى منطقة (دارفور) وهنا كان يحكمها ملكاً وثنياً فوجد في أحمد هذا ضالته وذلك لعلمه وثقافته وتحضره فعينه مشرفاً على قصره فاستطاع أن يخمد

الثورات التي قامت ضد الملك. وأن يوزع الأراضي على الفقراء وأن ينشر العدل بين الرعية فزوجه الملك ابنته.

ولما لم يكن لهذا الملك وريث عرش عهد بالملك لأحمد من بعده. وقد رزق أحمد بابن أسماه سليمان اجتمع أهل الحل والربط بعد وفاة والده وجده وعينوه ملكاً على دارفور وأصبح الملك العربي على دارفور عام 1445م. وكون أسرة حاكمة في دارفور التي أصبحت مسلمة انتهى آخر ملوكها (علي بن دينار) عام 1916 وقد كانت عاصمة دارفور مدينة (طرة) وقد نقلها أفراد هذه الأسرة إلى (الفاشر) حيث لا تزال الفاشر عاصمة الاقليم حتى هذا التاريخ.

وتقع منطقة دارفور بين تشاد والسودان وليبيا وقد خاضت هذه المملكة حروباً ضد مملكة وداي والفونج.

ولا تزال قبائل التنجور العربية تسيطر على المنطقة حتى الآن.

12

## أحمد الشريف السنوسي

هو أحمد بن الشريف بن محمد بن علي السنوسي ينتمي نسبة إلى بني الخطاب ببلدة مستغانم بالجزائر.

ولد بالجغبوب ليلة الأربعاء 27 من شوال سنة 1290هـ 1873م. تلقى تعليمه على يد أساتذة أفذاذ نبغوا في العلم والدين والفقه واللغة في مدرسة الجغبوب. ولما بلغ أشده رحل مع عمه المهدي السنوسي إلى شمال تشاد إلى بلدة (قرو). وذلك للإشراف على الجهاد ضد الفرنسيين في تشاد ولما توفي المهدي عام 1902 بقرو تولى أحمد الشريف الإشراف على الزوايا وعلى الجهاد وقيادة الحركة فقام بها خير قيام.

ولما هاجم الايطاليون ليبيا رجع أحمد الشريف إلى القفرة ليتولى أمر الجهاد ضد الطليان فنظم صفوف المجاهدين وشرع في القتال ولما قامت الحرب العالمية الأولى أرسلت تركيا إلى الشيخ أحمد الشريف مجموعة من الضباط الأتراك وكذلك الشيخ سليمان الباروني لتحريضه على مهاجمة الانجليز في مصر. فلم يوافق على ذلك لأن المجاهدين الليبيين يقاتلون الطليان والفرنسيين ولم تبق لهم سوقاً مفتوحة لشراء بضائعهم إلا مصر.

ولكنه وافق أخيراً مرغماً. وهاجم مصر واستولى على واحات سيوه ووصلت قوات المجاهدين إلى (الحمام) قرب الاسكندرية وأسروا مجموعات من الانجليز وكان ذلك في الفترة التي يتقدم فيها الجيش التركي من لبنان وفلسطين باتجاه مصر ولكن القوات الانجليزية تغلبت على المجاهدين الليبيين ودحرتهم إلى ماوراء الحدود.

وقد استطاع الانجليز والايطاليون الاتفاق مع ابن عمه ادريس السنوسي ليعترفوا به ممثلاً للحركة السنوسية. وقام هذا الأخير بتضييق الخناق على الشيخ أحمد الشريف الذي توجه من الجغبوب إلى الجفرة في حالة يرثى لها من الجوع والعري وقلة المركوب وقلة السلاح والزاد.

وفي الجفرة أرسل له رمضان السويحلي يهدده ويمنع عنه المدد من مصراتة.

ووصل أحمد الشريف إلى سرت ومنها سافر إلى اسطامبول في غواصة المانية في 3 اكتوبر 1917، وتولى في العاصمة التركية تقليد السلطان محمد السادس السيف يوم ارتقائه العرش وأنعم عليه برتبة الوزارة. وقامت حركة مصطفى كمال أتاتورك فوالاها وأقام بمرسين فاتهم بالاتصال ببعض (آل عثمان) بعد زوال دولتهم فأخرجوه من تركيا إلى دمشق ولكن الفرنسيين أعداؤه بالأمس رفضوا دخوله سوريا فسافر إلى المدينة المنورة، حيث أكرمه الملك عبد العزيز بن سعود فأقام في ضيافته إلى أن توفى علية رحمة الله يوم الجمعة 14 من ذي القعدة سنة 1351هـ ـ 1932م ودفن بالبقيع.

قال عنه الأمير شكيب أرسلان:

«حبر جليل، وسيد غطريف، وأستاذ كبير، من أنبل الناس جلالة قدر وسراوة حال، ورجاحة عقل، وكان على علم غزير. صنف في أوقات فراغه عدة كتب منها (الأنوار القدسية ـ ط) وكتاب (الفيوضات الربانية في الطريقة السنوسية ـ ط) وكتاب في (تراجم مشائخه ومشاهير من اجتمع بهم من أهل الغرب) وكتاب (الدر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من جغبوب إلى التاج ـ خ).

13

## أحمد المريض

هو أحمد المريض زعيم قبائل ترهونة ومن أسرة تتوارث مشيخة هذه القبائل.

لم يكن له دور مميز عند بداية الغزو الايطالي. وإنما جاهد ضمن المجاهدين ثم رجع إلى ترهونة.

وعند انسحاب الطليان من الدواخل أخذت معها مجموعة من زعامات الدواخل ومنها أحمد المريض كأسرى حرب.

وفي عام 1916 وقع استبداله مع الطليان ضمن الأسرى الليبيين الذين استبدلوا بالأسرى الطليان.

وفي عام 1918 كان أحمد المريض أحد أعضاء الجمهورية الطرابلسية الأربعة.

وعندما نجحت ايطاليا في تفريق كلمة المجاهدين، وبث الفرقة بينهم. ووصل الحال إلى شهر السلاح في وجوه بعضهم البعض وقف أحمد المريض يتولى مسؤولية جمع الشمل في مؤتمر غريان اغسطس 1920 حيث اتفق الجميع على اختياره رئيساً (لهيئة الاصلاح المركزية).

وأشرف على معارك الجهاد في سنوات 1922 ـ 1923.

ولكن لما رأى أن الشرك اتسع على الراقع. هاجر إلى مصر عام 1924 ضمن مجموعات كبيرة من المجاهدين قاسوا أصناف المتاعب من الجوع والعطش وقلة الزاد ووسائل النقل.

وفي مصر وافاه الأجل المحتوم عام 1940 عن عمر يناهز السبعين عاماً عليه رحمة الله.

14

## الشيخ أحمد الهيبة
## السلطان الأخضر

هو أحمد الهيبة بن ماء العينين بن محمد فاضل ولد عام 1294هـ ـ 1877م بمنطقة (الحوض) بشرق موريتانيا. وانتقل مع والده إلى منطقة الساقية الحمراء حيث درس في محضرة والده وحفظ القرآن الكريم وعلوم الدين وكان يساعد والده في ادارة الزاوية بمدينة (السمارة) حيث مسجدهم وزاويتهم. وعندما هاجمت القوات الفرنسية موريتانيا وقف أحمد الهيبة يقود المجاهدين تحت زعامة والده إلى أن توفي عليه رحمة الله. فتسلم راية الجهاد.

ولما علم أن سلطان المغرب عبد الحفيظ قد وقع وثيقة الحماية مع الفرنسيين اجتمع مع سكان الجنوب المغربي، والساقية الحمراء. وشمال موريتانيا، وجنوب غرب الجزائر، وأجمع علماء المنطقة على وجوب خلع السلطان عبد الحفيظ وتنصيب أحمد الهيبة في رجب 1330هـ/ ابريل 1914 فأجمعت القبائل على مبايعته وزحف بهم شمالاً حيث استولى على مراكش في رمضان 1330هـ على رضى من أهلها. ودانت له قبائل جنوب المغرب

وتطوعت للجهاد تحت رايته لمقاتلة الفرنسيين الذين كانوا يساعدون السلطان عبد الحفيظ.

فتكون جيش فرنسي مغربي وانطلق من الدار البيضاء باتجاه مراكش واصطدم بجيش أحمد الهيبة. وكان النصر حليف المجاهدين وحطموا الجيش الزاحف.

وكون الفرنسيون جيشاً آخر منطلقاً من الدار البيضاء مركز الاحتلال. واستطاع هذا الجيش أن يهزم قوات المجاهدين بقيادة أحمد الهيبة ففر أحمد إلى منطقة (تارودانت) فتتبعه الجيش الفرنسي ففر إلى منطقة (تامكر) من جبال (هشتوكه) فلاحقه الجيش الفرنسي فتحصن في منطقة (جبال جزولة) وتطوع لمناصرته قبائل الجنوب المغربي (آيت باعمران) و (الاخصاص) إلى منطقة تيندوف بجنوب غرب الجزائر.

ولما لاحقه جيش الاحتلال استطاع أحمد الهيبة أن يهزمهم ويشتت شملهم. وبهذا الانتصار استرد أنفاسه وأعاد تنظيم المجاهدين الذين رفع هذا الانتصار معنوياتهم ولكن فرنسا هذه المرة جهزت له جيشاً كبيراً من المغرب والجزائر والسنغال ومالي بقيادة الجنرال (غورو). وتجمعت القوات في (تيزنيت) ونواحيها وبدأت صداماتها مع المجاهدين وكانت الحرب سجالاً بين الفريقين وفي أثناء المعارك مرض الشيخ أحمد الهيبة وتوفي رحمه الله في بلدة (كردوس) في جنوب المغرب عام 1337هـ الموافق 1919م بعد أن صمد في الدفاع عن الوطن والدين مترفعاً بنفسه عن كل المؤامرات الدنيئة التي لعبها معه الفرنسيون من أطماعه بالمال إلى أطماعه بالسلطة وأن يكون خليفة لمولاي يوسف على كل بلاد السوس. فأبى ذلك بعناد. وقاتل بشجاعة نادرة وايمان قوي لا يتزعزع. وقد أسماه المغاربة السلطان الأخضر وذلك لسمرة سحنته. وقد بقي سلطاناً للمغرب لعدة أشهر.

15

# أحمد بابا التينبكتي

هو أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت. ويرجع نسبه إلى القبيلة العربية الصحراوية صنهاجة.

ولد وترعرع في تينبكتو وكان والده يتولى القضاء بها وكذلك جده.

تلقى تعليمه الأولى على يد والده وعمه أبي بكر أقيت وغيرهما من مشائخ العلم في منطقة تينبكتو.

ونشأ كما ينشأ أقرانه من هم في وضعه وظروفه الاجتماعية. يتعلم العلم ويعلمه للآخرين في محاضر تينبكتو عاصمة الصحراء الكبرى الثقافية ولما غزا منصور الذهبي تينبكتو، وأرسل قائده المسيحي جودر باشا إلى هناك، تم القبض على كثير من العلماء العرب الصحراويين واستيقوا مصفدين في الأغلال من تينبكتو إلى مراكش على ظهور الإبل. وقد سقط أحمد بابا من على ظهر الجمل الذي يمتطيه فكسرت رجله.

ولما وصل إلى مراكش أودع السجن مع أفراد أسرته وغيرهم من العلماء. وبقي بالسجن عامين كاملين من أول رمضان 1002هـ، حتى الأحد الحادي عشر من رمضان 1004هـ، ثم فرضت عليه الإقامة الجبرية بمراكش.

ويقول إن هذه المحنة أضاعت له 1600 مجلداً.

وفي عام 1014 أطلق سراح أحمد بابا ومن معه من العلماء. ورجعوا إلى تينبكتو وقد بقي أحمد بابا بعد رجوعه إلى تينبكتو عشرين سنة يعلم الناس ويحبر الكتب.

وقد وافاه الأجل المحتوم يوم الخميس السادس من شعبان سنة 1036هـ ـ 1626م عن عمر يناهز الستين عاماً. عليه رحمة الله.

وقد ترك مجموعة كبيرة من المؤلفات لا زال أغلبها مخطوطاً أهمها:

1 ـ المقصد في الشرح على مختصر خليل.

2 ـ حاشية من الجليل على مهمات تحرير الشيخ خليل.

3 ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج.

4 ـ كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج.

5 ـ النكت الوفية بشرح الألفية.

6 ـ التحديث والتأنيس في الاجتماع بابن ادريس.

7 ـ اختصار شرح المقدمة الصغرى.

8 ـ نبيه الواقف على تحرير نية الحالف.

9 ـ جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الظلمة أولى الظلمة.

10 ـ ترتيب جامع المعيار للونشريسي.

11 ـ نيل الأمل في تفضيل النية على العمل.

12 ـ اللآلي السندسية. مختصر عن المواهب القدسية لمحمد الملالي.

13 ـ غاية الأمل في تفضيل النية على العمل.

14 ـ غاية الإجادة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة.

15 ـ تعليق على مواضع من خليل ومواضع من ابن الحاجب.

16 ـ مسائل متضمنة فنوناً في صورة أسئلة.

17 ـ فتح المحيي في مسألة حي.

18 ـ المسك الأنم إلى معرفة هلم.

19 ـ منور الحالك في شرح بيتي ابن مالك.

20 ـ المطلب والمرب في أعظم أسماء الرب.

21 ـ جزء في تكفير الكبائر بالأعمال الصالحة.

22 ــ نشر العبر.

23 ــ خمائل الزهر.

24 ــ الدر النضر.

25 ــ رسائل نثرية مودعة في المكتبة الجزائرية.

26 ــ فوائد النكاح على مختصر كتاب الوشاح للسيوطي.

27 ــ معراج الصعود.

28 ــ استطراد الظرفاء.

29 ــ تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء.

30 ــ مرآة التعريف بفضل العلم الشريف.

وقد تولت كلية الدعوة الاسلامية مشكورة في الجماهيرية بنشر كتاب أحمد بابا (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) وحققه وعلق عليه الأستاذ الباحث عبد الحميد الهرامة.

## 16

## أحمد بن الأمين الشنقيطي

ولد أحمد بن الأمين في بلاد شنقيط (موريتانيا) ولم يسعفنا أحد بالمكان الذي ولد فيه غير أن تاريخ ميلاده على الأرجح عام 1289هـ، وتعلم العلوم الدينية وحفظ القرآن ببلاده في مدارسها الأهلية.

وفي عام 1315 بدأ رحلته إلى المشرق لأداء فريضة الحج عام 1317 وتوجه من مكة إلى روسيا قاصداً المواطن الاسلامية فيها ومن هناك ذهب إلى تركيا فتنقل بين الأناضول والآستانة وأزمير وزار معاهدها العامة وعاد منها عام

1319 قاصداً سوريا فاجتمع بالكثير من علمائها وانتقل إلى مصر عام 1320 واستقر بالقاهرة متصلاً بالأوساط العلمية مكباً على الدرس والتصنيف إلى أن توفي عليه رحمه الله صبيحة يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر رمضان 1331هـ ـ 1913م عن 42 سنة من عمره.

وقد ترك ثروة طائلة من المؤلفات أهمها على الاطلاق كتاب (الوسيط في ترجمة أدباء شنقيط). وأهم المؤلفات التي تركها محمد الأمين:

1 ـ الدرر اللوامع شرح جمع الجوامع (في مجلدين)، طبع بالقاهرة 1320هـ.

2 ـ الدر في منع عمر، طبع بالقاهرة 1321هـ.

3 ـ طهارة العرب، طبع قازان 1326هـ.

4 ـ شرح المعلقات العشر وأخبار قائليها، طبع بمصر 1329هـ.

5 ـ الوسيط في ترجمة أدباء شنقيط، طبع بمصر 1329هـ.

6 ـ درء النبهاني عن حرم سيدي أحمد التيجاني، طبع بمصر 1330هـ.

وقد شرح مجموعة من الكتب منها:

1 ـ ديوان طرفة بن العبد، طبع قازان سنة 1909م.

2 ـ أمالي الزجاجي، طبع بمصر سنة 1324هـ.

3 ـ صهاريج اللؤلؤ للسيد توفيق البكري، طبع بمصر سنة 1324هـ.

4 ـ ديوان الشماخ بن ضرار، طبع بمصر سنة 1327هـ.

5 ـ ليس في كلام العرب لابن خالويه، طبع بمصر سنة 1327هـ.

6 ـ الإعلام بمثلث الكلام لابن مالك، طبع بمصر سنة 1329هـ.

7 ـ تحفة المودود في المقصور والممدود لابن مالك، طبع بمصر سنة 1329هـ.

8 ـ تصحيح كتاب الأغاني لابن الفرج الأصفهاني (طبعة الساسي).

وهكذا قضى الأجل العاجل على هذه الشعلة الوقادة. ولو طال به الأجل لأفاد العرب والمسلمين بكثير من التآليف.

17

## أحمد سالم بن السالك

ينتمي هذا الشاعر لقبيلة (أداو الحاج) المتواجدة في منطقة شنقيط ورحل منها جزء استقر بمنطقة (قندام) بجمهورية مالي.

ولم أجد لهذا الشاعر تاريخ مولد أو تاريخ وفاة إلا أن مخطوطة للأستاذ كادي اطلعت عليها وفيها يقول إن أحمد السالم من شعراء القرن الثامن عشر الميلادي ووقعت بينه وبين شعراء كنتة قصائد وملاحاة لحروب وقعت بين قبيلته وقبيلة كنتة.

وقد أورد الأستاذ كادي قصيدة للشاعر أحمد يرد بها على الشيخ البكاي الكنتي ويفتخر فيها بقبيلته. يقول أحمد سالم:

تبلت فؤادك زينبٌ بدلالها ... وبهجرها وبضنّها ونوالها

حسناء قد برعت وراقت نضرة ... ما بين أخمص رجلها وقذالها

حوراء خافرة غضيض طرفها ... تسبى الفؤاد بغنجها ودلالها

قنواء في شمم أسيلٌ خدها ... لمياء في لَعسٍ تصيد بخالها

وبريق وجنتها وبارق ثغرها ... وبجبهة كالشمس قبل زوالها

وبفاحم أحوى أثيث نبتة ... راقت خصائله لدى استرسالها

تثنى إذا امتشطت ذوائب فرعها ... مثنًى بمقعد شسعها وقبالها

ومخضبٍ رخصٍ لطيف ليّن ... سبط البنان تصان في استعمالها

وترائب كالطرس جوّد دلكه ... والصدر كالمرآة في تصقالها

والبطن ذو عكن لطافٍ تلتقي ... تسبيك مدبرة وفي استقبالها

غيداء أملود رداح غادة ... خودٌ خدلّجة سمت بجمالها

ريّا الروادف طفلة مهنانة ... جمٌ مفاصلها إلى خلخالها

ويستمر في الغزل على طريقة شعراء الجاهلية إلى أن يخلص إلى غرضه وهو هجاء كنتة وتوعدهم فيقول:

وأنا الذي شهدت كناتة بأسه | وأنا المعد لغيظها ونكالها
كفي وفكي صارمان كلاهما | أعددته لجلادها وجدالها
موتوا بغيظكم كناتة إنني | أنا ذاكم مردى العدا بنبالها

إلى آخر القصيد وهو في 92 بيتاً.

وله في قصيدة أخرى يقول:

أرقت لبرق العارض المتهلل | عيناك فانهمتا بدمع مسبل
أحسبته لمعان بارق ثغر مَنْ | تهوى فبتّ بحسرة وتململ
وكأنها زفرات صدرك راعدٌ | يزجى سحائب دمعك المتهطل
من ذكر غانية سبتك بشغرها | وبفاحم أحوى أحم مرجّل
والوجه يشرق تحته فكأنه | صبحٌ تبدّى تحت ليل أليل
يا عاذلاً قد ظنني متماسكاً | عن ذكرها أو أن ما بي منجلي
أقصر هُبلت فلا ازدجار ولا ارعوا | عن ذكرها بل لا أصيخ لعذّلي

ويستمر في الغزل إلى أن يخلص إلى المعنى المراد وهو قيام الحرب فيقول:

لا تحسبي أني هجرتك عن قلى | لكن لأمر في العشيرة مشغل
عقد المآزر للحروب شددتها | لو رام دهرك حلّها لم تحلل
ولقد علمتِ بأنني ذو همة | ما إن تزال إلى المكارم تعتلي
كيف المزار مع اشتعال لظى الوغى | وذوو الحروب عن الوصال بمعزل

والقصيد في أكثر من تسعين بيتاً نراه ينهج بها نهج الأولين كعنترة العبسي والمهلهل بن ربيعة فنراه يقول:

والحرب أول ما تأجج لم أكن | لجناتها مأوى ولا بمبجل
ما زلت أخمد جمرها بتلطف | وتعنّفٍ وتحيُّلٍ وتَحمُّلِ
حتى إذا نشبت لظاها لم أكن | متقاعساً عنها ولم أتحول

ومعاشري شهد الأعادي بأسهم وهم الغياث من الزمان الأعضل
قومٌ عزيز جارهم وحليفهم ونزيلهم يلفي بأشرف منزل
المطعمون وليس يوجد مطعم والمسرعون إلى السواد المقبل
والمؤثرون على كرام بينهم وجيادهم للطارقين النزّلِ
والذائدون عن الحمى بسيوفهم والخائضون لكل هول مهول
والمنكرون لكل أمر منكر والقائمون بكل أمر معضل
والحرب تعلم أنهم أشبالها وبزاتها من كل صقر أجدل
ورثوا المكارم عن كرام جلة متوارثيها عن كريم مفضل

ثم يخلص من هذا الفخر لمدح خيولهم وأسلحتهم وينتقص الأعداء في المعارك التي خاضوها ضدهم. والملاحظ أن شعر أحمد سالم هو نموذج لشعر الصحراء في جزيرة العرب قبل الإسلام. والشاعر أحمد سالم إلى جانب كونه شاعراً فهو صاحب محضرة يعلم فيها التلاميذ القرآن والنحو والفقه وله حكايات في ذلك.

18

## أحمد سيف النصر

هو أحمد بن سيف النصر من شيوخ قبيلة أولاد سليمان العربية التي تقطن مناطق صحراء سرت.

تلقى تعليمه الأولى في زوايا المنطقة التي يعيش فيها. وترعرع في أحضان الصحراء متربياً على الفروسية والشجاعة.

قبضت عليه ايطاليا مع اخوته ووالده عام 1913م عندما جاءوا للتفاوض مع الطليان واعلان الولاء وسجنتهم (بزوارة).

وفي عام 1915م أطلقت سراحهم فقام أحمد بجمع المجاهدين الذين صادموا الطليان في معركة (القرضابية) الشهيرة عام 1915م. ومنذ ذلك التاريخ بدأ أحمد سيف النصر سلسلة من المعارك التي لا تنتهي وسلسلة من المغامرات الحربية ضد الطليان.

خاض فيها عشرات المعارك، وكان أول المواجهين. وقد شهد له الجميع بالشجاعة. ولما هادن ادريس السنوسي الطليان وعينوه أميراً على برقة وأسس حكومة في (أجدابية) بقي أحمد في (أجدابية) ممثلاً لقبيلة أولاد سليمان ولكن هذه الحكومة لم تثمر ولم تستمر فهاجر ادريس عام 1922م إلى مصر واستؤنفت العمليات العسكرية وقاد أحمد سيف النصر المجاهدين إلى النصر في كثير من المعارك وتقهقر في كثير منها وخاصة المعارك الأخيرة حيث فرغ الزاد والإمداد وبدأت موارد المجاهدين تقل. وأصبح الطليان يسيرون الجيوش من المواطنين الليبيين الذين كثيراً ما يكون أسرهم وأبناء عمومتهم في صفوف المجاهدين.

استمرت المعارك من عام 1922م إلى عام 1930م مستمرة طاحنة في ظروف صعبة. وفي هذه السنة تقهقرت صفوف المجاهدين وسقط المئات منهم شهداء. وهنا قرر أحمد سيف النصر وأخوته الهجرة إلى تشاد حيث تقيم قبائل أولاد سليمان وورفللة وقذاذفة وهم أبناء عمومتهم بمنطقة كانم.

بقي أحمد والمجاهدون الذين معهم بتشاد من عام 1930م إلى سنة 1940م عندما قررت فرنسا الحرة (ديغول) مهاجمة الطليان في ليبيا تضامناً مع قوات الحلفاء.

وهنا تطوع أحمد على رأس جيش من الليبيين المهاجرين في تشاد وتقدم به فاحتل فزان، حيث عينه الفرنسيون والياً على فزان وبقي بها إلى ما بعد الاستقلال عام 1951م حيث توفي رحمه الله وقد تجاوز السبعين من عمره.

19

# سيدي أحمد ولد أحمد ولد عيدّة

تولى امارة (ادرار) بعد وفاة والده وقد بدأت القوات الفرنسية تزحف نحو الشمال لاحتلال كل الأراضي الموريتانية.

وامارة ادرار تسمى امارة (أولاد يحيى بن عثمان) تتوارثها أسرة (عيدّة). ولما تولى الامارة سيدي أحمد بدأ ينسق مع الشيخ ماء العينين في (السمارة) لمقاتلة الفرنسيين وطردهم من البلاد مع أنه كان صغير السن.

وكانت فرنسا تخطط للزحف على منطقة (ادرار) ووقع صدام مسلح بين المجاهدين والفرنسيين عام 1906م قرب اقجوجت (النميلان) و (تجكجة) وفي عام 1908م وقع صدام بين المجاهدين والفرنسيين قرب (اغرف) وخسر العدو مجموعة من القتلى والجرحى وفي يوم 9/ 1/ 1909م احتل الفرنسيون عاصمة الامارة (اطار) بعد معركة ضارية. وانسحبت مجموعات المجاهدين إلى الشمال وبعضهم إلى الشرق وكان أمير ادرار ضمن المنسحبين فلاحقه الفرنسيون ووقعت معارك بين المجموعتين.

ووصل الأمير سيدي أحمد إلى السمارة حيث يقيم الشيخ ماء العينين فوجده قد تركها وتوجه إلى تيزنيت في جنوب المغرب فلحق به وأصبح جندياً من جنوده ولكن الشيخ ماء العينين توفي رحمه الله يوم 29 اكتوبر 1910م وهنا زحف سيدي أحمد إلى الشرق من موريتانيا وبقي بقواته هناك يهاجم الفرنسيين ويختفي في الغابات. وفي 13/ 1/ 1912م اصطدم الأمير مع الفرنسيين في بلدة (تيشيت) فجرح وقبض عليه وحمل أسيراً إلى (اندر) (سان لويس) العاصمة الفرنسية في السنغال ومركز انطلاقهم للشمال. وبقي أسيراً

قرابة العام ولكن الامارة لم تهدأ فحاول الفرنسيون كسب ود الأمير سيدي أحمد وإرجاعه إلى إمارته تحت نفوذهم وبقيودٍ هم يضعونها وشروط.

عاد سيدي أحمد ولكنه بقلب راغم وغير راضٍ وكثرت الوشاية من قبل المتحمسين لفرنسا في الأمير فأعادوه للمنفى عام 1918م بسان لويس وبقي منفياً بها إلى عام 1920م وحاولوا سد الفراغ بعده بتعيين أمير جديد ولما لم يستطيعوا كونوا مجلساً لإدارة الامارة. وأرجعوا الأمير ليبقى تحت رعاية المجلس. ولما وصل وجد الاستعمار قد أحكم قبضته. وأن زملاءه المجاهدين فر منهم من فر وقتل من قتل وهنا قرر الهجرة للشمال فابتعد بخيامه للشمال. ولكن فرنسا قررت إرجاعه فأرسلت إليه فرقة عسكرية اصطدم بها وقتل جلها وأعلن الثورة. والتحق به مجموعة من الموريتانيين المجندين مع الفرقة. وكان ذلك يوم 14 مارس 1930م، وهنا شكل الفرنسيون فرقة أخرى لملاحقته وفعلاً تم لها التصادم مع الأمير سيدي أحمد يوم 19 مارس 1932م، وهاجمت المخيم وسقط سيدي أحمد شهيداً ومجموعة من الرجال فلقد كان السلاح غير متكافىء. كما سقط مجموعة من الفرنسيين المهاجمين. ولكن النصر كان حليف الفرنسيين، فاستاقوا مواشي الحي، وجردوا النساء من حليهن ورجعوا بغنيمتهم مسرعين لينجوا من هجوم الرقيبات لنصرة الأمير.

وهكذا سقط شهيداً من شهداء العرب والمسلمين مدافعاً عن كرامة وطنه ومواطنيه عليه رحمة الله، وذلك (بوديان الخروب).

ومنطقة ادرار ومعناها بالتارقية الجبال بها مدينة اطار العاصمة والتي تقع بجانبها مدينة (ازوقى) عاصمة المرابطين.

20

# أحمدو لوبو

أحمدو لوبو هو أحد أفراد قبيلة الفلان العربية. وقد هاجرت قبيلته إلى منطقة ماسنة بمنطقة مالي الحالية.

تلقى أحمدو تعليمه على يد مشائخ الأسرة ثم التحق بمدينة (جنى) التي كانت مركزاً اسلامياً كبيراً فتعلم التفسير والفقه وعلوم الدين الأخرى. ثم عاد إلى ماسنة وقرر اعلان الجهاد على الوثنيين وإرجاعهم إلى الطريق القويم عبادة الله الواحد الأحد.

وأعلن أحمدو أنه من البيت الهاشمي وأنه ينتمي إلى رسول الله ﷺ. كما أعلن أنه مهدي عصره. وأعلن الجهاد وقاتل الوثنيين وانتصر عليهم ودخل مدينة (جنى) وطهرها من البدع والمنكرات وأسس له حاضره بجانبها أسماها (حمد الله) واتخذها عاصمة لحكمه.

كما هاجم تينبكتو وطهرها من بقايا الحكم المغربي واستطاع الشيخ أحمدو أن ينشىء امارة اسلامية قوية عرفت باسم (امارة ماسنة) التي تمتد شمالاً إلى مدينة (تينبكتو).

وفي عام 1844 توفي الشيخ أحمدو لوبو وخلفه ابنه أحمد أحمدو لوبو والذي عُرف باسم أحمد شيخو الذي وسع الامارة ووطد أركانها ورسّخ الدين الاسلامي في مناطق البمبارة وغيرهم من القبائل المتواجدة في غرب افريقيا.

وقد استمر أحمد شيخو في ادارة امارته إلى أن قُتل في المعارك مع الحاج عمر تال وخُرّبت (ماسنا).

21

# ادريس بن علي

هو ادريس بن علي الغازي بن دوناما (ذو النعمة) أحد ملوك مملكة كانم، وبرنو. وقد حكم هذا الرجل برنو من عام (1503 ـ 1526) وكذلك كانم.

وادريس هو أحد أحفاد مؤسس الأسرة السيفية (نسبة لسيف بن ذي يزن) اليمني التي حكمت مملكة كانم منذ تاريخ لم يصل إلينا. إلا أن أحد ملوك هذه الأسرة ويدعى (هوميه جيلمه) حكم المنطقة (1085 ـ 1097) أعلن إسلامه واعتبره ديناً رسمياً لمملكته، ومنذ ذلك التاريخ بدأت أخبار هذه الأسرة الحاكمة تصل إلينا. ويعتبر ادريس أشهر ملوكها إذ استطاع أن يتغلب على قبائل الفولان التي زحفت على المملكة واستولت عليها. ويقول أحمد شلبي:

«وكان حكم ادريس بن علي المشهور ادريس علومة (1570 ـ 1602) قمة المجد لهذه الأسرة وسبب شهرة ادريس علومه يرجع في الحقيقة إلى المعلومات الخصبة التي وصلتنا عن طريق إمام الأئمة أحمد بن فرتوا الذي كتب تاريخه ودوّن حروبه في شرق بحيرة تشاد وغربها. ولم نعرف إلاّ القليل عن سواه من الحكام. وقد وصف الامام نجاحه الباهر، وفتوحاته الناجحة، كما وصفه أيضاً بأنه عادل وحكيم. وقد ذهب ادريس علومة للحج. وعرف خلال هذه الرحلة قيمة الأسلحة النارية الجديدة، فاشترى كثيراً منها من الأتراك. واستطاع بذلك أن يغير طبيعة الحرب في هذه المناطق كما استخدم كثيراً من العرب في جيشه.

واستطاع بذلك أن يحقق انتصارات كبيرة حول برنو وأن يهزم قبائل الطوارق وأن يدخل بعض القرى التابعة لكانو..».

ويقول شلبي:

«وكان ادريس علومة مهماً من ناحية اتجاهاته الاسلامية أكثر منه كمؤسس للامبراطورية، ففي مملكة كانم القديمة كانت طبقة الحكام والفقهاء هي التي تدين بالإسلام الحقيقي، وقد بذل ادريس جهداً كبيراً ليجعل الإسلام دين الدولة، ولينشره في جميع ربوعها. ويقرر الإمام أحمد أن عهد ادريس حفل بانتشار الإسلام وأن الطبقة العليا أصبحت جميعها مسلمة، كما اتجه الاهتمام إلى اقتباس التشريع الاسلامي والعمل به.

وقد نظم ادريس السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية وفصل بينها، وبنى مساجد ضخمة من الحجارة كما بنى في مكة مقراً لحجاج برنو».

ويقول أحمد شلبي:

«واتجه ادريس إلى تنظيم حروبه لتتمشى مع نظم الجهاد الاسلامية. كما اتبع الفكر الاسلامي في نظام أسرى الحرب، وأصبحت حروبه لنشر الإسلام تابعة للفكر الاسلامي. ولم يعد هناك إكراه لأي شخص ليدخل الإسلام وأصبح الدخول في الإسلام طواعية وعن اقتناع. وهكذا انتشر الإسلام انتشاراً واسعاً خلال عهد ادريس عن طريق الدعوة وبدون أي اكراه..»(2).

وعندما توفي ادريس حكم أولاده الثلاثة من بعده بالتتابع محمد وابراهيم وعمر.

**22**

## أسماء بنت الشيخ عثمان

هي أسماء بنت الشيخ عثمان دان فودي الفلاني.

حفظت القرآن الكريم في مدرسة والدها في (سيكوتو) وتعلمت اللغة العربية وأصولها على يد والدها. كما تعلمت أصول الدين.

اهتمت أسماء بتعليم المرأة الفلانية وجهاد المرأة المسلمة. كما نظمت الشعر وكتبت العشرات من المؤلفات باللغتين العربية والفلانية في تفسير القرآن والسيرة النبوية. كما أرخت لحياة والدها عثمان بن فودي، وأخيها محمد بللو.

كما كتبت في الدين، ولها مؤلف (علامات القيامة) الذي تحدثت فيه عن علامات الآخرة.

ولم نعثر عن تاريخ ميلاد أسماء ولا تاريخ وفاتها.

ولقد تركت أسماء تراثاً دينياً مهماً وذكراً طيباً للمرأة العربية المسلمة في جنوب الصحراء.

## 23

## أمحمد بن أحمد يورة

هو أمحمد بن أحمد يورة الشاعر الصحراوي الكبير ولد ببلدة (أنصنبة) قرب قرية (المذرذرة) في الجنوب الموريتاني من قبيلة عربية هي (أولاد أحمد بن دمان) اشتهرت بالعلم والثقافة وكان ذلك عام 1840م.

حفظ القرآن وهو صغير ومختصرّ خليل وشيئاً من الفقه.

وعاش كما يعيش أمثاله من الصحراويين في بيئته الصحراوية التي لا تعرف إلا رعي الماشية والاهتمام بها والإغارة واستياق الإبل وإرجاعها وقرض الشعر والفخر بالأنساب والأجداد وأيام المعارك.

بدأ أمحمد بن يورة يقرض الشعر صغيراً وكان من أسرة مرموقة فحظى بالاحترام منذ صغر سنه ولما وصل الفرنسيون إلى موريتانيا ناصبهم العداء في بداية أمرهم، ولكن نظراً لمكانة الشيخ سيديا في المنطقة الجنوبية الموريتانية

وعلاقته الوطيدة بالفرنسيين فإن أحمد بن يورة عاد وحسن علاقاته بالفرنسيين بل وألف كتاباً بناء على مطلب الضابط الفرنسي المكلف بالمنطقة يوضح فيه أماكن الآبار في الصحراء ليسهل على الفرنسيين السير في الصحراء. وكان عنوان الكتاب (أخبار الأحبار بأخبار الآبار). وقد ألف الشاعر أحمد بن أحمد مجموعة من الكتب في مختلف الأغراض منها:

1 ـ أخبار الأحبار بأخبار الآبار.

2 ـ شرح الواقعة.

3 ـ النظام في الفقه (التركة ـ شوارد الفقه).

4 ـ النظام في اللغة.

وفي عام 1921م توفي الشاعر أحمد بن أحمد في قرية (الميمون) وبها دفن عليه رحمة الله.

ومن شعره:

بكاء حمامات تغنين بالأمس ... فرد قلوب المدعوين إلى (الدكس)
بكين لأيام بكيت لمثلها ... فأصبحت من جنسي وما هن من جنسي
يذكرنني عهداً قديماً ومعهداً ... أحب إلى نفسي لياليه من نفسي

ويقول أيضاً:

تناءيت عن سلمى مخافة حبها ... وراشيت عنها القلب لو كان يرتشي
فما زاد هذا النأي إلا صبابة ... وعاودني منها بما كنت أختشي
وجاورتها أرجو السلو بقربها ... فدل علينا (جاور الماء تعطش)

ويقول في قصيد آخر:

يا صاح هذا غراب البين قد صاحا ... وكاد يفصح بالتوديع افصاحا
واصبر الناس من رامت أحبته ... بينا فما وال من شوق وما واحا
أقول للبرق بعد النوم إذ لاحا ... يحدو ركاما هزيم الودق سماحا
يا برق غاد خيام اللاء عن كثب ... يردن ماء لدى (السياح) سياحا

فيهن من تيمت قلبي بمبسمها ... فصار يعتقد الإفساد اصلاحا
وقلت للريح إذ هبت على مهل ... تهدى نسيما بريّ الورد فواحا
يا ريح أحييت أرواحاً ولا عجب ... فربما أحييت الأرواح أرواحاً

والشاعر أمحمد بن أحمد كان ينظر بعين الغيب فلقد كان يقول في حياته هذين البيتين عن قرية (الميمون) ومن الغريب أنه توفي بها وبها دفن وتغيرت الأحداث بعده كما قال:

تذكرت أيا مالنا ولياليا ... عذاباً عذابٌ ذكرها حين تذكر
منازل بـ (الميمون) بعدي تغيرت ... لها منزل بالقلب لا يتغير

**24**

## أمحمد بن محمد اليعقوبي

هو أمحمد بن محمد بن المختار بن الفغ موسى اليعقوبي المعروف بأمحمد بن الطلبة. من قبيلة (اداو يعقوب) التي يرجع نسبها إلى جعفر الطيار بن عبد المطلب رضوان الله عليه.

وكانت أسرته من بيوت العلم في بلاد شنقيط وكان أمحمد هذا يتشبه بحياة العرب البدو في سابق عصورهم. فكان يبري النبال ويتصيد الوحش وخاصة في أرض تيرس. وهي أرض منبسطة أشبه بالحمادة الحمراء في ليبيا. إذا أمطرت نمت بها الأعشاب بصورة عجيبة. ويكثر بها الوحوش والطيور.

وكان أمحمد مغرماً بها يذكر مواقعها في أشعاره، وهو إلى جانب جودة شعره عالم بالنحو والأصول، إلى جانب كرمه الذي تضرب به الأمثال في صحراء شنقيط.

ويتشبه أمحمد بن محمد في شعره بالشعر العربي القديم. وقد قال يوماً بعد

أن فرغ من تأليف قصيدته الجيمية وأبرزها للناس، أرجو من الله أن أقعد أنا والشماخ بن ضرار في ناد من أهل الجنة وننشد بين أيديهم قصيدتينا لنعلم أيهما أحسن.

ويقول في قصيدته الجيمية:

تطاول ليل النازع المتهيج ... أما لضياء الصبح من متبلج
ولا لظلام الليل من متزحزح ... وليس لنجم من ذهابٍ ولا مجى
فيا من لليل لا يزول كأنما ... تشدُّ هواديه إلى هضبتي أجِ
كأن به الجوزاء والنجم ربرب ... فراقدها في عُنة لم تفرّج
وتحسب صبيان المجرة وسْطها ... تناوير أزهار نبتن بهجهج
كأن نجوم الشعريين بملكها ... هجائن عقري في ملاعب منهج
فبات يُماني الهم ليلى كأنه ... بَبرح مقام الهم في أضلعي شج
فلو كان يفنى الهم أفنى مطاله ... همومي ولكن لجّ في غير ملجج
إذا ما انتحاها منه قطْعٌ سمت له ... أفانين همٌ مزعج بعدَ مزعج
أعني على الهم اللجوج المهيج ... وطيف سري في غَيْهَبيّ مدجدج
سري يخبط الظلماء من بطن تيرس ... إلى لدى أبْرَنْبير لم يتعرج
فلم أر مثل الهم هماً ولا أرى ... كليلة مسرى الطيف مُدلجَ مدلِج
وذكرة اظعانٍ تربّعن باللوى ... لوى الموج فالخبتين من نعف دوكج
إلى البثر فالحواء فالفج فالصوى ... صوى تَثِلَ فالأجواد فالسفح من أج
تحل بأكناف الزفال فتيرس ... إلى زيز فالأرويّتين فالأعوج
إلى أبلقي ونكار فالكرب ترتعي ... به حيث شاءت من حزوز وحندج
تربعها حتى إذا ما تنجنجت ... جوازئها تعدو إلى كل تولج
وصرت على الظهران من وهج الحصا ... جنادبها من لافحٍ متوهج
بيوم من الجوزاء تشوى سمومه ... جلود حواني الربرب المتولّج
وغرّد مكاء الأخرّة بالضحى ... تغرّد منزوف الشروب المزرّج
ولفّت نصيّ الليف هيف تسوقه ... ونشت تناهي غيثها المتبعج
وزفّت إلى الأعداد من كل وجهة ... أعاريبها من كل صِرمٍ منجنج

ونادى منادي الحي مُسْياً وقوضوا نضائدهم يا هادي الحيّ أولج
وقرّبت الأجمال حتى إذا بدت نجوم الثريا في الدجا كالسمرج
تكنسن أحداجاً على كل ناعج عبثٌ بأنواع التهاويل عدلج
من القمع أو من نحر نكجير يممت معاطن جلوى لا تريع لمن وجى
جواعل ذات الرمت فالواد ذي الصفا يميناً وعن أيسارها أم هودج
وتزور عن ذي المرّسيطِ فورّكت لمسي ثلاثٍ جُنّيه لم تعرج
وصبحن جلوى طامي الجم وارتووا ولم ينزلوا عن هودج خدر هودج
وقالوا الرحيل غدوة ثم صمموا على مدرج عودٍ لهم أي مدرج
أو احتملت من صلب لحريش تنتحي رُغيوَيّه الأملاح لم تتلجلج
أو الشهب سهب التوأمين فغلّست بواكرها والصبح لم يتبلّج
ومرّت على قلب الظليم كأنها خناطيل زوزت من نعام مهيج
وأمسى على كرّ المزيرف منهم لكاك كضوضاء الحجيج المعجعج
ومنهم بأوشال الثُّديّ منازل وحيٌّ على أوشل هضب الأفيرج
منازل قد كان السرور تحالفي بها هي عندي بين سلمى ومنعج
ألا ليت شعري هل إليهم عودة وهل أنا من غم التنائي بمخرج
وهل لي في أودائها من معرس وهل لي في أطلالها من معرج
وأما تريني خمّر الشيب لمّتي وأصبحت نضواً من شباب مبهج
فيا رب يوم قد رصدت ظعائنا بأبطح برث بين قوزٍ وحشرج
ظعائن بيض قد غنين بنضرة تروق على غضّ النضير المبهّج
ظغائن ينميها إلى فرع العلا لعامر يعلى كل أزهر أبلج
عليها سموطٌ من محالٍ ملوّب من التبر أو من لؤلؤ وزبردج
يفصل بالمرجان والشذر بينه وقد غص منها كل حجل ودملج
ظعائن لم تألف عصيداً ولم تبت سواهر ليل الجرجس المتهزج
ولكن غذاها رسل عوذٍ بهازرٍ مورّثة من كل كوماء ضمعج
معودة عقراً وبذلاً كرامها لضيفٍ وعافٍ من مقلٍّ وملفج
مراتعها مرعى المهى ورباعها تلاعب من أذراعها كل بحزج
ويحدجن مما قد نجلن نجائباً نواعج أدماً من نجائب نعج

ويحللن منها كل ميثاء سهلة … واجرع سهلاً بالحيا متبرج
فما أنسَ لا أنسى الحروج روائحا … من أودية البطحاء فالمتموّج
عوامد للسبطلين أو هضب مادسٍ … تواكب عن واد الخليج وعفلج
يعالين من عقل ورقم منمق … ويسدلن حُرّ الأرجوان المبرّج
قطيناً قطيناً فوق أدم كأنها … هوادي صوار بالدماء مضرج
دلحن بابكار وعونٍ كأنها … عقائل عين من مطافيل تحرج
كأنهم إذ ضحضح الآل دونهم … خلايا سفين مثقل متعمج
صوادر من ميناء جور تحثها … نواتيّها في زاخرٍ متموج
أو العمُّ من نخل ابن بوصٍ تمايلت … شماريخها من مرطب ومنضج
مجانين رمَل من كناوال ناوحت … فروع الثريا لا تنال بمعرج
لها شربات قد نصفن جذوعها … رواء الأعالي حملها غير مخدج
وفي الظعن مجوال الوشاح كأنها … صبيرُ حياً في بارقٍ متبوّج
تبدّت وقد جدّ الرحيل بمشرفٍ … هجانٍ ووضاح أغر مفلّج
فدبّت حميا الشوق في النفس واصطلت … تباريح الأتّودِ بالنفس تلعج
عشية لا أستطع صبراً ولا بكا … فأشفي غليلي والبكا مفزع الشجى
وقد أعسف الخرق المهيب اعتسافه … بخرقاء من سر الهجان عفنجج
مبينة عتق الحرّتين وخطمها … يباري السنان غير أن لم يزجج
عجمجمة روعاء زيافة السرى … أمون كبرج الأندري المؤزّج
إذا زعتها بعد الكلال تغشمرت … وحطّت حطاط الجندل المتدحرج
كأني إذا أخليتها الخرق وارتمت … يداها برضراض الحصا المتأجج
على لؤلؤان اللون سفعاء لاعها … تشُمّ أشلاء بمصرع يحزج
من الخنس قد باتت وأضحت تعله … بعمياء لا تخشى بها من مهيج
فلما رمته في المفاصل نعسةٌ … إلى بطن حقف بالصريمة أعوج
تراخت بها عنه المراعي فأحدقت … به بؤس ما إن لها من مهجهج
بنو قفرة طلس الملأ من عصابة … إذا أقدمت في غِرّة لم تحجحج
شرابهم دمُ العبيط وزادهم … فريسٌ طريدٌ لحمه غير منضج
فراحت لعهدٍ كان منه فلم تجد … سوى جلدٍ أو رأس عظم مشجج

فجالت قليلاً وانثنت تستخيره ... ولم تدر أن من يعلق الحتف يخلج
فطافت له سبْتاً تُرجى إيابه ... وأنّى لها هيهات ما هي ترتجى
فلما ذوت قردان درتها طوت ... على علّه يأساً مبيناً لمن شجى
فباتت على فردٍ أجمّ كأنها ... تلألؤ مقباسٍ يُشب لمدلج
تقطّع من عزف الفلا جرراً لها ... حذاراً فمهمى يعزف الدوّ تمعج
تعفى بها ما إن تكاد تسيفها ... فتلقى لفاظاً من لغامٍ ورجرج
فلما سرى عنها الدجى الصبحُ آنست ... به جرْس ذي طمرين بالصيد ملهج
أخي سبعة أو تسعة قد أعدها ... لأمثالها من كل شهم محرّج
يحث ضراءً كالحات كأنها ... قداح مفيضٍ بالمغاليق مفلج
مصاريع وحش ضاريات تعوّدت ... مغار الصباح من ضراء ابن الأعوج
فما ذرّ قرن الشمس حتى غشينها ... وجدت نجاءً غير نكدٍ ولا وج
فألقت معاً أرواقها وتمطّرت ... على أثرها مستضرماتٍ بعرفج
فاقصرن عنها بعد شأوٍ مغرّب ... ومرّت كمصباح السماء المدحرج
تساقطن حسرى بين وان مغوّر ... وكابٍ بمكنون الحشا متضرج
كأني إذا ما شبّتِ المعزُ نورها ... على تلك أو هيقٍ هجف هزلّج
أزجّ من الزعر الظنابيب مُعرسٍ ... بخرجاء هوجاء البراية غوهج
يعودان زعراً بالخميلة دردقاً ... ومرصوص بيض حولها لم ينتجّ
يظلان في آءٍ وشري طباهما ... بأفرح من أري الرواعد أدعج
تزايله طوراً وتأوي فأمسيا ... بمنتزحٍ والشمس بالمتعرج
فهاجهما جنح الظلام اذكاره ... فزفاله في أنف نكباء سيهج
وقد أصحب القوم الكريم نجارهم ... وخيمهم من كل اروع معنج
يحوط المداعي والمساعي مرزّءٌ ... تقيٌّ نقيُّ اللون غير مزلج
عليه قبولٌ يغمر الحي سيبه ... إذا لم يكن في الحي ملجا لملتج
كرامٌ صفت أخلاقهم وتمخّضت ... وليس الصريح المحض مثل الممزج
أولئك أخداني فأصبحت بعدهم ... أساير خلقاً نهجهم غيرُ منهج
يرون جميلاً ما أتوا من قبيحهم ... فيا للإله للسفاه المروّج

وله أيضاً مجموعة من القصائد الجيدة نشر بعضها الشيخ محمدين الأمين

الشنقيطي في كتابه (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط) منها قصيدته الميمية التي يعارض فيها الشاعر حميد بن ثور. والتي يقول فيها:

تأويه طيف الخيال بمريما فبات معنىً مسجّنًا متيمّا
تأويه بعد الهجوع فهاضه فأبدى من التهيام ما كان جمجما
لطاف به حتى إذا النفس أجهشت وأبدت بنانا لى خضيبا ومعصما
ووجها كان البدر ليلة أربع وعشر عليه ناصلاً قد تهمما
تولى كان اللمح بالطرف زوره وكان وداعاً منه إن هو سلّما
فمن ذا ولا من ذا رأى مثل زوره ومثل الذي بين الجوانح أضرما

إلى آخر القصيد وهو في قرابة 96 بيتاً. يعارض به قصيد حميد بن ثور الذي مطلعه:

ألا هيما مما لقيت وهيما وويحاً لمن لم ألق منهن ويحما
أأسماء ما أسماء ليلة أدلجت إليّ وأصحابي بأيّ وأينما

أما قصيدته الجيمية السابقة فيعارض بها كما ذكرنا قصيدة الشماخ بن ضرار الغطفاني الجيمية التي يقول فيها:

ألا ناديا اضعان ليلى تعرّج فقد هجْنَ شوقاً ليته لم يهيّج
أقول وأهلي بالجناب وأهلها بنجدين لا تَبْعُد نوىً أم حَشْرَجِ
وقد ينتأي من قد يطول اجتماعه وتخلج أشطان النوى كل مُخْلَجِ
صَبا صبوة من ذي بحار فجاوزت إلى آل ليلى بطن غولٍ فمنعج

إلى آخر القصيد وهو في 59 بيتاً أوردها محمد الأمين الشنقيطي في كتابه (الوسيط).

25

# الإمام بن محمد الفغ الجكني

ينتسب هذا الرجل إلى قبيلة تجكانت الصحراوية ببلاد شنقيط. ولم أعثر له على ترجمة، ولو أنني أستطيع أن أقول إنه درس العلوم الدينية وحفظ القرآن كغيره من شباب ذلك العصر من هم في وضعه الاجتماعي والقبلي ثم نبغ في الشعر. ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الذي أورد له قصيدته التالية أنه سافر مع مجموعة من عشيرته إلى سجلماسة ببلاد المغرب فأصابهم بها مرض الجدري ولم يساعدهم سكان البلدة فقال هذه القصيدة والتي تنبىء عن مكانته الشعرية وقدرته الفائقة في النظم. ولا شك أن للإمام قصائد أخرى التهمها الضياع وأتى عليها الزمن.

يقول الإمام الجكنى:

واهاً لمرضى رهانٍ في سجلماس ... نائي المؤانس والعواد والآسي
واهاً لها من حشاشات يساوقها ... تنوا جسوم إلى تصعيد أنفاس
ومن عظام وأشلاء ممزقة ... كأنما لبثت حيناً بارماس
ما كان أطولَ أياماً على حسنٍ ... وصحبة ظلتها منهم على ياس
كأنما شربوا فيها وما شربوا ... عصارة الكرم من بيسان أوراس
صهباء طاف مهينم اليهود بها ... دبّابة في عظام الظهر والراس
سقاهم الجدري كأساً بها شرقوا ... تفديهم النفس من شربٍ على كاس
من كل جَلْدٍ على الضراء مصطبرٍ ... يقسو إذا لان من ضرائه القاسي
يصحو المريض وينسى من معاهده ... يوماً وما هو بالصاحي ولا الناسي
تهتز منها ذماءٌ كلما سجعت ... خطباء تبعث ما بالواله الآسي
تبكي لها آخرٌ أبدانهن كما ... خط الزبور يهوديٌّ بقرطاس

يا بُعدَ منهم حلولٍ قاطنين على ... عِـدٌّ يُحَفُّ بدورٍ منه ادراس
أرسوا على كل نجدٍ من محاضره ... خيماً مثابة أضيافٍ وجُلاّس
يُلقون للضيف ما ألقى مراسيه ... منها مراسي أوتادٍ وأمراسِ
حتى تهب عن أيسار الخيام صباً ... تنحلّ منها عزالى كل عرّاس
حتى إذا انجدل العامي وانتسجت ... من وارق النبت أجناسٌ بأجناسي
حلُّوا عوالي أنجادٍ على نُطُفٍ ... زرقٍ دموع ملث الودق رجّاس
ما زال من معصرات الدلو يسكبها ... على الأباطح فيضاً غير إبساس
على بطاح فلاة لا أنيس بها ... إلا مراويد أرآم بأكناس
ترتاح مغزلة منها لمغزلة ... من أم درّاج أو من أم خنّاس
كأنهن عذارى بين أحوية ... ترتاح منهن ميناس بميناس
حتى غَدَتْ مثل جحر الضب واحتملت ... منها السيول جماهيرا لأجناس
وأضمرت نطفاً منهن وابتسمت ... عن ثغر كل شنيب الثغر نواس
كأنه ونداها منه منتشر ... زجاجة نشرت من زيت نبراس
أحوى أغر تحاماه الرماح فلا ... يدعو النفوس له تزيين وسواس
إلا ظعائن من (جاكان) ترتعه ... لا عن ذمامٍ ولا تجساس أحراس
لا بل نهاية سادات إذا اختلفت ... أهل النواديّ وأسناد لدى الباس
غيظ العديّ ورضى المستنجدين إذا ... هبّت رياح الصبا أدبار عسعاس
تغدو عليها المتالي من منازلهم ... نشر الدراهم من أفواه أكياس
شول تريع إلى بيض معطفة ... طيّ الأهلة في ألوان كراس
سود حقائبها من طول ما نضجت ... منها توالِيَ أبراج وأقواس
وترتعيه حواليها مؤيّلة ... من الهنيدات لا أذوأد مفلاس
فيها الحواني وامات الرباع سُدّى ... لا من صرارٍ ولا من زجر بسباس
كومٌ تروح وتغدو فيه من كثب ... تأوي إلي خيم أرفاض وسُوّاسِ

وقد أوردها الشيخ الشنقيطي في كتابه الوسيط صفحة 285 ـ 286، الطبعة الثانية، مطبعة السنّة المحمدية، القاهرة.

26

## البراني الساعدي

هو البراني الساعدي بن حسن بن مفتاح بن عبد الحفيظ من قبيلة زوية عائلة مفتاح. وأمه مرضية بنت حمزة من قبيلة الجرارة عائلة حمزة.

درس القرآن على خاله الطيب حمزة بمحضرة النجع أي بخيام الأسرة بالصحراء ثم انتقل لتتمة تعليمه بالجغبوب. وقد سجنه معلمه في قارة بالقرب من الجغبوب لا زالت تحمل اسمه حتى الآن وذلك بسبب شجار بينه وبين أحد الشباب الذين يدرسون في الزاوية مع البراني.

وبعد أن أتم تعليمه عُيّن شيخاً لزاوية (الشيح) شرقي مصر في المكان الذي سمي باسمه حتى الآن (سيدي البراني) شرقي مصر، بمنطقة أولاد علي الذين تزوج منهم زوجته فطوم من قبيلة الحوتة.

انتقل سيدي البراني إلى الجنوب بلاد السودان (تشاد الحالية) وأسس زاوية سيدي البراني (ببئر العلالي) وقد رافقه في هذه الرحلة مجموعة كبيرة من حفظة القرآن والعلماء والمجاهدين من بينهم ابن أخيه سليمان وعبد الله الراجل زوج إحدى بناته وكان ذلك عام 1318هـ.

وعندما هاجمت فرنسا تشاد من الجنوب تصدى لها المجاهدون الليبيون ومن ضمن قياداتهم البراني الساعدي الذي أسس دوراً جهادياً عرف في التاريخ باسم (دور سيدي البراني) في منطقة بئر العلالي. واتخذوا من حصن بئر العلالي مقراً لهم وقد هاجمه الفرنسيون يوم 22/ 11/ 1899، ولكنهم صدوا عن الهجوم وحاول الفرنسيون اقتحامه يوم 4 يناير 1900 ولكنهم فشلوا أيضاً وصدهم المجاهدون. وقد عاود الفرنسيون الهجوم على الحصن يوم 9/ 11/

1901 ولكن المجاهدين بقيادة البراني الساعدي استطاعوا صد الفرنسيين وقتل قائدهم (الكابتن بيلوت) في المعركة.

وقد شهدت الوثائق الفرنسية للساعدي بالبراعة في تنظيم الدفاعات وفي الهجوم والانسحاب واعتبرته من أذكى وأخطر القادة العسكريين في المنطقة. ولأسباب رأتها القيادة نُقل البراني لمنطقة (منقا) وعين على الحصن أبو عقيلة الزوي.

وفي ليلة 4 ـ 5 ديسمبر 1902 هاجم المجاهدون بقيادة أبو عقيلة الزوي القوات الفرنسية المتمركزة بالقرب من الحصن، وألحقوا بها خسائر فادحة ولو أنهم لم يستطيعوا زحزحتها من المواقع. وانقلب الهجوم إلى دفاع والدفاع إلى هجوم، حيث اندفع الفرنسيون في الهجوم على الحصن يوم 5/ 12/ 1902 بقيادة الكابتن (فوكو) والعميد (بوبارد) واستولوا على الحصن بعد معركة من أعنف المعارك التي خاضها الفرنسيون في تشاد.

وقد نقلت أخبار الفرنسيين أن البراني قتل في هذه المعركة. ولكن البراني كان حينذاك في الشمال فخاض معركة (عين كلكا) واستشهد فيها عام 1907 عليه رحمة الله واستشهد معه مجموعة كبيرة من المجاهدين الليبيين. وقد ترك أسرته في المنطقة حيث تسللت زوجته وأولاده مع بعض المجاهدين ليلاً حيث وصلوا إلى (القفرة) وبقي الأولاد بها والزوجة عدة أشهر في ظروف قاسية إلى أن سمع بالزوجة أسرتها في برقة فحملهم مفتاح النمر زوج أخت البراني الذي حضر إلى القفرة في قافلة لجلب التمر، وحملهم معه إلى برقة حيث وصلت الزوجة منى بنت الطيب بوحمزة إلى أسرتها بأولادها الصغار.

أما ابنه محمد وكان في قرابة العشرين من عمره فبقي مع المجاهدين في برقة وعينه عمر المختار مأمور ضرائب بحكومة أجدابية 1918 بعد أن حضر معارك أحمد الشريف مع الانكليز في مصر.

وعند بداية المعارك الليبية ـ الايطالية عام 1922 هاجر إلى مصر ولكنه توفي بالعطش في الطريق عليه رحمة الله.

وقد هاجر أبناء البراني إلى مصر وعادوا عام 1944 بعد خروج الطليان من ليبيا. وقد التقيت ببعض أحفاده حيث يقطنون بالقرب من أجدابيه.

## 27

# الخليفة ولد محمد

الخليفة ولد محمد ولد أمهمد، من قبيلة أولاد سليمان إحدى قبائل البرابيش المنتشرة شمال تينبكتو في صحراء مالي.

ورث مشيخة القبيلة عن والده سيدي محمد كما ورث العداء للفرنسيين الذين وصلوا المنطقة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وقد قام الخليفة بعدة هجمات ناجحة ضد الفرنسيين أهمها الهجوم على (قادة) عام 1917.

وقد تفجرت الثورة الجهادية ضد فرنسا من عين صالح في جنوب الجزائر إلى تينبكتو. وكان الخليفة بمن معه يتنقل في الصحراء مسيطراً على آبارها ومساربها يساعده مئات المجاهدين من مختلف قبائل الصحراء.

وفي معركة (ضويّة رأس الماء) انكسر المجاهدون وسار الخليفة ومعه أحد رفقائه، فقبضت عليه إحدى القبائل المعادية والمتعاونة مع الفرنسيين وسلمته للفرنسيين الذين سجنوه، وقرروا اعدامه ثم نقلوه مخافة المجاهدين إلى فرنسا حيث بقي بها مسجوناً سبعة أشهر وأخيراً أرجعوه للمنطقة وبقي تحت الإقامة الجبرية إلى أن توفي عام 1958 عليه رحمة الله.

## 28

# الداه بن محمد بن الطالب عبيدي

هو أحمد غالي الملقب الداه بن محمد بن أحمد غالي بن الطالب اعبيدي بن محمد بن خيار بن أحمد بن المختار بن محمّ بن الأمين بن أبي بكر الأكبر المعروف بالتائب المسومي.

ينتمي نسبه إلى قبيلة مسومة إحدى القبائل الصنهاجية في الصحراء الكبرى.

ولد عام 1909 في قبيلته، والتحق بالكتاب في سن مبكرة حيث حفظ القرآن فانتقل إلى منطقة (لعصابة) ليدرس علوم الدين حيث التحق بمحضرة ابن عمه الشيخ محمد وتتلمذ غلى مجموعة من مشائخ المحضرة.

رجع لقبيلته حيث تولى القضاء فيها وبدأ نجمه في السطوع، الأمر الذي أهله لأن يحكم بين القبائل المتناحرة في المنطقة في حرب تعرف في الصحراء بحرب (أم أشقاق).

فرضي الطرفان بحكمه وأنهى الخلاف وتم الاتفاق على توليه القضاء رسمياً عام 1945. وتوطدت علاقته بالشيخ حماه الله شيخ الطائفة التيجانية وكذلك الشيخ سعد بوه.

وأهم مآثر هذا الشيخ الجليل الكتاب الذي تركه بعنوان (الدرر الوهاجة في حميرية قبائل صنهاجة)، والذي لا تزال مخطوطته موجودة بموريتانيا. وفيه يذكر الداه نسب قبائل صنهاجة. ويستند على عروبتهم بآراء الأولين، وبأشعارهم، وبشجرات النسب التي تيسر له العثور عليها.

ويقول الداه في مخطوطه: «إن صنهاجة تنسب إلى صنهاج الحميري من

ولد عبد شمس بن وائل بن حمير». ويؤكد المؤلف أقواله بأقوال الأولين أمثال ابن خلدون، وابن الأثير، والكلبي وغيرهم، وكذلك بأقوال المؤرخين الصحراويين.

وفي شهر مارس عام 1977 توفي الشيخ الداه الطالب عبيدي رحمه الله.

## 29

## الفضيل بوعمر

هو الشيخ الفضيل بو عمر الأوجلي من قرية أوجلة إحدى واحات صحراء برقة والتي يقطنها عرب من قبيلة جهينة العربية. نشأ نشأة دينية، وحفظ القرآن وتعلم أصول الدين والفقه واللغة في زوايا المنطقة على يد والده الذي كان شيخاً لزاوية (الجوف). أكمل تعليمه في زاوية الجغبوب وانتقل مع شيخه المهدي السنوسي إلى اتشاد، حيث اشترك هناك في الحرب ضد فرنسا مع زميله عمر المختار. ثم عاد مع العائدين إلى الوطن. وامتشق السلاح بشجاعة نادرة دفاعاً عن الوطن ضد العدو الايطالي البغيض. وساهم في أغلب المعارك في منطقة برقة.

وعندما تولى عمر المختار قيادة الجهاد في برقة ووضع على كاهله مهمة تحرير الوطن ومقارعة الطليان الفاشست كان الفضيل بوعمر ساعده الأيمن ومستشاره الخاص ورفيقه المخلص وقائده العسكري الفذ.

فاشترك في جميع معارك عمر المختار في الجبل الأخضر ورفع معنويات المواطنين وبدأوا يحتفلون جِهاراً نهاراً بانتصا رالمجاهدين أمام أعين قوات العدو القابعة في مراكزها بالجبل الأخضر الذي تصول فيه وتجول خيول المجاهدين.

وفي يوم 20/ 9/ 1930 هاجمت القوات الايطالية مواقع المجاهدين حيث يتواجد الشيخ عمر المختار، وتمكنوا من تطويق المجاهدين بما فيهم شيخ الشهداء. وهنا اقتحم الطوق الفضيل بوعمر برجاله وأحدث فيه ثغرة مكنت الشيخ عمر المختار من الانسحاب والخروج بمن معه. وسقط المجاهد الشيخ الفضيل بو عمر شهيداً عليه رحمه الله.

وهكذا يكون الجهاد وتكون التضحية ويكون الأباء والشمم فجزاه الله عن الوطن والمواطنين أحسن الجزاء.

## 30

## المبروك الغدي

هو المبروك الغدي أحد وجهاء قبيلة الصيعان ومشائخها.

اشتهر بفروسيته وإجادته الرماية واستياق الإبل في أواخر العهد التركي ولما هاجمت ايطاليا ليبيا وقف على رأس قبيلته يقاتل الطليان.

ولما هاجرت المجموعات إلى تونس بعد سقوط المقاومة عام 1913 هاجر معهم ثم رجع إلى ليبيا فقبض عليه الطليان وحملوه أسيراً إلى ايطاليا حيث أودع السجن هناك في إحدى الجزر الايطالية.

وفي عام 1917 عاد إلى أرض الوطن حيث وقع تبادل الأسرى بين الليبيين والطليان. فامتشق السلاح واندفع يقاتل الطليان في معارك الساحل العجيلات وغيرها.

وعندما استؤنفت المعارك 1922 من قبل الفاشست حضر معركة الوخيم الشهيرة يونيه 1922 ومعركة الجوش ومعركة السلامات ثم انتقل إلى بئر الغنم حيث حضر معركتها ومنها إلى ورفللة حيث حضر معركة وادي دينار 1923

وانتقل منها إلى السدادة حيث عينه الشيخ سوف في حكومة السدادة شيخاً على أولاد شرادة الصيعان فاشترك في معارك الكراريم والمشرك.

ثم توجه إلى أرض القبلة فحضر معارك تارسين وودى الخيل وعلاق وغيرها. ثم انتقل إلى فزان لمناصرة خليفة الزاوي الذي طلب منه المناصرة فكسر حصار مرزق وذهب للمقارحة للاستنجاد بهم وأحضر منهم مجموعة من الفرسان انضموا لخليفة الزاوي وعاد للمرة الثانية فاستضافه صديقه عمر بن سلمى البوسيفي الذي غدر به وقتله وذلك لأن أولاد سيف النصر طلبوا منه ذلك ووعدوه بتعيينه مديراً على الشاطىء براك، وهكذا انتهت حياة هذا الرجل البطل المجاهد وعمره تجاوز السبعين سنة عليه رحمة الله، وذلك عام 1926.

## 31

## المبروك المنتصر الترهوني

هو المبروك بن المنتصر بن علي بن المنتصر من قبيلة الحمادات ترهونة ولد وتربى بمنطقته ولم يحظ بنصيب من التعليم ونشأ نشأة صحراوية تعتمد على الفروسية والشجاعة والكرم.

ولما هاجم الايطاليون ليبيا هب المبروك بكل جرأة وشجاعة على رأس قبيلة الحمادات يذب عن حياض الوطن.

وفي عام 1913 عندما وصلت ايطاليا إلى غات وتغلبت على المقاومة، بقي المبروك في منطقته ترهونة يتحين الفرص للانقضاض على الأعداء إلى أن وأتته الفرصة حينما طلبت ايطاليا من زعماء المناطق الوسطى تجنيد المواطنين للزج بهم في الحرب ضد المجاهدين في منطقة سرت في بداية عام 1915.

وهنا جند المبروك بجموعة من ترهونة كان هو على رأسها وكذلك رمضان السويحلي على مجموعة مصراتة ومحمود عزيز على مجموعة مسلاتة والعوراني على مجموعة زليطن وعبد النبي بن خير على مجموعة ورفللة. وعندما وصلت القوات إلى منطقة سرت وابتدأت معركة القرضابية الشهيرة انقلب المبروك المنتصر على الطليان بمن معه مع كثير من المواطنين وكان لانقلابهم ارجاح كفة المجاهدين وانهزم الطليان شر هزيمة.

ثم تقدم المبروك يطاردهم إلى ترهونة حيث خاض معركة (الجراية) الشهيرة التي تم القبض فيها على مجموعات كبيرة من الطليان بما فيهم قائدهم برتبة عقيد وأسروهم وتم سحق القوة الايطالية وقد قتل في هذه المعركة من الايطاليين وحدهم 2300 جندي من غير الارتريين وغيرهم. ويقول العقيد الذي تم أسره في ترهونة في هذه المعركة في كتابه (مع البدو) «لقد رأيت الدم يجري كالسيل مع الوادي».

وتقدم المبروك المنتصر يخوض معارك الساحل إلى أن وصل إلى منطقة زوارة. وساهم في جميع معارك 1916 ـ 1917 ـ 1918 ـ 1919.

وفي عام 1922 حينما تقدمت القوات الفاشستية ناكثة بوعدها للمواطنين خاض المبروك معارك العرقوب 1923 ووادي ويف وترهونة. ثم انتقل من ترهونة إلى السدادة ومنها إلى سرت حيث عاد على رأس مجموعة من المجاهدين وهاجم الطليان في ترهونة في معركة (الأكوام) 1923.

وفي عام 1924 هاجر إلى مصر حيث توفي هناك عام 1936 ودفن بالفيوم عن عمر يناهز السبعين عاماً عليه رحمة الله.

## 32

# الشيخ سيدي المختار الكنتي

هو الشيخ سيدي المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي من قبيلة كنتة العربية المشهورة في منطقة شرق موريتانيا وشمال مالي حول منطقة تينبكتو والتي يرجع نسبها إلى الفاتح العربي الكبير عقبة بن نافع الفهري.

ولد الشيخ سيدي المختار بمنطقة (كثيب أوغال) بصحراء مالي الشمالية سنة 1142هـ. وتربى تربية صحراوية كغيره من أبناء العرب في المنطقة حين درس في المحضرة القرآن الكريم وحفظه على أخيه الأكبر وعلى جده لأمه.

وانتقل إلى الأحياء المجاورة حيث تعلم الفقه، والتفسير، والحديث، والأصول، والنحو، والبلاغة. وقد نبغ في هذه العلوم على يد أستاذه الشيخ سيدي علي بن النجيب.

وقد ظهرت على الشيخ سيدي المختار كرامات ونبوغ فاق أقرانه في مادرس من علوم. ولما بلغ مبلغ الرجال جلس للتعليم. فأمّه طلاب العلم من مختلف مناطق الصحراء وتتلمذوا على يديه. وبرع في اصلاح ذات البين بين القبائل العربية المتناحرة في المنطقة فاكتسب سمعة طيبة. ودانت له الرقاب. وأصبح محج القبائل الصحراوية من بلاد شنقيط (موريتانيا) إلى مالي والنيجر وجنوب الجزائر، ووصل صيته إلى مملكة برنو في شمال نيجيريا وممالك الفلان وأمراء الزنوج في غرب افريقيا وأمراء الامارات الموريتانية على مختلف مشاربهم ومذاهبهم.

وقد استطاع الشيخ سيدي المختار أن يخصص من وقته وقتاً للتأليف، بحيث ترك ثروة من المخطوطات تربو على ثلاثمائة مؤلف في مختلف فنون

المعرفة ضاع جلها ولم ينجو من التلف إلا حوالى الثمانين كتاباً منها:

1 ـ تفسير البسملة.

2 ـ تفسير الفاتحة.

3 ـ بلوغ الوسع على الآيات التسع.

4 ـ نضار الذهب.

5 ـ نزهة الراوي وبغية الحاوي.

6 ـ هداية الطلاب.

7 ـ فتح الوهاب.

8 ـ الشموس الأحمدية.

9 ـ الجرعة الصافية.

10 ـ بديعة المنوال.

11 ـ فتح الودود.

12 ـ كشف اللبس.

13 ـ نصيحة المنصف.

14 ـ الأجوبة المهمة.

15 ـ زوال الألباس في طرد الشيطان الخناس.

16 ـ البرد الموشي.

17 ـ ألفية في العربية.

18 ـ جذور الأنوار.

وأغلب هذه الكتب والرسائل لم يطبع باستثناء كتاب (فتح الودود) الذي أشرف على طبعه وإخراجه الأستاذ مأمون محمد أحمد.

وفي يوم الأربعاء الخامس من شهر جمادي الأولى عام 1226 توفي الشيخ

سيدي المختار عن عمر يناهز 83 سنة قضاها في الاصلاح ونشر الدين الاسلامي بين البدو الغشماء. وقد ترك من اسمه مناراً يحتذى به في منطقة الصحراء الكبرى. ودفن عليه رحمة الله في مكان يدعى (بو الأنوار) شمال تينبكتو) ولابنه محمد مخطوط يسمى (الطرائف والتلائد في أخبار الوالدة والوالد) ذكر الكثير من مناقبه عليه رحمة الله.

## 33

## المهدي السني

هو ابن العالم والمجاهد الكبير محمد السني. تعلم القرآن وعلم الدين على يد معلمه وأستاذه الأول والده بزاوية مزده. ثم انتقل إلى زاوية الجغبوب حيث أتم تعليمه. وانتقل إلى تشاد لمساعدة والده حيث كلف بإدارة زاوية (فايا).

وقد كان المهدي شيخها عندما هاجم الفرنسيون فايا وقاد المجاهدين في معركة ضارية للدفاع عنها. ووصل إلى والده بعد أن سقطت فايا وقد خرم الرصاص أثوابه وحماه الله من القتل.

وانتقل المهدي إلى (القفرة) بعد ذلك حيث نجده في منطقة فزان يحرض المواطنين على الجهاد ضد ايطاليا ولبّى دعوته مئات المواطنين. وكانت ايطاليا عام 1914 قد وصلت إلى غات واستقرت في أغلب الأراضي الليبية.

وقد هاجم المهدي منطقة سبها (القارة) بمجموعته الصغيرة واستولى عليها. وكذلك أوباري ومرزق وپراك.

وعلى امتداد الصحراء الليبية سمع المواطنون نداء المهدي للجهاد وقاموا ملبين لصوت الحق فاندلعت الثورة وقام المهدي يقودها. فوقعت معارك

مرسيط وسبخة المجزم 1915 ووصل إلى غدامس ثم إلى نالوت وقام بمساعدة خليفة بن عسكر على الثورة.

ثم قام بتحريض المجاهدين على الثورة ضد الفرنسيين أعداؤه القدماء وقام بمهاجمتهم في عدة مواقع حدودية الرمادة، أم اصويغ، وازن، ذهيبة. وعلى طيلة عامي 1915 ـ 1916 ثم انتقل إلى الساحل واستقر مع محلات المجاهدين بالعجيلات 1917 ـ 1918 وحضر صلح بنيادم وانتقل للجنوب حيث ساهم في معظم معارك القبلة.

وعند وصول الايطاليين إلى الجنوب قبض على المهدي السني مع أفراد أسرة السني جميعاً وحددوا اقامتهم بمزدة وتوفي عليه رحمة الله مريضاً بعد وفاة والده بسنة أي عام 1933م. ودفن بمزدة.

34

## آلّه بشير

ينتمي إلى قبيلة (افوغاس) العربية التارقية التي تنتمي في نسبها إلى الحسن بن علي عليه السلام.

قام هذا الرجل بمقاومة الفرنسيين مع مجموعات من قبيلة افوغاس القاطنة في منطقة كيدال شمال جمهورية مالي الحالي.

ولما تغلب الفرنسيون بأسلحتهم المتفوقة وتساقطت المجموعات المجاهدة وبعضها استشهد واستسلم البعض الآخر أقسم آله بشير ألا يستسلم للفرنسيين وألا يضع يده في أيديهم.

وبدأ يناوئهم ويناوشهم وحيداً وهم يطاردونه، متخذاً من جبل كيدال مركزاً لانطلاقاته.

لم يفت في عزمه لما قبض الفرنسيون على أسرته وسجنوا زوجته وأولاده واستمر يقاتل. ويصطدم معهم كلما لقيهم إلى أن طوقوه ذات يوم وأطلقوا عليه النار من قريب وأردوه قتيلاً. وقطعوا رأسه وحملوه إلى الضابط الفرنسي في (قاو). وقد سقط شهيداً رحمه الله بعد أن دوخ الفرنسيين أكثر من ثلاثين سنة.

وقد استطاع ابنه (اللادي) أن يحمل راية التمرد والذي تركه صغيراً لا يزيد عمره عن ثماني سنوات.

فاشترك اللادي في ثورة كيدال عام 1963 ضد ظلم موديبوكيتا رئيس مالي الأسبق. وقبض عليه وسجن حيث بقي في السجن قرابة خمسة عشر سنة. ثم فر من السجن والتحق بالشمال.

لقد التقيت باللادي عام 1981 وحدثني حديث ثورة والده، وثورته وأراني آثار القيود في معصميه وعضديه وآثار السياط في ظهره والتعذيب.

رحم الله آله بشير، وأطال في عمر ابنه اللادي.

**35**

## الولي مصطفى السيد

هو الولي بن مصطفى السيد من قبيلة الرقيبات الشهيرة بالشجاعة والفروسية في منطقة الساقية الحمراء. ولد عام 1948م بالصحراء.

درس علومه الأولية في محاضر الساقية الحمراء ثم انتقل إلى طرفاية حيث درس الابتدائية في مدارسها النظامية ثم انتقل إلى مراكش ليلتحق بمعهد ابن يوسف ولكنه طرد من الدراسة لاشتراكه في مظاهرات طلابية فاشتغل في تعبيد الطرق. ثم التحق بالثانوية (بتادونيت) بمعهد محمد الخامس ومن

تادونيت التحق بالجامعة في الرباط بكلية الحقوق ولكنه لم يتم دراسته بها فخرج من السنة الرابعة ليقود ثورة الساقية الحمراء ضد اسبانيا.

التقيت به عام 1972 واتفقنا على الثورة ضد الاسبان وأن تقوم الثورة في ليبيا بمساعدة السكان الصحراويين على التحرر. وخططنا للثورة وفجرها في 10 مايو 1973.

اندلعت الثورة تحت قيادته ولم تبخل ليبيا بالمساعدات إلى أن خرجت اسبانيا من الصحراء في 27 فبراير 1976 فأعلن الولي الرقيبي الجمهورية الصحراوية ولكن المغرب وموريتانيا تقاسمتا الساقية الحمراء ووادي الذهب بالاتفاق مع اسبانيا واقتحمت جيوشهما المنطقة في حرب ابادة للشعب الصحراوي الصغير وقام الولي الرقيبي يقود شعبه متصدياً الغزو المغربي الموريتاني.

وفي يوم 9 يونيه 1976 هاجم عاصمة موريتانيا بفرقة صحراوية سقط في المعركة الدائرة مع الموريتانيين عليه رحمة الله. ولتفاصيل حياة الولي مصطفى السيد الرقيبي وثورة الساقية الحمراء يمكن الرجوع لكتاب (الأسراب الجانحة) للمؤلف.

## 36

## بشير بن أسديره

هو البشير بن علي بن سديره الهمامي من قبيلة الهمامة العربية المشهورة في صحراء تونس بمنطقة قفصة.

كان جده شيخ قبيلة الهمامة التي اجتازت الحدود الليبية مهاجرة بدينها عند دخول فرنسا لتونس 1881.

ولد البشير حوالى سنة 1892م. وتربى تربية بدوية قوامها الفروسية والرماية والصيد.

وفي بداية الحرب العالمية الأولى استدعته فرنسا للتجنيد فالتحق بالجندية بالقيروان، وبعد شهرين من التحاقه فرّ بسلاحه وصعد جبال اجلاص وتنقل بين شعابها إلى أن وصل إلى منطقته وكوّن مجموعة من المجاهدين سرعان ما بدأت تكبر إذ بدأ الشباب يلتحقون به ويهاجمون المواقع الفرنسية. واصطدم بالفرنسيين في عدة معارك ضارية أهمها معركة (جبل بوهدمة) حيث دامت المعركة ثلاثة أيام وذلك عام 1919 واستطاع أن يصد فيها الفرنسيين ومعركة (خلوة بورملي) وكاد أن يحاصره الأعداء لكثرتهم ولكنه أفلت من الحصار وسقط شقيقه عمار شهيداً وجرح بعض رفاقه.

وبدأت المطاردة بينه وبين الفرنسيين الذين لجأوا لغصب الأهالي على مطاردته. وكان في كل موقعة يسقط منهم القتلى كما يسقط من رفقائه شهداء.

واشتهر اسم البشير في منطقة الجنوب التونسي وبدأ الشعراء يمتدحون بطولته وشهامته وشجاعته، الأمر الذي جعل من الشباب يتحمسون للانضمام إليه وجعل أعوان فرنسا يصممون على إنهائه. وأخيراً لجأ الفرنسيون للغدر فكلفوا شخصاً يندعى بالقاسم الأقرع ووعدوه بالمال أن يقتل البشير غدراً.

فقام هذا والتحق به مدعياً أنه على خلاف مع الفرنسيين وأنه منضم له في الثورة ووثق البشير من كلامه واطمأن له بعد أن رافقه عدة أيام.

ويقول الأستاذ المرزوقي:

«وفي ليلة مظلمة حوالى الساعة العاشرة من مساء أحد أيام شهر ماي 1919 كان البشير نائماً في مكان خالٍ مطمئناً من العيون وبجانبه الخائن بالقاسم الأقرع. وكان محمد شقيق البشير بعيداً عن مكانهما بمسافة قليلة فاغتنم الأقرع الفرصة وصوّب بندقيته إلى صدر البشير النائم. وأطلق الرصاصة فكانت القاضية وفرّ تحت ستار الظلام».

وهكذا انتهت حياة بطل من أبطال الجهاد ضد الفرنسيين في الصحراء الكبرى عليه رحمة الله.

## 37

## بكار ولد سويدي أحمد

وصل الفرنسيون إلى السنغال عام 1626 حيث استقروا في مدينة (اندر) والتي أسموها (سان لويس) بقرب نهر (صنهاجة) (السنغال) ومن هنا بدأوا يتوسعوا في مستعمرتهم الافريقية وكثفوا من دراسة المنطقة وكيفية الدخول إليها.

واستعانوا بخيرة رجالهم خبرة ومعرفة باللغة العربية والدين الاسلامي والطرق الصوفية ذلك هو (كوزافييه كوبولاني) وهو موظف كان في الادارة الفرنسية بالجزائر وله إلمام كامل باللغة العربية والدين الاسلامي والطرق الصوفية. واستطاع أن يصل إلى شيوخ الطرق في الصحراء والسنغال ويعقد معهم اتفاقات لأن الفرنسيين أرسلهم الله ويجب عدم معارضة القدر!

وهكذا كسب إلى جانبه الشيخ (سعدبوه) شيخ الطريقة القادرية في السنغال والشيخ (بابا سيديا) شيخ الطريقة القادرية في أبي تليميت بإمارة (الترارزة) وعقد اتفاقيات مع الامارة وتغلغل الاستعمار الفرنسي إلى موريتانيا ابتداء من عام 1902م، حيث استولى على امارة الترارزة بدون مقاومة وكذلك امارة البراكنة.

ولكن ما إن وصل الفرنسيون للشمال حتى اصطدموا بالمقاومة العنيفة من رجال الشيخ ماء العينين وأتباعه والقبائل الموريتانية في مناطق (الأدرار) وتجكانت.

وعند مهاجمة الفرنسيون لمخيم الأمير بكار ولد سويدي أحمد هب ضمن

رجاله يقاتلهم وقد كان عمره كما تقول الروايات الشفهية في الصحراء (106) مائة وست سنوات.

وهنا سقط بكار جريحاً وقال لرجاله:

× عليكم بالإنسحاب.

فقالوا له:

× قد يلحق بنا الفرنسيون. ولهذا يجب الدفاع هنا في مواقعنا.

فقال لهم:

× إن الذئب لا يتخطى جثة الأسد الميت. والفرنسيون لا يتخطونني عندما يجدونني ميتاً.

وفعلاً بقي الفرنسيون محتفلين بمقتل الأمير ونجا بقية المجاهدون من الفناء.

وبعد سنة من تاريخ سقوط الأمير بكار شهيداً، نظمت مجموعة من رجاله محاولة فدائية جريئة لاقتحام مخيم الضابط الفرنسي (كوبلاني) بحيث تمكن (مولاي الزين) من مهاجمة (كوبولاني) بخنجر وطعنه به وأرداه قتيلاً وذلك عام 1905.

وهكذا ما أن ينتهي بطل من أبطال الصحراء حتى يولد آخر.

38

## بوشيري بن سالين

بطل من أبطال العرب وفارس من فرسانهم وفي غمرة الصراع بين القوات العربية العمانية والبرتغاليين في شرق افريقيا الذي اندلع عام 1650 واستمر إلى عام 1698 حين حاصرت القوات العمانية حصن يسوع لمدة ثلاث

سنوات قضت خلالها على أكثر من ألف جندي برتغالي، وتم طرد البرتغاليين من الساحل العربي الشرقي لافريقيا.

وعند وصول الألمان للساحل الشرقي هبّ المواطنون للدفاع عن وطنهم ودينهم والتفوا حول بوشيري بن سالين الذي قاد الجهاد بمهارة (وكان واسع الدهاء والشجاعة، عميق الاخلاص لدينه ووطنه).

وقد انفجرت ثورته عام 1886 وهاجم الساحل وسحق القوات الألمانية التي نزلت بالساحل ودخل دار السلام فقبض على البعثات التبشيرية بها وأصبح له السلطان في مناطق واسعة.

وزحفت المانيا بقواتها الكبيرة وبأسطول ضخم يقوده (الميجور فيسمان) ودار صراع طويل مرير انتهى بالقبض على المجاهد بوشيري وإعدامه في ديسمبر 1888 عليه رحمة الله. وتسلم الزعامة من بعده الزعيم بوناهري الذي لم تدم قيادته طويلاً ولكن أعقبتها ثورة (ماجي ماجي) التي استمرت ثلاث سنوات 1905 ـ 1908.

وكلفت المستعمر الالماني الكثير من الأرواح والعتاد.

**39**

## حامد ادريس عواتي

هو أحد أبناء ارتريا العربية ولد بها وبها تعلم تعليمه الأولى.

وما إن شب وترعرع حتى وجد الاستعمار الايطالي يخيم على ارتريا. ووجد الأراضي الزراعية تسلم للمزارعين الطليان المستوطنين وتسلب من أهلها الحقيقيين. ووجد شعبه العربي المسلم يخضع لسيطرة العدو ويهمل ويفتك به الجهل والمرض والفقر ووجد الأسر الأرترية لا تجد ما تسد به

رمقها في الوقت الذي تتكدس فيه خيرات البلاد في أيدي المعمرين الطليان والخونة من العرب المتعاونين.

وجد كل هذا فبدأ يفكر في الثورة. فقامت الحرب العالمية الثانية، وخرجت ايطاليا مهزومة واستلمت مستعمراتها بريطانيا التي سلمت ارتريا لقمة سائغة للنظام الاثيوبي (هيللا سيلاسي) المتعاون مع الاستعمار ومع الكنيسة التي تسعى جاهدة لتنصير الشعب الارتري العربي المسلم.

وبدأ الشعب الارتري يتململ ويتحسس طريقه وتكونت مجموعات من رجاله الواعين تنظم للثورة وتشكلت كوادرها الأولى التي أوكلت رئاسة العمل العسكري وقيادته للمجاهد حامد عواتي. فقام بالمهمة خير قيام وانطلق مع مجموعته الصغيرة في أول صدام عسكري يوم 1/ 9/ 1961 بخمسة بنادق ايطالية قديمة وبندقية انكليزية (303) ومجموعة من السيوف والخناجر.

وبدأت الثورة تكبر وتتأجج حتى عمّت كل اقليم ارتريا. وفي شهر مايو 1962 استشهد المجاهد حامد في معركة مع الأحباش ولم يمنع ذلك ثورة ارتريا من الانطلاق والتأجج ولم يضعفها موت مفجرها ولا استشهاد آلاف الارتريين الآخرين وتشريد آلاف العائلات والأطفال وموتهم جوعاً وعطشاً.

لم يثن الثورة والثوار ذلك.

وها نحن الآن أنهينا العيد الثلاثين لثورة ارتريا وسقط هيللا سيلاسي ومن خلف هيللا سيلاسي ولا تزال الثورة المنادية بعروبة ارتريا واحترام دينها الاسلامي ولغتها العربية تتصاعد وتتنامى يرثها الابن عن الأب والحفيد عن الجد في زخم بشري لا ينضب إلى أن تنتصر الثورة والثوار بإذن الله[1]

(1) انتصرت الثورة الأرترية وأصبحت دولة مستقلة.

## 40

# حبيب الله بن عابدين الكنتي

هو الشيخ سيدي حبيب الله الكنتي حفيد الشيخ سيدي المختار الكبير، وابن المجاهد عابدين الكنتي الذي له صولات ضد الاستعمار الفرنسي.

وُلد الشيخ حبيب الله في صحراء مالي (الحالية) ودرس علوم الدين والفقه وأصول اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم في زاوية جده (بتينبكتو) وتفرغ للتدريس كعادة علماء هذه الأسرة.ولم نعثر على تاريخ ولادته.

وللشيخ سيدي حبيب الله أو كما ينطق اسمه الصحراويون (سيدي حي بالله) كرامات شهد له بها الجميع.

وعندما استقلت مالي عام 1960 سئل الشيخ حبيب الله عن هذه الدولة الجديدة فأجاب (ستكون حسنة ولكنها ستقتلني).

وفي ثورة كيدال عام 1963 اجتمع الثوار زيد الطاهر ومن معه في خيمة الشيخ سيدي حبيب الله. ودعا لهم وزودهم بالأحجبة. فقبضت عليه حكومة مالي بل قبض عليه جنود مالي في حملتهم الجنونية في قتل كل من يقع تحت أيديهم من عرب الشمال في هذه الثورة ـ وكان الشيخ حبيب الله قد كفّ بصره في آخر أيامه ـ وأطلقوا عليه النار وقتلوه وكان عمره قد ناهز الرابعة والثمانين سنة، أي أنه يكون مولده قريباً من عام 1878م.

ويقول الصحراويون إن الضابط الذي قتله أصابه الجنون في نفس اليوم ومات.

وهكذا كانت نهاية هذا العالم الورع كما كانت نهاية مئات العلماء العرب المسلمين في عهد رئيس مالي موديبوكيتا.

## 41

# حمه بن اخليفة

ينتمي إلى قبيلة الجعافرة التي يرجع نسبها إلى جعفر الطيار شهيد مؤتة.

تقطن قبيلته في منطقة جنوب شرق بلاد شنقيط في منطقة (تركز).

حمل راية الجهاد ضد فرنسا وقاومها بضراوة ولكن جهاده لم يطل إذ إنه كان يفتقر للدعم وللأسلحة المتطورة فقضي على مقاومته ورحل عن المنطقة مهاجراً مبتعداً بدينه وبقومه عن الحكم الفرنسي وبقي بعيداً عنهم إلى أن توفي عليه رحمة الله.

## 42

# أحمد بن محمد المرجبي

هو أحمد بن محمد بن جمعة المرجبي، الذي يطلق عليه الأوروبيون (تيبوتيب).

ولد في زنجبار العربية عام 1832 عندما كانت إحدى توابع سلطنة عُمان أيام سلطانها برغش بن سعيد.

استطاع هذا الرجل البطل أن يشق طريقه عبر شرق افريقيا، ويمتهن التجارة ويكوّن جيشاً من الأتباع والخدم حتى وصل إلى الكونغو التي يعتبر فاتحها الأصلي ومدخل الدين الاسلامي إليها.

رفع علم بلاده زنجبار على الكونغو معترفاً بسلطنة برغش بن سعيد. ويقول د. أحمد شلبي:

«وسارت تجارة المرجبي شوطاً واسعاً داخل افريقيا وتوغلت قواته مع تجارته لتحميها وتدافع عنها واستطاع أن يصل إلى الكونغو وأن يقيم به وبالمناطق الأخرى التي دخلها محطات تجارية ومراكز عسكرية حصينة. واستطاع بالمصالحة حيناً وبالحرب حيناً أن يرفع علم برغش سلطان زنجبار على مساحات شاسعة بالداخل، اعترفت بتبعيتها لزنجبار وكان المرجبي يلقب (فاتح الكونغو)».

ويقول شلبي:

«وقد التقى (ويقصد المرجبي) سنة 1867 بالرحالة الانكليزي لفنجستون وأنقذ حياته من الجوع والمرض، كما ساعد سنة 1872 الرحالة استانلي في البحث عن لفنجستون بعد أن انقطعت أخباره..».

وفي أواخر القرن التاسع عشر تعاونت القوات البلجيكية والانكليزية في مهاجمة أحمد المرجبي للتخلص منه والسيطرة على وسط افريقيا. وخاض ضد القوتين معارك طاحنة سقط فيها مئات الشهداء. واستولى الاستعمار البلجيكي على الكونغو بعد معركة عام 1892 الشهيرة. وأمام عدم تكافؤ السلاح انسحب المرجبي إلى زنجبار حيث تم القبض عليه من قبل الانكليز وأودعوه السجن حيث توفي في معتقله عام 1905 عليه رحمة الله.

وهكذا كان الجزاء لمساعدته لجواسيس بريطانيا وبلجيكا الذين قدموا للمنطقة كرحالة همهم البحث والدراسة فإذا بهم طلائع الاستعمار الحديث.

43

## خليفة وردة

ينتمي إلى قبيلة (الزرقان) إحدى قبائل الجنوب التونسي لها فرع ببلدة (يفرن) بليبيا.

تشتهر قبيلته بالشجاعة والفروسية والكرم. التحق خليفة وهو من وجهائها وذوي الرأي فيها بالجهاد الليبي منذ عام 1915.

واستمر يقاتل الايطاليين والفرنسيين في الأعوام 1915 ـ 1916 ـ 1917، ضمن مجاهدي المناطق الغربية لليبيا.

وانتقل إلى العجيلات حيث استقر المجاهدون متخذين من هذه الواحة مقراً لقيادتهم وبدأ خليفة يغير على مواشي القبائل المنضمة للطليان ويستاق إبلهم.

كما أن الطليان جندوا مجموعات من القبائل الموالية لهم وسلحتهم ودفعت بهم لمقاتلة المجاهدين واستياق إبلهم.

وقد تمّ لهؤلاء المنضوين تحت لواء الطليان أن يسوقوا إبل خليفة وردة من منطقة الجوش وأن ينجو بها بعد أن جرح عدة أفراد من المدافعين عنها.

وهنا سار خليفة وردة وحيداً لإرجاع إبله وقد تمكّن من استياق إبل أحد المتعاونين مع الطليان.

غير أنه في اغارة على قبيلة (النوائل) المتعاونة مع الطليان، وكان برفقته عبد العاطي الجرم وبلاعو من المهاجرين التونسيين. وفي المعركة الغير متكافئة بين فرسان النوائل وثلاثة من المجاهدين فقط. قتل فيها حصان عبد العاطي الجرم ونفذت ذخيرته وجرح خليفة وردة جرحاً خطيراً فأسره النوائل ولا

تزال فيه بقية حياة فقتلوه صبراً عليه رحمة الله عام 1917، وعمره يزيد عن الستين سنة وحملوا رأسه للضابط الايطالي بالعسة الذي اشمأز للمنظر وصفع الرجل الذي أحضر له الرأس وأمر بدفن الرأس.

**44**

## خناتة بنت بكار

خناتة بنت بكار بن علي بن عبد الله المغافري. سيدة صحراوية من منطقة الساقية الحمراء وضواحيها. لها علم بالفقه والأدب ككثير من نساء الصحراء. تزوج بها المولى اسماعيل بن محمد العلوي السجلماسي وذلك عندما التقى بها في إحدى غزواته في الصحراء حوالى عام 1089هـ.

واستطاعت هذه السيدة الأديبة أن تحوز رضا وإعجاب اسماعيل، فأصبحت محل مشورته وبيت أسراره. وقد أنجبت له أولاداً وبناتاً أشهرهم المولى عبد الله. ولما توفي زوجها عام 1139هـ، حيث قام صراع على السلطة بين ولدها الذي كان صغيراً وأولاد زوجها فآذوها وضيقوا عليها ولكنها تصدّت لذلك بكل صبر وأناة وعمل دائب صامت لا يكلّ ولا يفل، إلى أن تمكنت من تثبيت ولدها عبد الله في الحكم وتحصلت له على البيعة. وحينها ذهبت لأداء فريضة الحج وأنفقت أموالاً طائلة في طريقها للحج، وعمت الناس بعطاياها وذلك عام 1142هـ. وقد توفيت بعد عودتها بمدة ودفنت بفاس عام 1155هـ، وقد سماها صاحب الاستقصا (خناثي) بدلاً من خناتة.

## 45

# ديلول

هو شخصية موريتانية مشهورة بالحكمة والتعقل وتنسب إليه الكثير من القصص والحكآيات التراثية الصحراوية.

ويقول الصحراويون في موريتانيا أنه عاش في عصر من العصور وأن قبره لا يزال ببلدة (اقجوجت).

وبقدر ما كان هذا الرجل حكيماً كانت إحدى بناته تضاهيه في الحكمة والعقل، ومن قصصهم عن ديلول:

كان يتغدى الكسكس مع ضيوفه فتساقطت حبات من الكسكسي على لحيته ولم يرها. فقالت ابنته:

× إن الإبل قد تفرقت يا أبي.

فانتبه لملاحظتها ومسح لحيته بيده وقال:

× إن رعاتها خمسة وسيجمعونها.

ولم يتفطن الأضياف لما حدث وظنوا أن الحديث عن الإبل.

ومن ملاحظاته وشدة انتباهه أن شخصاً من قبيلة مسومة استاق أحد عبيده إبله. وغاب بها في مكان لا يعلمه أحد لعدة سنوات. وكان صاحبها يسأل عنها.

فلما جاء لديلول يسأله قال له:

× ما لون إبلك؟

قال:

× حمراء.

قال ديلول:

× إن غرباناً يشيّدون عشهم يأتون بوبر أحمر من جهة الشرق، فاتبعهم لعلها تكون إبلك.

وفعلاً لما تبعهم الرجل على جمله وجدها إبله. فتحايل على العبد إلى أن قتله ورجع بإبله.

ولكثرة ما يحكي الصحراويون القصص عن ديلول حتى أصبح علماً معروفاً بالحكمة وقوة الفراسة ومضرباً للمثل.

## 46

## رابح بن فضل الله

بطل من أبطال الجهاد ضد الفرنسيين في تشاد. ورجل الوحدة للإمارات والممالك التشادية. وبالرغم من قلة المصادر التي تذكر هذا الرجل، والكثير منها يهمل التفاصيل إلا أننا نعتمد هنا على كتاب (تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال 1894 ـ 1960) لعبد الرحمن عمر الماحي فيقول معرفاً برابح:

«ولد رابح بن فضل الله عام 1945 في قرية حلفاية الملوك مديرية الخرطوم. درس القرآن الكريم في كتاب قريته على يد الفقيه هاشم. وعندما بلغ العشرين من عمره سافر إلى القاهرة والتحق بجيش الخديوي اسماعيل حيث تدرّب على مهنة حمل السلاح. وقد أصيب في أثناء مناورة عسكرية في يده اليمنى. فشوّهت له هذه الحادثة الأصبع البنصر. وجاء الإصلاح العسكري بإبعاده عن الجيش المصري فاضطر للعودة إلى بلاده. وقد علم بوفاة والده قبل أن يغادر القاهرة.

في تلك الفترة كان اقليم بحر الغزال قد اشتهر بثروته الطبيعية (العاج، ريش النعام، والأبنوس) وكان مجموعة من تجار الجلاية قد أسسوا فيه مناطق

نفوذ شاسعة حيث كانت عمليات التجارة تدر عليهم أرباحاً طائلة. ومن بين هؤلاء «الزبير رحمة باشا» الذي ضمّ «رابح» إلى خدمته عند وصوله إلى بحر الغزال بحثاً عن الحياة والمال..».

وقد كان الزبير باشا من التجار الذين كونوا ثروة طائلة وشكّل حوله حرساً وجنود فتح بهم منطقة دارفور وأصبح حاكمها من قبل الخديوي اسماعيل ولخلافات بينه وبين حاكم السودان المصري اسماعيل أيوب، استدعاهما الخديوي إلى مصر واستبقاهما بجواره. وعين ابن الزبير المدعو سليمان حاكماً للإقليم، بحر الغزال. ولكن غوردون باشا عزل سليمان، فثار سليمان على سلطة الانكليز في السودان، فأرسلوا إليه الضابط الايطالي «رومولو جسي» للقبض عليه، فحاربه سليمان فلجأ جسي للخديعة حيث أبرم اتفاقية مع سليمان يسلم بموجبها نفسه للحكومة.

وكان رابح أحد قادة سليمان ومعاونيه فطلب من سليمان عدم التسليم. ولكن سليمان سلم نفسه. وتم إعدامه مع جميع قادته الذين استسلموا لـ (جسي).

خرج رابح بمن معه مفارقاً لسليمان في يوليو 1879 باتجاه الحدود السودانية التشادية وبدأ يستعد لتكوين جيش من أنصاره ويشتري الأسلحة من المواطنين والتجار.

هاجم رابح الممالك التشادية في ذلك الزمن مملكة واداي، ومملكة برنو، ومملكة باقرمي وراسله محمد المهدي يدعوه للانضمام لنصرته في السودان ولبّى الدعوة واتجه صوب السودان. ولكنه سمع قبل وصوله بموت محمد أحمد المهدي. فرجع رابح إلى تشاد، واستمر في إخضاع المناطق إلى سلطته حتى عام 1899 عندما وصلت طلائع الاستطلاع الفرنسي. وقد تلقى رابح رسائل من الشيخ محمد المهدي السنوسي يطلب فيها منه تكاثف الجهود لصد الغزو الصليبي. غير أن الفرنسيين تمكنوا من استمالة الرؤساء الذين يناصبون رابح العداء في المنطقة، وأولئك الذين أسقطهم رابح من عروشهم.

وقد ضغط الفرنسيون على الخديوي اسماعيل لاستمالة رابح. وأرسل إليه

الزبير باشا عدة رسائل يطلب منه حسن استقبال الأوروبيين ولكن رابح لم يأبه لهذا الطلب.

ووصل الفرنسي (بيهاجل) إلى رابح الذي استقبله كوكيل تجاري، ولكنه أساء الأدب مع رابح بطلبه التنازل له عن أراضي شاسعة فسجنه رابح ثم أعدمه.

وفي 17 يوليو 1899 بدأ الصدام بين القوات الفرنسية ورابح، حيث استطاع رابح بكل شجاعة أن يسحق القوات الفرنسية الزاحفة في منطقة (كوريل) وغنم رابح مائة وخمسين بندقية ومدفعين.

وفي يوم 28 أكتوبر 1899 وقعت معركة عنيفة بين الطرفين استمرت ثلاثة أيام بلياليها فقد فيها رابح مجموعة من أقدر رجاله ومساعديه. وانسحب لينظم صفوفه وعزّز الفرنسيون قوّاتهم بقوة قادمة من الجزائر بقيادة العميدين (فورو ولامي) وقوة أخرى من النيجر حيث التقت القوتان في قرية (جولفي) وبدأت هجوماتها في مارس 1900، بعد أن اتفقت الحملات الثلاث على تنصيب العميد لامي قائداً للعمليات.

في يوم 22 أبريل 1900 وعند الساعة السابعة صباحاً والنصف بدأ الهجوم على معسكر رابح. ويقول عبد الرحمن الماحي:

«واندلع القتال بين الجانبين، وركزت القوات الفرنسية قوتها على رابح، بعد أنْ علمت أنه يشكل عماد القوة المعنوية لجيشه في الميدان. وفي حوالي الساعة الحادية عشر صباحاً، أصيب رابح بكسر في رجله، فالتفّ حوله الرجال لحمايته. وانتهز الفرنسيون الفرصة وانهالوا عليهم بالرصاص. فقتل رابح. وسقط بجانبه عدد كبير من الرجال، وعلى رأسهم القدم قائد اللواء السادس وحمدان قائد اللواء الثالث ويوسف ماندراتي قائد اللواء السابع والعشرين ورزق الله قائد اللواء التاسع والعشرين. أما الجانب الفرنسي فقد أصيب قائد العمليات الحربية العميد «لامي» بإصابة خطيرة مات على أثرها في المساء. وقتل النقيب «كوانتيه» وعدد كبير من رجال القوات الفرنسية والباقرمية. . .».

وهكذا سقطت مملكة رابح بعد فترة مليئة بالأحداث دامت سبع سنوات من (9 مايو 1893 إلى 22 أبريل 1990).

وقد حاول ابن رابح المسمى فضل الله أن يصدّ الفرنسيين وينظّم صفوف الجهاد، ولكنه قتل هو الآخر في معركة 2 مايو 1901.

وقد تذكر بعض الوثائق اسم رابح بلقب الزبيري، نسبة إلى الزبير رحمه الله.

وهكذا قضى الاستعمار على بطل من أبطال العروبة والإسلام في منطقة الصحراء الكبرى.

## 47

## زيد بن الطاهر

هو الأمير زيد بن الطاهر من قبيلة إفوغاس التارقية القاطنة منطقة (كيدال) شمال مالي، والتي يرجع نسبها إلى الحسن بن علي رضي الله عنه.

ولد زيد حوالي عام 1925 في منطقة كيدال، وتلقى العلوم الدينية وحفظ شيئاً من القرآن في كتّاب المنطقة وكان والده أمير أو كما يقول التوارق (سلطان) قبيلة أفوغاس.

وفي عام 1960 توفي والده وخلفه ابنه زيد على سلطنة (إفوغاس) وكان استقلال مالي على الأبواب فدعته حكومة فرنسا إلى باريس للزيارة مع مجموعة مشائخ التوارق وقيادات غرب افريقيا، وكانت فرنسا تسعى لإقامة جمهورية الصحراء لتفصل منطقة الصحراء الكبرى من الدول المجاورة وتكونها جمهورية مستقلة وتريد تأييد القبائل العربية القاطنة بها.

استلم (موديبوكيتا) رئاسة مالي. وحاول تطبيق الشيوعية الصهنية وأضر

بالمواطنين وخاصة عرب الشمال، فقام زيد بالثورة ضد حكومة مالي. واستمرت هذه الثورة قرابة العام وتم القبض على زعاماتها ومن ضمنهم زيد وحكم عليهم بالإعدام الذي خفف إلى السجن المؤبد.

وفي عام 1978 أطلق سراح زيد وجماعته. واستقبل باستقبال شعبي كبير وعاد إلى منطقة كيدال.

وعندما نشبت الثورة في الشمال من مالي عام 1990 كان زيد جذوتها وقطبها.

زار ليبيا في ربيع 1991 والتقيت به ونشأت بيننا صداقة حميمة.

زيد بن الطاهر علم من أعلام الصحراء، مؤمن بعروبته ايماناً لا يرقى إليه الشك مؤمن بإسلامه ايماناً مطلقاً.

يسعى لرفاهية شعبه ومنحه الحرية التي يحاول الحكم العسكري في مالي كبحها.

وأخيراً علمت أن عرب الشمال وحكومة مالي توصلت إلى اتفاق. نتمنى له النجاح ونتمنى لزيد الصحة والعافية وطول العمر.

## 48

## سالم بن عبد النبي الزنتاني

هو سالم بن عبد النبي الناكوع الزنتاني من قبيلة الغنائي إحدى قبائل الزنتان.

لم يتلق حظاً وافراً من التعليم بل لم يتلق أي تعليم ولكن بيلاردينيللي يقول عنه:

«زعيم مرموق للزنتان الرحل. فهو رجل حاد الذكاء رغم أنه أمي. جريء وشجاع وذو طاقة وحيوية هائلة فضلاً عن قدرته الفائقة في تنظيم (المحلات) دائماً على استعداد للكفاح حيثما كان هناك دافع لذلك وكلما سنحت الفرصة للغزو والسطو».

عاش حياته حياة بدوية متنقلاً وسط صحراء الحمادة الحمراء وفزان والجبل الغربي معتمداً على فروسيته وشجاعته. وكان كثيراً ما يباغت القبائل المجاورة فيستاق منها إبلها على عادة العرب أيام عصره ورمز فروسيتهم تلك الأيام.

وكان أيضاً يشارك في صد الغزوات المقابلة من القبائل الأخرى على قبيلته.

وما إن نزلت الأساطيل الايطالية على شواطىء ليبيا نراه يمتشق سلاحه مجاهداً في سبيل الله خائضاً المعارك في سبيل حرية الوطن.

وكان وضعه داخل المحلات جندياً كغيره من الجنود لأن في المجاهدين من هو أقدم منه جهاداً وأسن منه وأكثر منه دراية بالحرب. فكان سالم جندياً مطيعاً لقادته.

ويظهر سالم عبد النبي في فزان حيث يلتقي بالشيخ المهدي السني الذي كلفه باقتحام قلعة القاهرة بسبها الحصينة.

وفي ليلة 27 ـ 28 نوفمبر 1914 استطاع المجاهد سالم بن عبد النبي أن يقتحم قلعة القاهرة الحصينة ويستولي عليها ويأسر ويقتل من بها من الطليان. وكان لهذا الحدث بداية الشرارة لثورة 1915 التي طردت الطليان من جنوب ليبيا وحصرته بالمدن الساحلية سبع سنوات كاملة.

واستمر سالم بن عبد النبي مجاهداً إلى أن استسلم أغلب زعماء الجبل وانطلت عليه الحيلة فجاء ليسلم نفسه، ولكن الطليان لم يغفروا له مواقفه فأودعوه السجن انتظاراً للمحاكمة. وهنا فكر في وسيلة للهرب فأبلغ المسؤولين الطليان أنه يريد تصفية نفسه مع الطليان. ويريد تسليم الأموال والأسلحة التي غنمها من قلعة القاهرة فزان التي خبأها في موقع لا يعلمه غيره.

وانطلت الحيلة على الطليان. ونقلوه إلى سبها ومن واحة (أدري) حيث غافل حراسه. فر بجزء من إبله وجزء من أسرته إلى تونس ولم ينجح مطاردوه في اللحاق به أو القبض عليه.

وبقي هناك عدة سنوات اشترك خلالها في اجتماعات المهاجرين الليبيين. وفي عام 1944 عاد الشيخ سالم الزنتاني إلى وطنه حيث توفي ببلدة (القرية) ودفن هناك عليه رحمة الله.

## 49

## ساموري توري

زعيم من زعماء العرب المسلمين في افريقيا ومجاهد من كبار المجاهدين في جنوب الصحراء.

ينتمي إلى قبيلة توري التي ترجع بنسبها إلى عرب المغرب الذين قدموا في حملة منصور الذهبي على تينبكتو. ويسمون في المنطقة (الرماة) وأسس المتخلفون منهم في المنطقة قبائل باسم الرماة. لها دور بارز في نشر الاسلام واللغة العربية في المنطقة.

تصدت غينيا للفرنسيين عند زحفهم على المنطقة بقيادة العالم الكبير ساموري توري وخاض الشعب معارك دموية دفاعاً عن وطنه ودينه لسنوات عديدة ضد الفرنسيين. وأمام الأسلحة الجديدة المتطورة وبدائية الأسلحة الغينية وقّع ساموري معاهدة مع فرنسا عام 1884 تحتفظ فرنسا بالساحل وتترك الدواخل لساموري.

واستطاع ساموري أن ينظم الدواخل ويؤسس مملكة امتد نفوذها إلى الشرق. ولما أحس بقوته نظم دفاعاً مشتركاً مع مملكة (التوكلور) في الشمال ومملكة (سيكاسو) في الشمال الشرقي عام 1890 وقام بالهجوم على الفرنسيين

من جديد.

واستمرت هذه الحرب ثماني سنوات إلى عام 1898 قاومها الفرنسيون بوحشية لا مثيل لها. وتجنبوا فيها كل الأخلاق البشرية واستطاعوا أن يهزموا ساموري من جديد ويتم القبض عليه ويحمل منفياً حيث توفي في السجن.

وكان هذا الشيخ الورع يقول لأتباعه سيخرج من أحفادي من يطرد النصارى من البلاد.

ومن الغريب أن أحمد سيكوتوري زعيم غينيا الأسبق هو حفيد المجاهد ساموري توري. وقد وقف ضد فرنسا يقود الصراع في المنطقة إلى أن تحررت غينيا تحت قيادته. وقد حاربته فرنسا اقتصادياً وثقافياً ولكنها لم تستطع اسقاطه.

والعملة الغينية لا زالت تحمل صورة المجاهد ساموري توري عرفاناً للشعب الغيني بجهاده ونضاله.

## 50

## سعد بن عون

سعد بن عون بن عبد الله بن الوافي الشهيدي من قبيلة أولاد شهيدة المتواجدة في صحراء الجنوب التونسي قرب الحدود الليبية ويرجع نسب هذه القبيلة إلى (سليم).

وعندما اندلعت الثورة في الجنوب التونسي ضد الفرنسيين عام 1915 كان سعد من وجهاء قبيلة أولاد شهيدة المشهورين بالشجاعة والإقدام. فلم يمنعه كبر سنه من الالتحاق بالثورة وإشعال فتيلها، إذ كان عمره حينذاك 62 سنة.

فخاض سعد عدة معارك ضد الفرنسيين منها معركة (الرمثة) 25 سبتمبر

1915. فجرح في هذه المعركة وانتقل إلى خيامه للتداوي، فقبض عليه الفرنسيون وحاكموه وأصدروا عليه الحكم بالنفي إلى مستعمرة (كيان) بأمريكا الجنوبية، ولكنه استطاع الفرار من القطار الذي يقلّه إلى قابس ثم تونس ثم فرنسا.

ورجع سعد للجهاد في التراب الليبي وقبض الفرنسيون على أسرته وسجنوها وعذبوها. وحاول سعد أن يتسلل ويختطف أسرته ولكن المحاولة فشلت وحاصرتهم القوات الفرنسية وقتلت بعض رفقائه وجرح البعض الآخر وسلم سعد وعاد إلى ليبيا ولما انتهت المقاومة في منطقة نالوت وقبض على خليفة بن عسكر فر سعد راجعاً إلى تونس مختفياً عن أهله. ولكن الفرنسيون قبضوا عليه من جديد وأودعوه السجن وحملوه منفياً إلى (كيان) تنفيذاً للحكم السابق وكان عمره 77 سنة.

وفي عام 1933 أبلغت السلطات الفرنسية أسرة سعد أنه توفي عليه رحمة الله.

وقد توفي في هذه المستعمرة (كيان) آلاف من العرب التونسيين والليبيين والجزائريين والمغاربة الذين نقلتهم السلطات الفرنسية هناك ليعملوا في قطع الأخشاب أعمال شاقة في ظروف شاقة عليهم رحمة الله جميعاً.

**51**

## سعد فريعيس

هو سعد بن محمد فريعيس الطريفي. من قبيلة الطرائفة من سكان صحراء الجنوب التونسي منطقة (الرمادة) ويقول مؤرخو القبيلة إن جد الطرائفة هو طريف الهاشمي القرشي.

انتقل سعد مع مجموعة من قبيلته ملتحقاً بالجهاد في مناطق الغرب من ليبيا وساهم في العديد من المعارك وأبلى البلاء الحسن وقد استشهد أخويه خليفة ومحمد في هذه المعارك وسجن والده بجرجيس.

وبعد معركة الوخيم الشهيرة بداية معارك الفاشست عام 1922 نزل سعد بمنطقة أولاد محمود ولم يرجع إلى تونس.

وفي أحد الأيام ذهب إلى وازن ليشتري بعض حاجياته فقبضت عليه السلطات الايطالية في المنطقة وسلمته للفرنسيين الذين حاكموه بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة ونقل إلى مستعمرة (كيان) بأمريكا الجنوبية ليقطع الخشب.

وفي المستعمرة وهو يقتطع الخشب أهانه أحد الجنود الفرنسيين وصفعه فما كان منه إلا أن انقض على بندقية الجندي وأرداه قتيلاً كما قتل صاحبه وهرب إلى الغابة.

ولكن القوات الفرنسية طوقته فيها وأطلقت عليه نيران كثيفة فسقط شهيداً عليه رحمة الله.

**52**

## سعيد الدبابي

هو سعيد بن عبد اللطيف الدبابي من قبيلة أولاد دباب بصحراء الجنوب التونسي يرجع نسبها إلى (سليم).

وكانت هذه القبيلة تتنقل بين الجنوب التونسي وغرب ليبيا إلى أن استقرت أخيراً بالجنوب التونسي وتركت بعض الفروع ببلدة زوارة ويفرن وغيرها.

وهذه القبيلة مشهورة بالشجاعة والفروسية والنخوة والنجدة. وإليها

ينسب التاريخ ثورة الجنوب التونسي عام 1915 ـ 1916 ضد الفرنسيين فيسمونها ثورة أولاد دباب.

وقد كان سعيد شيخ هذه القبيلة ورأسها المفكر مع اخوته أبناء عبد اللطيف علي ومحمد وأمحمد وسوف الجين وأحمد.

كان سعيد شيخ القبيلة وقائدها، وما إن قامت الحرب العالمية الأولى حتى هبت قبائل الجنوب التونسي مندفعة في الثورة مؤازرة اخوانها في ليبيا. وكان الشيخ سعيد على رأس هذه القبائل.

انضم للمجاهدين الليبيين وخاض معهم عدة معارك فاصلة بقبيلته في وازن وذهيبة وفي معركة (أم اصويغ) الشهيرة. استشهد الشيخ سعيد 6 اكتوبر 1915 عليه رحمة الله. كما استشهد معه أخوه علي في نفس المعركة. ومجموعة كبيرة من أبطال أولاد دباب وغيرهم من قبائل الجنوب التونسي والغرب الليبي عليهم رحمة الله.

**53**

## الشيخ سيديا

هو سيديا بن المختار بن الهيبة الأبيري ونسبه الأصلي إلى (تندغة) ولكنه أقام في أولادبييري فحسب منهم.

شغف في شبابه بدراسة العلوم وبرع فيها والتحق بالشيخ حرمة بن عبد الجليل وأخذ عنه علوم الدين والفقه. ثم توجه إلى تينبكتو ليدرس على الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي فوصل إلية ولازمه ستة أشهر وتوفي الشيخ المختار رحمه الله فلازم ابنه محمد عشرين سنة حتى برع في العلوم وعلم الأسرار.

ورجع إلى قبيلته (تندغة) فلم يأبهوا به ولم يلتفتوا إليه فواصل السير إلى (أولادبييري) الذين احتضنوه وبجلوه وأقعدوه منهم المقعد الأسمى وكان مقره حصناً آمناً يلجأ إليه الناس من مختلف الأماكن فلا يلحقهم بأس ويأكلون ويشربون ما أقاموا في جواره.

وقصده طلاب العلم من مختلف بقاع بلاد شنقيط واستطاع أن يبعث الوئام بين قبائل حسان في المنطقة وأن ينزع من صدورهم الغل والأحقاد.

سافر للمغرب يريد الحج ولكنه رجع لأنه سمع أن المرض متفشٍ في الحجاز.

وللشيخ سيديا أشعار ومنظومات أودع فيها مبادئه في الحياة ونصائحه لمريديه فيقول منها:

أيا معشر الاخوان دعوة نادب ... إلى الحق والمعروف ليس بكاذب
أعيروني الأسماع أهدي إليكم ... وصية مصفى النصح غير مخالب
فمن كان منكم ذا ودادٍ وخلة ... لمرتفع الأخلاق جمّ المناقب
ليسحب على عيب الخليل ذيوله ... ويستر فشأن الخل ستر المعايب
خليليّ لا أبدي إليّ من يذمّه ... طلاقة وجهي بل عبوسة حاجبي
أحب الذي يهوى وأبغض ما قلا ... ولست عليه أن يزل بعاتب
وماذا دعا يوماً لصدمة حادث ... ألمّ عليه كنتُ أول واثب
فمنزلة الاخوان فيها تفاضل ... فمنهم لذيذ الطعم عند المصاحب
ومنهم زعاقٌ لا تطاق طباعه ... معاشره يرتاح إذ لم يقارب
ومن كان ذا هم ولوح وطاعة ... فلا يدن للمستصيبات اللواعب
وما أفسد الألواح والهم والتقى ... كبيض التراقي مشرفات الحقائب
مراض العيون النجل حُوٌ شفافها ... رقاق الثنايا حالكات الذوائب

* * *

وقد توفي الشيخ سيديا بعد أن رتب مدرسة علمية تعلم طلاب العلم من مختلف البقاع. وترك أمر هذه الزاوية لابنه محمد.

وقد عاش أربعة وتسعين سنة على رواية الخليل النحوي في كتابه (بلاد شنقيط المنارة والرباط)، أي أنه ولد عام 1190هـ ـ 1777م. وتوفي عام 1284هـ الموافق 1867م.

وقد ترك مجموعة من المخطوطات أهمها (شرحاً للأمية الأفعال لابن مالك). كما شرح (مقصودة ابن دريد) عليه رحمة الله.

## 54

## سيدي بن خليل

عالم من علماء شنقيط ـ وما أكثرهم ـ نبغ في علوم الدين والفقه والنحو.

تلقى تعليمه الأولى في بلاده عند قبيلته السماسيد الذين ينحدرون من سلالة الحسين بن علي عليه رضوان الله.

ولد العالم سيدي عام 1873م في وسط من العلم والمعرفة وتنقل بين محاضر مدينة اطار حتى حفظ ما يستوجب الحفظ وعلم ما يستوجب العلم ثم رحل إلى الشمال عام 1902، فمر بالشيخ ماء العينين بمدينة (تيزينت) بجنوب المغرب ومكث معه خمس سنوات، تعلّم على يديه ما زاد في علمه وثقافته وما كان محتاجاً لمعرفته. ثم انتقل للشمال ماراً بفاس ومراكش ثم توجه للشرق حيث وصل الأزهر الشريف، فانخرط في صفوف طلابه أربع سنوات كاملة درس فيها البلاغة والمنطق والعروض وقد تبادل التأثير والتأثر.

وفي عام 1911 اتجه للخرطوم بالسودان طالباً من ملك السودان في ذلك الوقت ـ كما تقول الرواية الموريتانية ـ زاده للسفر إلى الحج وقد مكث سنتين بالسودان ومن الخرطوم اتجه إلى دمشق 1913 ولم يمكث فيها إلا سنة واحدة اهتم فيها بدراسة التاريخ والأدب ومن دمشق اتجه للحرمين الشريفين

حيث أدّى فريضة الحج، ومكث هناك أربع سنوات اتقن فيها حفظ القرآن بالقراءات السبع، كما ألّف كتابه (تلخيص غيث النفع على اختلاف القراءات السبع) ثم رجع إلى وطنه ماراً بتونس ثم إلى السنغال عن طريق البحر، ودخل إلى موريتانيا واستقر ببلدة (أبو تليميت) لمدة سنتين ووجد الفرنسيين قد فتحوا مدرسة للتعليم بها فالتحق بالمدرسة وتعلم الفرنسية.

وفي عام 1918 عاد الشيخ سيدي بن خليل إلى بلدة (أطار) وأنشأ بها مدرسة لتعليم القرآن والفقه والنحو والأدب واختار لها مجموعة من خيرة المدرسين وأصبحت تنافس المدرسة الفرنسية بل وتبزها، الأمر الذي جعل الفرنسيين مراراً يفكرون في اغلاقها.

واستمر الشيخ سيدي في تعليم الناشئة وتبصير مواطنيه إلى أن وافاه الأجل المحتوم عام 1944 بأطار عليه رحمة الله.

وقد ترك ثروة من المخطوطات الفقهية والنحوية وقصائد من الشعر والنظم ومجموعة كبيرة من طلابه ينشرون العلم في ربوع صحراء بلاد شنقيط.

**55**

## سير بن أبي بكر

ينتمي نسبه إلى قبيلة لمتونة. ومن أبرز قادتها وهو أشهر القادة العسكريين الذين اعتمدت عليهم الدعوة المرابطية.

رافق يوسف بن تاشفين من الصحراء نحو الشمال واستوليا معاً على المغرب. ولما عبر يوسف مضيق جبل طارق ذهب معه سير إلى الأندلس وخاض معركة الزلاقة الشهيرة.

ويقول عنه محمد عبد الله عنان:

«وقد ظهر بنوع خاص بشجاعته وبراعته العسكرية الفائقة في موقعة الزلاقة الشهيرة (479هـ)».

ولما رجع يوسف إلى المغرب ترك نائباً عنه سير بن أبي بكر وكلفه بإدارة المعارك ضد الافرنج. ولما رأى يوسف بن تاشفين الاستيلاء على دويلات الطوائف كلف بهذه المهمة سير بن أبي بكر فنجح فيها وقام بالمهمة كأحسن ما يقام بها.

وكان آخر الغزوات العظيمة التي قام بها هي افتتاحه لقواعد الغرب من يابرة حتى اشبونة 504هـ ـ 1111م، وفي عام 507هـ ـ 1114م، توفي الأمير سير وهو والٍ على اشبيلية عليه رحمة الله.

## 56

## شبُّو

عربي من قبيلة (لمتونة) بل هو شيخ قبيلة والليمدن العربية التارقية الشديدة الشكيمة.

تصدّى بقبيلته للزحف الفرنسي على بلاد مالي والقادم من السنغال، وبطش بالفرنسيين وعرقل تقدمهم لعدة سنوات بالرغم من أن أسلحته تقليدية متمثلة في السيوف والرماح والنشاب.

ولم تستطع فرنسا التقدم إلا بعد أن جهزت جيشاً قوياً انتظرت وصول الامدادات والأسلحة وتجنيد الرجال عدة سنوات.

كما لجأت للحيلة وبث التفرقة بين القبائل، الأمر الذي أضعف شبو وزعزع قوته. وفي بداية القرن العشرين توفي شبو في قبيلته، وقد ترك عدة أولاد يحملون الرسالة من بعده.

## 57

# صالح الأطيوش

ويسمى صالح باشا الأطيوش.

هو شيخ قبائل المغاربة القوية التي تقطن في مناطق صحراء سرت وأجدابيا. ورث مشيخة هذه القبيلة الكبيرة عن والده الكيلاني الأطيوش.

تربى تربية بدوية صحراوية معتمدة على الفروسية واصابة الأهداف والصيد وتربية الماشية.

ولما نزل الايطاليون على سواحل ليبيا هبّ ينظّم دور المغاربة ويقودهم في معارك شهيرة أهمها: (النوفلية)، (بئر بلال)، (قصر مرسى البريقة). ولم يلن ولم يرضخ بالرغم من أن أجدابية كانت مركزاً لحكومة أجدابية التي كوّنها ادريس السنوسي بالتعاون مع الطليان إلا أنه بمجرد سفر ادريس لمصر 1922 واستئناف المعارك وقف صالح وقفة الأبطال يذبُّ عن حياض الوطن مجاهداً في سبيله مبتعداً عن الساحل متوغلاً في الصحراء إلى أن انتهت المقاومة.

وفي عام 1948 توفي الشيخ صالح باشا الأطيوش بأجدابية. وقد أكرمته الثورة بأن منحته وسام الجهاد بعد موته تقديراً لموقفه في معركة القرضابية، وذلك في الاحتفال الذي أقيم من أجلها عام 1973 بسرت.

**58**

## صالح بن محمد الفلاني

صالح بن محمد بن نوح الفلاني. عالم بالحديث. من قبائل الفلان المنتشرين في افريقيا الغربية ينتسبون إلى (حمير) اليمن. ولهم صولات وجولات في نشر الاسلام. تعلّم ببلاد القبلة، وهي المنطقة الجنوبية لموريتانيا الحالية على يد أشياخ من بلاد شنقيط، وكما هي عادة علماء بلاد شنقيط يتوجهون للحج والعلم ويقيمون بكل بلد مرّوا عليه ليتلقوا العلوم إلى أن يصلوا إلى مكة المكرمة فيقضون فريضتهم ويعودون إلى الوطن وهم على مستوى رفيع من العلم يؤهلهم لفتح مدارس والتدريس بها في بلادهم ومنهم من يفضل الاستقرار بالمدينة المنورة مجاوراً لقبر رسول الله ﷺ. وقد كان صالح من المجموعة الأخيرة، فاستقر بالمدينة إلى أن توفي بها عليه رحمة الله. وقد ترك من الكتب (قطف الثمر، في أسانيد المصنفات في الفنون والأثر)، و (ايقاظ همم أولى الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار ـ ط)، ورسالة في تراجم أشياخه بعنوان (الثمر اليانع ـ خ).

وكانت وفاته عام 1803 عليه رحمة الله عن عمر يناهز الخمسين عاماً كما ورد في الأعلام.

59

# طارق الافريقي

هو محمد طارق الملقب بالافريقي وذلك لسواد لونه. ولد بطرابلس الغرب عام 1886 ـ وينتمي إلى منطقة فزان ـ وذلك أيام العهد التركي حيث درس في مدارس طرابلس، ثم انتقل إلى تركيا حيث أكمل تعليمه والتحق بالكلية العسكرية التركية، وتخرج برتبة ملازم ثانٍ والتحق بدورات تدريبية عسكرية في المانيا.

كان من ضمن الضباط الأتراك المتواجدين بطرابلس الغرب أيام الهجوم الايطالي على ليبيا 1911 فقام يذبُّ مدافعاً عن وطنه.

ولما انسحبت تركيا من ليبيا 1912 واشتعلت حرب البلقان ضد تركيا، انتقل الضابط طارق للقتال ببلاد البلقان.

واشترك في الحرب العالمية الأولى 1914 ـ 1915 كمقاتل في الجيش التركي.

ولما أرادت تركيا اشعال الحرب ضد ايطاليا في طرابلس الغرب وإمدادها ببعض الضباط الأتراك أرسلت طارق إلى برقة حيث التحق بالمجاهد أحمد الشريف لدفعه للهجوم على الانكليز في مصر. وقد شارك الضابط طارق الافريقي في هذا الهجوم الذي وصل إلى مشارف الاسكندرية ولكن قلة الزاد والعتاد والسلاح حالت دون انتصار المجاهدين فتراجعوا إلى برقة. ووصل أحمد الشريف إلى الجفرة ومنها إلى سرت حيث أقلته بارجة المانية إلى تركيا.

أما طارق فبقي مواصلاً الجهاد في المناطق الغربية من ليبيا، إلى أن كادت مقاومة أن تنتهي فتسلل إلى تونس، ولكن الفرنسيين قبضوا عليه وحاكموه

وأودعوه السجن. ولم يطلق سراحه إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، فتم تسليمه إلى تركيا. ومن تركيا التحق طارق بالمقاومة السورية ضد الفرنسيين وقد وضع خبرته العسكرية وشجاعته لخدمة وطنه الثاني سوريا 1926.

ولما انتهت المقاومة السورية ضد الفرنسيين أوقف طارق نفسه وجهده للدفاع عن الحرية في وطنه ليبيا فانضم لـ (لجنة الدفاع الطرابلسي البرقاوي) ببلاد الشام.

وعندما هاجمت ايطاليا بلاد الحبشة عام 1936 ركب طارق البحر متطوعاً للجهاد ضد الطليان في بلاد الحبشة فقاتل الايطاليين كأشد ما يكون القتال. ويقول ممتاز العارف في كتابه (الأحباش بين مأرب واكسوم) عن مشاركة طارق في حرب الطليان وينسبه إلى السودان. يقول:

«وقد تجدر الإشارة كذلك إلى أن بعض الانتصارات التي حققها الأحباش في هذه الجبهة كان مردها قيادة الجيش الحكيمة. فقد قاتل مع الأحباش في هذه الجبهة ثلاثة من الخبراء العسكريين الأجانب الذين تولوا قيادة بعض قطاعاته وهم طارق بك وهو سوداني حارب الإيطاليين مع القوات الوطنية في طرابلس الغرب عندما احتلها هؤلاء الغزاة سنة 1911، والمقدم فاروق وهو تركي الأصل والجنسية عمل ملحقاً عسكرياً في السفارة التركية في اليونان ووهاب باشا وهو كذلك تركي..» ولما انتصر الطليان تسلّل إلى السودان ومنها إلى مصر عائداً لبلاد الشام، حيث تزوج من سيدة سورية هناك.

وعندما بدأ اليهود يتدفقون على فلسطين واشتعلت الثورة الفلسطينية عام 1948 تطوّع المجاهد طارق للجهاد ضد الصهاينة رفقة المجاهد أمين الحسيني وحسن سلامة، حيث كان مستشار حربي لقائد منطقة (يافا). وقد خاض طارق معظم معارك الجهاد في فلسطين:

معركة الفالوجة الأولى

معركة الفالوجة الأولى 3 مارس 1948

معركة الفالوجة الثانية 4 مارس 1948

معركة المجدل 17 مارس 1948

معركة جولس الأولى 22 مارس 1948

معركة بربرة الأولى 24 مارس 1948

معركة بربرة الثانية 25 مارس 1948

معركة اسدود 26 مارس 1948

معركة بيت دارس الأولى 27 مارس 1948

معركة أسدود الثانية 28 مارس 1948

معركة أسدود الثالثة 31 مارس 1948

معركة قرية جورة 6 نيسان 1948

معركة أسدود الرابعة 8 أبريل 1948

معركة بربرة الثالثة 10 أبريل 1948

معركة معسكر جولس الثالثة 12 أبريل 1948

معركة معسكر جولس الرابعة والخامسة 13 ـ 15 ابريل 1948.

ويقول طارق الافريقي في سرد ذكرياته:

«... على أني شعرت بعدم مواصلة الكفاح ضد اليهود في الظروف السيئة المحيطة بنا ـ فكرت كقائد مسؤول فيما يجب عمله بوجه السرعة. فبادرت بإرسال وفد إلى مصر لشراء الأسلحة والعتاد على حساب اللجنة الخاصة ـ وصل وفد قيادة جبهة غزة إلى القاهرة بتاريخ 21 أبريل 1948 بعد أن حول النقود اللازمة إلى أحد بنوك مصر لشراء السلاح. وبعد مصاعب جمة قدم مطالبه إلى رئيس الهيئة العربية العليا ـ الذي كان مشغولاً جداً بحضور اجتماعات اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ورجال حكومة

مصر لعقد الهدنة الأولى، لوقف القتال في فلسطين. .».

ويستمر طارق يسرد ذكرياته:

«. . ومضى على وصولنا للقاهرة والاتصال بالهيئة زهاء أسبوعين ولم نصل خلال هذه المدة إلى أية نتيجة بينما كانت المعارك ما برحت مستمرة ليلاً ونهاراً في الجبهة. .». «. . وأدركت هذا واتفقنا على شراء الأسلحة من تجار. . وتمكنا فعلاً من شراء كمية من الأسلحة والذخيرة ولكن مع الأسف لم نتمكن من إرسالها لفلسطين. .».

ويتصل بالنقراشي باشا ليساعده على ايصال الأسلحة لفلسطين ويقول:

«. . واتصلت بالمرحوم النقراشي باشا وأفهمته أسباب زيارتنا فأجابني بالحرف الواحد:

ليس في استطاعتنا قبول طلبك بنصوص الارادة الملكية فاروق التي تمنع منعاً باتاً السماح بإرسال الأسلحة إلى فلسطين إذ إن لدى الحكومة المصرية الأخبار. .».

وهكذا سقطت الأقنعة وبيعت فلسطين ورجع طارق إلى بلاد الشام حيث ألّف مجموعة من الكتب في العسكرية.

1 ـ عن حرب فلسطين.

2 ـ الغازات السامة.

3 ـ الجزيرة العربية.

4 ـ رحلة طارق إلى الحبشة.

5 ـ حرب العصابات المعروفة بحرب (الغوريلا) في المصلحات الفنية العسكرية.

ومن دمشق انتقل طارق إلى الجزيرة العربية حيث أكرم وفادته الملك عبد العزيز آل سعود الذي وقف مع المهاجرين الليبيين وقفة يذكرها له التاريخ مع

المرحوم بشير السعداوي، ومع المرحوم خالد القرقني، ومع طارق الذي عيّنه رئيس أركان الجيش السعودي.

وفي عام 1958 وبمدينة دمشق أصيب المجاهد الكبير طارق الافريقي بشلل نصفي أقعده الفراش إلى أن وافته المنية يوم الثلاثاء 27 جمادي الأولى 1383هـ، الموافق 15 اكتوبر 1963 ودفن بمقبرة - باب صغير - بدمشق وألقى كلمة التأبين كلمة المحاربين القدماء وضحايا الحرب في سوريا العقيد المتقاعد (محمد شفيق حمدي السندي).

وهكذا وارى التراب مجاهداً من مجاهدي العرب والمسلمين. خاض الجهاد ضد الطليان في ليبيا وضد الروم في البلقان وضد الفرنسيين في سوريا وضد الطليان في الحبشة وضد اليهود في فلسطين وضد الانكليز في مصر. كان فيها طارق مثار الإعجاب لشجاعته وإقدامه وتضحيته وإقدامه. كان يؤمن بعروبته وإسلامه، وعاش ممتشقاً سيفه وبندقيته دفاعاً عن العروبة والاسلام، ملبياً نداء الواجب في كل ساحة شرف، خائضاً غمارها غير آبه بالموت. وهكذا انطبق عليه القول (اطلب الموت توهب لك الحياة).

عاش طارق سبعاً وسبعين سنة قضاها في الجهاد بالسيف والقلم. ولم نجد لطارق كتباً لسيرته ولا شوارع باسمه في بلاد العرب والمسلمين. ولولا مقتطفات من سيرته في كتاب الأستاذ علي مصطفى المصراتي (نماذج في الظل) لما عثرنا على أثر لهذا المجاهد الكبير. فجزاه الله عن أمته كل خير، وجزى الله المصراتي عن عمله كل خير.

وقد ترك طارق من زوجته السورية ابنتين لا تزالا بدمشق ذكرتهما السيدة زعيمة الباروني رحمها الله في كتابها (صفحات خالدة من الجهاد الليبي) الذي جمعت فيه مذكرات والدها رحمه الله. كما نشرت في نفس الكتاب صورة لهذا المجاهد.

# 60

## عابدين الكنتي

هو عابدين بن محمد الكنتي أحد شيوخ قبيلة كنتة العربية في مناطق تينبكتو، والذي ورث المشيخة عن والده.

وكانت علاقات قبيلة كنتة مع الفرنسيين جيدة لأن الشيخ أحمد البكاي (قادري) الطريقة والفرنسيون ركزوا على هذه الطريقة وكسبوا جل شيوخها في المنطقة ولكن عابدين شذّ عن القاعدة. ويقول بول مارتي في كتابه كنتة الشرقيون: «وقد ساهم بين 1875 ـ 1885 إلى جانب ابني عميه اللذين يحملان الاسم ذاته وهما عابدين التيني ابن البكاي سوننكا. وعابدين بن الشيخ سيدي البكاي. في المعارك الكبرى التي شنتها كنتة ضد التكارير أتباع التيجاني غير أن الشقاق لم يلبث أن نشب بين هذين الزعيمين المتشابهين في الشجاعة والإقدام.

وقد احتفظ ابن البكاي بقيادة العصائب الكنتية في حين عاد ابن سيدي محمد الكنتي (وهو موضوع حديثنا) إلى مخيماته وسلك طريق الحج بعد قليل. ودام غيابه بضعة أعوام، وكانت عودته متميزة بإقامة امتدت بضعة أشهر في الزاوية السنوسية الأم في الجغبوب.

ويروى في الصحراء الشمالية أنه تلقى عن الشيخ محمد المهدي الانتساب إلى الطريقة السنوسية ولُقب مقدماً مجيزاً...».

ويقول بول مارتي: «ولم يمض وقت طويل حتى اعتبره الناس أحد أكثر قراصنة الصحراء بروزاً..».

ويقول بول مارتي:

«واضطر هذا الشيخ إلى أن يضم ـ حسب الظروف ـ أفخاذاً من المحاربين

من كل حدب وصوب، حيث يقذف بهم في غزوات مثمرة وكانت شهرته الدينية تسمح له ـ شأن ثروته الطائلة من ناحية أخرى ـ أن تكون من حوله على الدوام نواة من الأتباع والمحاسيب الأوفياء وظل من عام 1892 إلى 1911 يقوم بحملة سنوية وبأعمال سطو وبلقاءات مسلحة».

واستمر عابدين يهاجم الفرنسيين إذ نجده عام 1917 يقوم بتشكيل حملة كبيرة من جنوب المغرب وجنوب الجزائر وشمال مالي ويهاجم بها الفرنسيين طوال السنوات التي سبقت معركة (أم التونسي) بموريتانيا 1934. وبعد هذا التاريخ استقر بجنوب المغرب عند أخواله قبيلة (تكنة) العربية وقد كبرت سنة وبقي هناك إلى أن توفي أثناء الحرب العالمية الثانية عليه رحمة الله دون أن يرجع لتينبكتو أو لقبيلته في شمال مالي تحت سيطرة الفرنسيين.

61

## عبد الجليل سيف النصر

من قبيلة أولاد سليمان العربية المتنقلة في صحراء سرت. قتل والده الأتراك وأخذوه صغيراً إلى القلعة حيث تربى مع أخيه درمان في كنف ورعاية يوسف القرة مانلي.

ولما شبّ عن الطوق أرسله على رأس حملة لنجدة سلطان كانم الشيخ محمد الأمين الكانمي. ورافقه في هذه الحملة مجموعات كبيرة من أولاد سليمان وورفللة والقذاذفة بقيت هناك ولا تزال بمنطقة كانم جنوب تشاد عام 1817م. ثم كلفه مرة أخرى أيضاً لنجدة الشيخ محمد الأمين الكانمي. وسار بحملة أخرى من القبائل المذكورة ولما عاد بدأ يفكر في الاستقلال بفزان ولم يعد إلى طرابلس، وأشعل الثورة في مناطق فزان. واستمرت ثورته ستة عشر عاماً معاصرة لثورة غومه المحمودي. وكان القنصل الانكليزي

يشجعه كما ذكر ابنه في مذكراته (ري الغليل في أخبار عبد الجليل) واستمرت الحرب سجالاً بينه وبين الأتراك إلى أن طوقوه في (قارة عبد الجليل) قرب بونجيم وقتلوه عليه رحمة الله/ كما قتلوا معظم أفراد أسرته وكان ذلك عام 1258هـ ـ 1842م.

كما قبض أيضاً على الأدغم شيخ مصراته والمريض شيخ ترهونة وأعدما معاً لتعاونهما معه.

ورحلت بعد مقتله مجموعات من مناصريه من قبائل أولاد سليمان إلى تشاد وبقوا هناك في تجمع كبير في منطقة كانم.

**62**

## عبد الحميد العبار

هو الشيخ عبد الحميد بن ابراهيم العبار عمدة عائلة العبار إحدى عائلات قبيلة العواقير.

ساهم في الجهاد ضدالطليان منذ وصول أقدام الطليان إلى أرض الوطن. وكان مسؤولاً عن مجموعات من المجاهدين في جميع أدوار الجهاد واستمر مقاتلاً ذائداً عن حياض الوطن وبصفة مستمرة منذ عام 1911 إلى عام 1923.

وفي هذا العام ركّز الفاشست هجوماتهم على غرب ليبيا وسقطت معظم مناطق طرابلس. وركزوا خطتهم على دعم الخيانات الوطنية التي بدأت تتسرب للأدوار وتفشلها. وهنا استلم شيخ المجاهدين عمر المختار مسؤولية الجهاد في برقة وعيّن عبد الحميد العبار قائمقاماً على دور العواقير وكان عبد الحميد أحد الأبطال الثلاثة الذين اضطلعوا بمسؤولية تنظيم الجهاد والمجاهدين ومقارعة الطليان في مناطق برقة.

وهم، عُمر المختار، والفضيل بوعمر وعبد الحميد العبار وحتى المفاوضات التي حاول الطليان استدراج عمر المختار إليها عن طريق الرضا السنوسي وهلال السنوسي. حضرها هم الثلاثة وصمموا على مواصلة الجهاد وكان ذلك عام 1929 وعندما سقط عمر المختار جريحاً وأسر وأعدم عام 1931 كان عبد الحميد العبار ضمن رؤساء المجاهدين الذين اجتمعوا وعينوا يوسف بورحيل خلفاً لعمر المختار لقيادة المجاهدين.

وعندما قرر بقية المجاهدين الانسحاب إلى مصر واختراق الأسلاك الشائكة الملغمة والمكهربة التي وضعها الايطاليون بين مصر وليبيا على امتداد الحدود، وسحبوا جميع المواطنين الليبيين إلى المعتقلات وأصبحت الأرض خاوية من البشر ومن الحيوانات. ولم يستطع المجاهدون أن يقيموا أودهم لذلك قرروا الهجرة.

فاتجه يوسف بورحيل فوراً نحو الأسلاك ونشبت معركة حامية بينه وبين الطليان استشهد فيها رحمه الله.

أما عبد الحميد فقد كمن بمن معه مدة من الزمن في الجبل الأخضر حتى ظن الطليان أنه توجه للجغبوب أو الكفرة فخففوا الحراسات على الأسلاك.

وحينها اقتحمها عبد الحميد برجاله في ابريل 1932 واستطاع الافلات من الطليان إثر معركة نشطة وحاسمة ووصل إلى مصر هو ورفاقه بسلاحهم فأكرم وفادته أحرار مصر وشعبها العربي الأبي وبقي بها مهاجراً إلى أن خرجت ايطاليا من ليبيا ورجع إلى وطنه محفوفاً بكل تقدير واحترام إلى أن وافاه الأجل المحتوم. ودفن بمقبرة سيدي عبيد ببنغازي عليه رحمة الله.

**63**

# عبد الرحمن البوصيري

هو عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بن أبي القاسم بن محمد بن عثمان الأخضري.

ولد بمدينة غذامس يوم 22 من ذي القعدة/ 1258هـ. تلقى تعليمه الأولى ببلدته غذامس تلك المدينة الهادئة القابعة في أحضان الصحراء، ومركز قوافل السودان والشمال الافريقي.

ثم انتقل عبد الرحمن مع والده إلى طرابلس عاصمة البلاد فواصل تعليمه وقوى ثقافته.

سافر إلى تونس ومصر والآستانة. وكسكان منطقته غذامس مارس الشيخ عبد الرحمن التجارة كما استعان في أسفاره على جمع الكتب مما جعله يقتني مكتبة جيدة.

وللشيخ البوصيري عدة مؤلفات أهمها:

1 ـ فاكهة اللب المصون، على شرح الجوهر المكنون.

2 ـ نزهة الثقلين في رياض امام الحرمين.

3 ـ الجواهر الزكية في مصطلح حديث خير البرية.

4 ـ مبتكرات اللآلي والدرر في المحاكمة بين العيني وابن حجر.

5 ـ الدرر المجنية من حديث خير البرية.

وقد تولى الشيخ الغذامسي التدريس والقضاء في منطقة النواحي الأربعة والزاوية الغربية.

توفي الشيخ عبد الرحمن يوم الجمعة الخامس عشر من المحرم سنة 1354هـ، 19 أبريل 1935 عن عمر يناهز التسعين عاماً عليه رحمة الله.

## 64

## عبد الرحمن تاقامة

هو سلطان توارق أقدز. وكان على اتصال بالمجاهدين الليبيين بحيث نضم معهم الانتفاضة ضد الفرنسيين في أقدز.

ولما وصل محمد كاوصن المجاهد التارقي المرسل بقواته من ليبيا إلى أقدز يوم 13 ديسمبر 1916 كان السلطان عبد الرحمن من أكبر مساعديه.

واستمرت المعركة مستمرة طيلة الأشهر ديسمبر 1916 ويناير وفبراير 1917 إلى يوم 3 مارس حيث استطاع الفرنسيون فك الحصار ودحر قوات المجاهدين الذين انسحبوا إلى الشمال يرافقهم عبد الرحمن تاقامة. واستمروا طيلة عام 1917 و1918 يشنون معارك خاطفة ضد الفرنسيين في شمال النيجر ومالي وشرق تشاد وجنوب الجزائر، وبلاد الآير. وتغلغلت مجموعاتهم حتى وصلت قرب طاوه شمال نيامي. ودحرت الفرنسيين في كثير من المواقع.

وزحفت المجموعات شمالاً حتى وصلت تجرهي في ليبيا جنوب مرزق واعترض لها خليفة الزاوي المتعاون مع الايطاليين وصدها عن التقدم نحو الشمال. وهنا رجع عبد الرحمن تاقامة إلى الصحراء ودخل إلى بلاد التبو الذين يعتبرون الأعداء التقليديين للتوارق.

وجهز الفرنسيون حملة لتتبع عبد الرحمن تاقامة وكانت مجموعة عبد الرحمن في حالة من البؤس ونقص المواد الغذائية والسلاح والذخيرة مما اضطرهم للذبح جمالهم ليتغذوا بها. وفي (ادريونا) شرق (داوتمى) في يوم 7 مايو 1919

استطاع الفرنسيون تطويق المجموعة الصغيرة وسقط عبد الرحمن أسيراً بعد أن نفذت ذخيرته. وفي استجواب عبد الرحمن قال:

«إن رجالي عشرة رجال لم يبق منهم إلا واحد فقط رجل من الشعانبا كان قد خرج للصيد قيد وصولكم ومن (كيل أواي) بقي (فونا) واثنان من رجاله ورجل واحد من ايكزكزن وهذا ما بقي..».

وفي يوم 24 اغسطس 1919 وصل السلطان عبد الرحمن تاقامة إلى (زندر) عاصمة سلطنته مقيداً بالسلاسل محمولاً على جمل، حيث أودع السجن في انتظار محاكمته.

ولكن الحقد الصليبي الاستعماري لم يمهله لانتظار المحاكمة بل إن النقيب الفرنسي (فيدالي) آمر المعسكر تسلل ليلاً إلى سجن عبد الرحمن تاقامة وخنقه حتى مات في ليلة 29 ـ 30 ابريل 1920م.

وأعلن أنه انتحر، غير أن الطبيب الشرعي الذي أحضر لمعاينة الجثة وتشريحها أعلن في تقريره أنه مات مخنوقاً.

وهكذا انتهت حياة هذا المجاهد البطل الذي قاوم الاستعمار الفرنسي ملوحاً بالسلطة والمال بعيداً تاركاً أمواله نهباً للمستعمرين رافعاً لراية الجهاد طيلة أربعة أعوام كاملة في الصحراء الكبرى. عليه رحمة الله.

## 65

## عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران

هو الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، صاحب كتاب (تاريخ السودان) الشهير الذي أرّخ فيه لمملكة السنغاري ومالي. ويعتبر من المراجع المهمة في تاريخ المنطقة.

يقول في كتابه المذكور إن مسقط رأسه هي مدينة تينبكتو. إذ يقول في تأسيسها: «. . ذكر تينبكت ونشأتها، فنشأت على أيدي توارق مقشرن في أواخر القرن الخامس من الهجرة فنزلوا فيها راتعين وفي وقت الصيف في ساحل البحر في قرية امظغ ينزلون، وفي وقت الخريف يرتحلون ويصلون آروان منازلاً ويبدلون وهي حدهم في العوالي ثم اختاروا موضع هذه البلدة الطيبة الطاهرة الزكية الفاخرة ذات بركة ونجعة وحركة التي هي مسقط رأسي، وبغية نفسي، ما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن. . . ».

وعبد الرحمن السعدي من أسرة من العلماء العرب المسلمين في منطقة تينبكتو وقد أورد في كتابه المذكور أسماء عشرات من العلماء العرب المسلمين الذين تولوا القضاء والافتاء وأئمة المساجد في المنطقة.

وبالرغم من شهرة الرجل فلم نعثر له على ترجمة لحياته، وربما يكون مرده التقصير منا ونقص المصادر التي في حوزتنا.

66

## عبد السلام الكزّة

هو شيخ قبيلة العواقير العربية المتواجدة في صحراء برقة. والمشهورة بالفروسية والشجاعة. نزح جزء من هذه القبيلة إلى مصر في سنوات سابقة.

ولما هاجمت ايطاليا ليبيا عام 1911 وقف الشيخ عبد السلام الكزة على رأس قبيلته مجاهداً ذائداً عن حياض الوطن. واشترك في معارك حاسمة وشهيرة في مناطق مختلفة من برقة.

ولما تضعضعت المقاومة هاجر مع مجموعات من أفراد قبيلته إلى مصر

ملتحقاً بأبناء عمومته هناك، حيث استقر به المقام منتظراً العودة للوطن.

وفي يوليه 1940 وافاه الأجل المحتوم بمصر عليه رحمة الله.

## 67

## عبد العاطي الجرم

ينتمي إلى قبيلة الحسون الشهيرة في مناطق سرت ومصر. فهي من القبائل المحاربة الشديدة المراس.

ولد عبد العاطي بقبيلته في يوم مجهول التاريخ وفي سنة لم نعثر لها على ذكر.

تربى في الصحراء وتعلم الفروسية واشتد عوده وهابه أقرانه.

امتهن حرفة استياق الإبل وهي مفخرة الفرسان في ذلك الوقت.

ولما أرسل إليه الشيخ أحمد الشريف يطلب منه الإلتحاق بالجهاد قال لمن أرسله إليه: «وهلّ يغفر لي ربي جميع ما ارتكبته في حياتي من نهب وقتل».

أجابه الرسول:

× نعم.

فطوى خيمته والتحق بالجهاد ولم يلق سلاحه ولم يسترح إلى أن استشهد في معركة يوم السبت في مصراته يوم 11 فبراير 1922.

اشترك في معارك الساحل العجيلات وغيرها وعينته حكومة الجمهورية قائداً للجيش النظامي الذي عُرف باسمه (عسكر الجرم) فساهم به في المعارك، وفي إخماد الفتن في الجبل الغربي والساحل الغربي.

كان عبد العاطي شجاعاً لا يهاب الموت هدافاً بارعاً، لا يخشى الأعداء

مهما كثروا لدرجة أنه في أحيان كثيرة يهاجمهم وحيداً وينتصر عليهم ويسوق ابلهم ومواشيهم. أصيب في المعارك بعدة جراح وسلم منها. أخبرني الحاج الأمين الورفللي، قال:

«رأيته في الجهاد، وأراني جانب صدره وقد حملت شظية مدفع أضلاعه اليمنى وهشمتها ولم يبقن منها إلا الجلد».

له صولات صادقة وجهاد نظيف تعاون مع المجاهد رمضان السويحلي.

ولما انتهى الجهاد وانتصرت ارادة العدو إلى حين سافرت أسرة عبد العاطي إلى تشاد وبقية أهله إلى تونس وقد مروا بنا في سهل الجفارة وأنا صغير عند عودتهم من تونس في رحلة العودة في عام 1946.

68

## عبد القادر بن طالب

ينتمي إلى قبيلة الجرامنة القاطنة بمنطقة (لبيض سيدي الشيخ) بجنوب الجزائر، ولها فرع بالحمادة الحمراء بمنطقة غذامس بليبيا.

ولما وصل الطليان إلى غذامس قرر عبد القادر مهاجمتهم واستياق إبلهم.

أخذ معه خمسة من الجرامنة منهم أبو بكر بن الفقيه، وعلي بن الحاج، وأحد أخوة عبد القادر وشخصان آخران.

وكان عبد القادر وأغلب المجموعة من الهدافين البارعين.

تسللا من الحدود التي تسيطر عليها فرنسا ووصلا إلى الحمادة الحمراء. وبدأوا في مناوشة الطليان في درج وغذامس في محاولة لإخراج القوات الايطالية من مراكزها لمتابعتهم.

ولكن الطليان رفضوا الخروج من المراكز. فاستقر عبد القادر وجماعته في بلدة (تونين) غرب غدامس في انتظار الإبل التي كانت ترعى في رمال الحدود مع تونس، وتشرب على مياه تونين.

وعندما وصلت الإبل أطلق عبد القادر النار على الضابط الايطالي المكلف بحماية الإبل فقتله وكذلك فعل مع صاحبه المجند مع الطليان.

وما إن سقط الاثنان حتى فرت بقية المجموعة واستاق عبد القادر الإبل ودخل بها إلى التراب الجزائري حيث تسيطر فرنسا.

وفي إطار الأمن المشترك بين الدولتين المستعمرتين تحركت القوات الفرنسية لمطاردة عبد القادر وجماعته. واستعانت بسكان المنطقة من أبناء عمومة عبد القادر فاقتفوا آثارهم حتى طوقوهم ليلاً في منطقة (تنزروفت) وكان خبير المجموعة اللاحقة الفرنسية جرمني يدعى الهيدوق معمر بن محمد. فاقترح على الفرنسيين ألا يطلقوا النار حتى يحددوا موقع عبد القادر ويقتلونه هو الأول لأنه إن سلم سيسحق المجموعة. وفي آخر الليل خاطب أحد الأشخاص عبد القادر فعرف الفرنسيون موقعه. وكانت المجموعة الصغيرة مع عبد القادر قد لفت بنادقها من خشية المطر الذي بدأ رذاذه يتساقط. وهنا أطلق الفرنسيون النار على عبد القادر فكسروا فخذيه، فتحامل على نفسه وبدأ يطلق النار عليهم حتى أسقط مجموعة منهم قائد المنطقة.

وأخيراً التفوا من ورائه وهو لا يستطيع الحركة وأطلقوا عليه النار وقتلوه، كما قتلوا أخاه واثنين من الجرامنة الآخرين. وجرح علي بن الحاج وظنوه قتل وبقي إلى أن ذهب الفرنسيون وتحامل على نفسه إلى أن وصل مخيم للتوارق فأسعفوه ولما شفي تسلل إلى ليبيا.

أما أبو بكر بن الفقيه فقد استطاع شق الحصار واستاق اثني عشر بعيراً حيث باعها في الطريق وتسلل إلى ليبيا، وبقي عدة سنوات ثم رجع إلى (لبيض) بجنوب الجزائر وبقي هناك إلى أن توفي عام 1990 عن عمر يناهز التسعين عاماً عليه رحمة الله.

أما علي بن الحاج فقد استقر ببلدة أوباري بجنوب ليبيا إلى أن توفي عام 1992 عليه رحمة الله. ولا يزال أولاده بليبيا حتى هذا التاريخ.

69

## عبد الكريم صابون

عبد الكريم صابون عربي أسس أسرة حاكمة في واداي شمال تشاد. واستطاع في مدة حكمه (1803 ـ 1813) من أن يهزم القبائل المجاورة ويجعلها تنخرط تحت لوائه كما هاجم مملكة (باجرمي) واستولى عليها.

وقد كان أفراد هذه الأسرة يلقبون بـ (العباسي) نسبة لبني العباس وقد استطاع هؤلاء الأمراء أن ينشروا الدين الاسلامي بين القبائل الافريقية وأن يقيموا مدارس لتعليم القرآن والدين الاسلامي. وقد برز في عهدهم مجموعة من العلماء والفقهاء منهم محمد الوالي والشيخ (ولولو) وسليمان بن محمد وغيرهم.

واستمرت هذه الأسرة في حكم واداي وباقرمي حتى بداية القرن العشرين وظهور الاستعمار الفرنسي في المنطقة.

70

## عبد الله التعايشي

هو عبد الله بن محمد التقي التعايشي من قبيلة التعايشة إحدى فروع قبيلة جهينة العربية بالسودان. ولد عام 1266هـ ـ 1850م واتصل بالمهدي وأصبح

من أكبر أتباعه ومؤيديه وقائد جيوشه وكان شخصية قوية ومحارباً شرساً.

ولما أشرف المهدي على الموت أوصى له بخلافته فبايعه الأنصار وأصبح خليفة يتصرف في المناطق الآمر الناهي. وأرسل جيوشه إلى غرب السودان وإلى شرقه وأخضع القبائل وفكر في الاستيلاء على مصر ولكن جيشه لم يكتب له النجاح إذ اصطدم بالجيش المصري بقيادة ضابط انكليزي عام 1885م.

ومد نفوذ السودان إلى ارتريا والصومال والحبشة، وأوغندة. واصطدم بالانكليز وفرنسا وايطاليا. وتحالف مع الأحباش ضد الطليان، فطلب الطليان من الانكليز المساعدة فكونوا مع الأسف جيشاً من المصريين منطلقاً من مصر بقيادة (كتشنر) واستولى على دنقلة عام 1314هـ.

ونشبت معارك مستمرة مع الجَيْش المصري الانكليزي انتهت بمقتل عبد الله التعايشي عام 1899 عليه رحمة الله بأم درمان.

## 71

## عبد الله جمّاع

هو عبد الله جمّاع. من قبيلة القواسم العربية المتواجد فرعها في السودان. اتفق مع عمارة دونقس على أن يزحف بجيش من قبائلهما على الممالك المجاورة ويستوليا عليها.

وقد كان الاتفاق بينهما أن يكون عمارة ملكاً وأن يكون عبد الله نائباً له في الشمال وله سلطة الملك.

وقد توارث أولاده من بعده مشيخة قبائل (العبدلاب) وكان إذا توفى الشيخ تجتمع قبائل العبدلاب وتعين شيخاً بدله، ويقوم هذا بزيارة سنار حيث تتم الموافقة على تعيينه.

واستمر هذا الحال عدة أجيال ولكن الحال لم يدم فاصطدمت المجموعتان للتنافس الذي كان بين رئيسيها. ووقعت معركة بين (عدلان) رئيس سنار وحفيد عمارة، وبين (عجيب) حفيد عبد الله.

والتقت المجموعتان في منطقة (كركوج) بين العيلفون والخرطوم حيث دارت معركة قتل فيها الشيخ عجيب وشرد أولاده إلى دنقلا.

وقد تدخل الشيخ ادريس محمد العربي بالصلح بين الفريقين فعادت الأمور إلى نصابها.

وفي عام 1820 أرسل محمد علي باشا حاكم مصر جيشاً إلى السودان بقيادة اسماعيل باشا ابنه. وقد حاولت مملكة سنار التصدي للزحف، ولكنها كانت من الضعف بحيث لم يتيسر لها ذلك فلجأ بعض أفرادها للحيلة وأحرقوا اسماعيل باشا في وليمة أعدوها له.

ولكن ذلك لم يثن محمد علي فأرسل من ينتقم من قتلة ابنه وهو محمد بك الدفتردار.فطعنه السودانيون بخنجر ولكنه لم يؤثر فيه. ولم يستطع السلاح البدائي لدى مملكة الفونج من الثبات أمام الأسلحة المتطورة الحديثة لدى المصريين فسقطت مملكة الفونج عام 1821م.

**72**

## عبد الله السناري

هو عبد الله السني، يرجع نسبه إلى المدينة المنورة. جاء جده الأول من المدينة ونصب خيمته بالقرب من مدينة سنار في واد هناك عُرف فيما بعد باسمه (وادي مدني) وتأسست به مدينة.

وقد تولّى جده تحفيظ القرآن للناشئة وتعليم العامة فروض دينهم:-

ولما ولد عبد الله هذا تعلم في مدرسة جده حيث حفظ القرآن وعلوم الدين ثم انتقل للحج بمكة حيث أكمل تعليمه على يد الشيخ أحمد بن ادريس كما التقى في هذه المدرسة بزميله الشيخ محمد بن علي السنوسي. ولما أجازهما الشيخ أحمد بن ادريس ترافقا في العودة إلى ليبيا حيث نزل محمد بن علي السنوسي في منطقة برقة. ونزل الشيخ عبد الله السناري في منطقة الجبل الغربي من ليبيا.

وقام الشيخ عبد الله بتأسيس مجموعة من الزوايا لتعليم القرآن في كل من (غذامس، مزدة، الحرابة، مصراته) وكان يتنقل بينها ويتفقدها ويصلح أمورها إلى أن وافاه الأجل المحتوم عام 1296هـ. عليه رحمة الله.

وتولى ادارة الزوايا من بعده ابنه محمد.

**73**

## عبد الله الطوير

هو عبد الله بن فضيل الطوير الزوي.

ينتمي إلى قبيلة زوية إحدى القبائل الليبية الكبرى التي تقطن الصحراء الجنوبية لبرقة.

تعلم العلوم الأولية في محضرة النجع على يد فقهاء المنطقة وحفظ القرآن الكريم. ثم انتقل لمدرسة الجغبوب حيث أتم تعليمه الديني فيها.

وعين بعد إنهاء علومه شيخاً لتنظيم الزوايا القرآنية في منطقة تشاد الحالية وقد اشتغل بهمة ونشاط في تعليم القرآن للناشئة وإصلاح ذات البين بين القبائل المتناحرة والمتحاربة، وكان إلى جانب ذلك يدفع الناس لتعليم الزراعة والتجارة وصيانة الأموال.

وكان كغيره من شيوخ الزوايا يتخذ من الزكاة أداة لدعم الزاوية واطعام الطلاب والإنفاق عليهم. ولما وصلت فرنسا إلى تشاد هبّ الشيخ عبد الله الطوير مجاهداً في سبيل الله ذاباً عن حياضه منظماً لصفوف المجاهدين مقاتلاً في ضراوة من منطقة إلى أخرى يجمع المجاهدين ويحرضهم على الجهاد ويقودهم في المعارك.

وفي عام 1906 وفي معركة طاحنة في منطقة (أم العظام) شمال تشاد سقط المجاهد عبد الله الطويل شهيداً في المعركة عليه رحمة الله.

وقد ترك عدة أبناء منهم ابنه محمد الذي أصبح فيما بعد نائباً في البرلمان التشادي ويحظى بتقدير كبير بين المواطنين وقد توفي أخيراً.

**74**

## عبد الله بن ياسين

هو عبد الله بن ياسين بن بك الجزولي. تلقى تعليمه الأولى ببلاد الأندلس وعاش فترة من الزمن في بلاد تامسنا عند أمراء برغواطة. وحاول أن يصلح بين قبائل مصمودة في جبال الأطلسي ولكنه لم يفلح فتركها وتوجه إلى قبيلة جزولة قبيلته ليصلح ذات بينها ويعلم أولادها القرآن الكريم. ثم انتقل للجنوب مع الأمير (يحيى بن ابراهيم الكدالي) وما إن كثر مريديه من قبيلة لمتونة. واندمجت هاتّان القبيلتان في الصحراء الكبرى راحتا تنشران دعوة الاسلام ومحاربة البدع والخرافات ولما توفي يحيى الكدالي تحول إلى خلفه يحيى اللمتوني واستمر يدعو الناس ويحرضهم على الجهاد.

ثم انتقل إلى قبيلة برغواطة ليدعوهم للانضمام لدعوة المرابطين ولكنه قتل في معركة وقعت مع خصومه من برغواطة عام 451هـ، وتولى الإمامة من بعده سليمان بن كرو.

ويعتبر عبد الله بن ياسين المؤسس الأول لدولة المرابطين التي ذاع صيتها في منطقة الصحراء الكبرى، والتي وصلت إلى المغرب وبلاد الأندلس وقضت على مملكة غانا الوثنية.

ولا تزال آثار الدولة المرابطية ومبادئها في الصحراء الكبرى ماثلة حتى الآن.

75

## عبد النبي بن خير

هو زعيم قبيلة ورفللة في الحرب الليبية ـ الايطالية.

ينتمي لقبيلة الصيعان التي انتقلت من قبائل الصيعان بسهل الجفارة أيام الحفصيين.

تلقى تعليمه في بني وليد على يد فقهاء المنطقة والتحق بالعمل عند الأتراك فكلفوه بجمع العشر من القبائل الموجودة في منطقته.

ولما هاجمت ايطاليا ليبيا ساهم في الجهاد في المعارك الأولى. وحاول أن يكون مع سليمان الباروني جبهة رفض للصلح الايطالي ـ التركي معاهدة أوشي 1912 التي تخلت بمقتضاها تركيا عن ليبيا.

واتصل بسيف النصر في الجفرة حاثاً إياه على مواصلة الجهاد. ولكن سيف النصر لم يستجب لهذا النداء ولما وصلت ايطاليا لبني وليد 1912 أخذت معها عبد النبي بن خير إلى طرابلس ضمن الزعماء الذين أجبروا على الإقامة بالعاصمة تحت نظر الايطاليين.

وحملته معها الحملة الايطالية المتوغلة في جنوب ليبيا كمستشار لها حتى وصلت إلى مدينة غات 1914.

وفي عام 1915 بعد سقوط القاهرة في يد المجاهدين ودحر القوات الايطالية من الجنوب كلفته ايطاليا بتكوين مجموعة من المقاتلين من ورفللة لإرجاع منطقة سرت كما كلفوا زعماء آخرين مثل رمضان السويحلي والساعدي بن سلطان والمبروك المنتصر وغيرهم من زعماء المنطقة كل على منطقته.

واشتركت هذه المجموعات في معركة القرضابية الشهيرة وانقلبت على الطليان وكانت الهزيمة المنكرة للطليان في معركة (القرضابية) الشهيرة/ 29 أبريل 1915.

وكان عبد النبي قد رجع من الطريق قبل حصول المعركة وحاصر بني وليد مع الشيخ سوف المحمودي وأسر حاميتها.

واستمر ينظم الجهاد في منطقة بني وليد وما حولها إلى قيام الجمهورية الطرابلسية حيث كان عضواً من أعضاء رئاستها الأربعة: سليمان البارون، رمضان السويحلي، أحمد المريض، عبد النبي بن خير.

ولما اجتمع الليبيون في المناطق الغربية من ليبيا ووقعوا مع الطليان صلح سواني بن يادم رفض عبد النبي توقيع هذا الصلح ورجع إلى بني وليد ولما هاجمت ايطاليا ليبيا من جديد 1922 وتحركت قواتها من الساحل وقف يقاتل على رأس مجاهدي ورفللة في معركة (وادي دينار) 1923. وخرج من بني وليد بعد سقوطها إلى الجفرة فاستقر بهون مع أسرة سيف النصر وترك مقاتليه يلتحموا مع أحمد سيف النصر يتصدون للطليان.

ومن هون توجه مع أسرة سيف النصر لمقاتلة خليفة الزاوي لأسباب يطول شرحها وبعد خروج خليفة الزاوي من مرزق تولى عبد النبي ادارة منطقة الوادي الغربي ولما وصلت قوات الطليان إلى هناك حمل مع آلاف الأسر الليبية مهاجراً إلى الجزائر عن طريق غات، وكان ذلك عام 1930. وفي الحدود الجزائرية سلم الفرنسيون من المجاهدين أسلحتهم وسمحوا لهم بالدخول.

وفي رحلة الدخول إلى الجزائر توفاه الله بالعطش في رمال صحراء جنوب

الجزائر المحرقة في الطريق إلى ورقلة. وكان ذلك عام 1931 عليه رحمة الله.

كما توفي معه مئات الأسر عطشاً في تلك الصحراء القاحلة لم تزل عظامهم تروى للتاريخ عظمة هذا الشعب العربي المسلم.

76

## الشيخ عثمان دان فودي

ينتمي الشيخ عثمان إلى قبيلة (التورودي) أهم وأكبر قبائل الفلان العربية التي تحتل وسط غرب افريقيا.

ولد عثمان عام 1754م ودرس دروسه الأولية على أيد مشائخ الأسرة ثم انتقل للسودان ليتعلم مزيداً من علوم الدين ومنها ذهب لأداء فريضة الحج.

وفي مكة التقى بمجموعات من العلماء المسلمين فزادت ثقافته وعلمه وامتلأ رغبة في اصلاح أوضاع منطقته والقبائل الافريقية المجاورة.

رجع الشيخ عثمان إلى منطقته وبدأ بالدعوة إلى الرجوع إلى دين الله الصحيح. ويحث الناس على ترك العادات السيئة والبدع والخرافات وبدأ الناس يرتاحون لدعوته ويتجمعون حوله.

وعندما كثرت مجموعاته وتأكد من تصميم أتباعه على الاصلاح قصد إلى ملك (جوبير) وبين له الاسلام الصحيح وأمره بإقامة العدل والمساواة في بلاده. وبعد سنة أو سنتين من دعوته هذه استجاب ملك جوبير لدعوته وسمح له بالجولة والانتقال والدعوة داخل مملكته. وفي المرحلة الثانية من الدعوة بدأ يحث الناس على حمل السلاح ومقاتلة الوثنيين ويقول لهم: «إن حمل السلاح سنّة» ونصح أتباعه بالتزي بالزيّ العربي ولبس العمائم وسترهم

النساء. وهنا تحرك ملوك وأمراء الامارات في المنطقة لمناوئته فقام ومجموعاته مهاجراً عام 1804.

وسمي ذلك اليوم من شهر فبراير يوم الهجرة. لا يزال سكان نيجيريا الشمالية يحتفلون به إلى اليوم وتجمع حول الشيخ الفلان وقام مهاجماً بهم مملكة جوبير فأسقطها وأسماه أتباعه (ساركين مسلماني) أي (أمير المسلمين) وسار يسقط امارات الهوسا واحدة بعد الأخرى. وانضمت إليه المجموعات المسلمة من قبائل الهوسا ولم يصل عام 1810 حتى استطاع الشيخ عثمان أن يؤسس امبراطورية (الفلان) الكبرى وعاصمتها (سيكوتو) ضمت مناطق الشمال من نيجيريا وأغلب أراضي النيجر ووصلت حتى مالي. ثم قسم عثمان مملكته إلى قسمين:

1 ـ القسم الشرقي وأقر عليه ابنه بيللو.

2 ـ القسم الغربي وأقر عليه أخوه عبد الله.

واكتفى عثمان بالزعامة الروحية متخذاً من مدينة (سيكوتو) عاصمة للدعوة الاسلامية كما ألف مجموعة من الكتب منها:

1 ـ بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية، ط.

2 ـ تمييز أهل السنة، ط.

3 ـ الجهاد.

4 ـ التصوف.

وتوفي رحمه الله عام 1817 وهو في قمة مجده.

## 77

# عثمان دقنة

هو أبو بكر عثمان الشهير بدقنه أحد زعماء الثورة المهدية بالسودان. انضم للشيخ عبد الله التعايشي وقاتل معه وقاد مجموعات من الدراويش للقتال ضد الجيش المصري بقيادة الانكليز وكان له الظفر في أكثر معاركه.

ولكن عند مقتل عبد الله التعايشي في معركة 3 نوفمبر 1899 ببلادالنوبة وكان عثمان معه فر متجاوزاً النهل الأبيض وجزيرة سنار ووصل إلى جبل (وتريبة) فعلم به شيخ ذلك الجبل فاتصل بالأعداء وأبلغهم بموقعه فحاصروه وتم القبض عليه في 18 يناير 1900 وسيق أسيراً إلى مصر حيث اعتقل في بلدة الرشيد بمن معه من أمراء الجهاد في السودان وأسرى الحركة المهدية.

وبالقبض على عثمان دقنة أصيبت الحركة المهدي بالتمزق وانتكست الثورة المهدية في السودان غير أن الحركة المهدية كطريقة دينية وحزب سياسي لا تزال بالسودان حتى هذا التاريخ.

## 78

# علي خليفة الزائدي

علم من أعلام التربية ورائد من رواد الحركة الكشفية في البلاد العربية.

.. ينتمي علي خليفة إلى قبيلة الزوائد التي تقطن مناطق الشاطىء بفزان، ومنطقة الخمس. ولها فرع بمنطقة الصحراء الكبرى في شمال النيجر.

.. ولد علي خليفة عام 1909 في بلدة الخمس وفي عام 1911 هاجم الايطاليون ليبيا فهاجر والده ضمن مجموعات من الليبيين إلى الشام.

.. نشأ علي بلبنان وكان أكبر اخوته فوقع على كاهله اعالة الأسرة بعد وفاة والده. فاشتغل الكثير من الأعمال الجسدية ليوفر لأسرته لقمة العيش، وكان يحاول مع ذلك أن يتلقى التعليم الذي تصبو نفسه إليه، إلى أن التحق بالكلية الإسلامية وتعرف على كثير من الشباب المسلم في لبنان.

.. وكان أثناء دراسته شغوفاً بحب الموسيقى. فانتقل إلى المعهد الوطني للموسيقى وتحصل منه على شهادة اتمام علومه الموسيقية في المعهد.

.. وفي عام 1927 انضم للحركة الكشفية فانضم إلى (جمعية الكشاف المسلم) وبدأ يترقى في سلم الحركة إلى أن أصبح مفتشاً عاماً للكشاف المسلم.

وفي عام 1933، شكّل الفرقة الموسيقية في الكشاف. وأصبحت حديث المنتديات لما تقدمه هذه الفرقة من الأناشيد الوطنية الحماسية في تلك السنوات الزاخرة بالمخاض القومي في المشرق.

.. أصبح علي خليفة علماً من أعلام الكشفية في لبنان قاد المخيمات في (رويسات صوفر) ومثّل لبنان في المعسكرات الكشفية في فرنسا والسويد وغيرها.

وقد برزت مواهب علي خليفة في التثقيف والتدريب وشخصيته القيادية.

.. وعند معارك فلسطين عام 1948 ونزوح آلاف الأسر إلى لبنان عهد إلى علي خليفة لتنظيم استقبال الوافدين العرب وإقامة المخيمات لهم وعلاجهم وتوزيع التموين لهم فقام بالعمل خير قيام.

.. وكان علي خليفة الزائدي قد أسس مع مجموعة من أصدقائه في الكشف مجموعة (فنون الغابة) ومهمتها اصدار سلسلة من الكتب الكشفية أهمها:

1 ـ الحركة الكشفية في الأقطار العربية.

2 ـ الدرجة المبتدىء (تعاليم عامة).

3 ـ الدرجة المبتدىء (تعاليم الكشاف الليبي).

4 ـ الدرجة المبتدىء (تعاليم الكشاف المسلم).

5 ـ الدرجة الثانية.

6 ـ نظام الطلائع.

7 ـ الأوسمة الكشفية ومطاليبها.

8 ـ ألعاب الكشافة.

9 ـ الكشفية للفتيان.

10 ـ كيف تدير الطليعة.

11 ـ كيف تدير فرقة.

12 ـ الأناشيد والصيحات الكشفية.

13 ـ دليل القائد.

14 ـ ألوان من النشاط الكشفي

15 ـ طريق النجاح.

16 ـ زيغ زاغ زوغ.

17 ـ مفكرة الشبل.

18 ـ الزهرات.

19 ـ ألعاب.

20 ـ سجل الشبل.

21 ـ تطبيق نظام الطلائع.

.. وفي عام 1954م عاد علي خليفة الزائدي إلى ليبيا حيث أسس أول

فرقة كشفية وسرعان ما زاد عدد الفرق حتى أصبحت في جميع أنحاء ليبيا. وأصبحت الحركة الكشفية في ليبيا من أهم الحركات الكشفية في العالم ونالت الكثير من الأوسمة ودرجات الامتياز.

وقد عرفت علي خليفة الزائدي عام 1956 عندما التحقت بالحركة الكشفية وبقيت على اتصال به إلى أن وافته المنية عام 1966.

.. كان وطنياً مخلصاً شجاعاً في الحق تربوياً، نظيف اليد مخلصاً لوطنه، غرس في الشباب حبهم لوطنهم وتعاليهم عن الدنايا.

وقد عيّن علي خليفة مستشاراً لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية بدرجة وكيل وزارة 1964 ثم عضواً بالمجلس الأعلى لرعاية الشباب عام 1965، وقائداً أعلى لكشاف ليبيا.

وقد كان عضواً في اللجنة الكشفية العربية وقد نال الأوسمة التالية.

1 ـ وسام الاستحقاق اللبناني المذهب (1954).

2 ـ نيشان الاستقلال عظيم الشأن من الطبقة الثانية مع الرصيعة سنة 1966.

3 ـ وسام الذئب البرونزي سنة 1966 (أرفع وسام كشفي عالمي).

4 ـ وسام الصليب الفضي اليوناني سنة 1966.

5 ـ وسام الصقر الفضي سنة 1966 (أرفع أوسمة كشافة الجمهورية العربية المتحدة).

6 ـ وسام الفينكس سنة 1966 (أرفع أوسمة المكتب الكشفي العربي).

7 ـ قلادة الكشاف العربي سنة 1966 (أرفع أوسمة المكتب الكشفي العربي).

8 ـ وسام الأرز الوطني من رتبة ضابط سنة 1966.

.. علي خليفة الزائدي كان علماً من أعلام الوطنية، والتربية وحركة الكشف غرس من روحه في كثير من شباب ليبيا حبهم لوطنهم، والتضحية من أجل الآخرين.

.. في عام 1966 ظهرت عليه بوادر مرض السرطان وهو يشرف على اعداد المخيم العربي الكشفي بليبيا (بغابة جودايم) وحضر المخيم وهو مقعد على كرسي.

.. وفي يوم 30 ديسمبر 1966 وافاه الأجل المحتوم بمستشفى الجامعة الأميركية ببيروت ونقل جثمانه إلى طرابلس ليبيا حيث دفن بمقبرة (منيدر) في حشد مهيب ألقيت على جثمانه الكلمات والقصائد.

.. رحمه الله علي خليفة الزائدي. فلقد كان صاحب الفضل على صاحب هذا القلم في مساعدته على التأليف. وحملني معه إلى لبنان عام 1964. وقدمني لأصحاب دار لبنان، ونشروا لي كتبي في الأدب الشعبي فجزاه الله خيراً وجزاهم أيضاً.

## 79

## علي السنّي

ويسميه المؤرخون سني علي.

من قبيلة السنغاي العربية فكلمة (سوننغي) معناها الرجل الأبيض في لهجة المنطقة.

استطاع هذا الرجل أن يعيد مملكة السنغاي بعد أن أسقطها المرابطون.

وأكثر الفتوحات ونشر الدين الاسلامي بين القبائل المجاورة.

واستطاع في مدة حكمه التي استمرت من عام 1464م إلى سنة 1492م، أن يوطد أركان الامبراطورية التي ورثها من بعده ابنه (بارو) 1492هـ ــ 1493م، والذي انقلب عليه وزير والده المدعو محمد. ولما سمعت ابنة سني علي خبر انقلاب الوزير على أخيها صاحت قائلة (اسكيا) ومعناها غاصب

الملك أو مغتصب الملك فسمي الوزير عندما تولى الملك اسكيا محمد 1493 ـ 1529م.

وقد استمرت هذه المملكة إلى سنة 1594 عندما هاجم سلطان المغرب منصور الذهبي آخر ملوكها المدعو (اسكيا نوح) 1592هـ ـ 1594م، وبقتله في إحدى معارك الجيش المغربي انتهت هذه الأسرة الحاكمة.

## 80

# علي الصيد المرزوقي

هو علي بن عبد الله بن علي الصيد من فريق (أولاد عبد الله) مشيخة (العوينة) معتمدية دوز.

ولد عام 1919 في 20 يناير في بئر سلطان بظاهر المرازيق.

تعلم القرآن الكريم في زاوية جده (عمر المحجوب) حتى إذا ما شبّ عن الطوق احترف التجارة، ثم التحق بالجيش الفرنسي كمجند في منطقته.

ولما شبت الحرب العالمية الثانية ودخل المحور إلى منطقة تونس، رفض علي الصيد الذهاب مع الفرنسيين للتراب الجزائري. وصعد للجبل مع مجموعة من شباب المرازيق، وبدأ يصد غارات الفرنسيين على المنطقة، وأبلى البلاء الحسن ونظراً لخبرته في الحرب وشجاعته انتخبه المجاهدون رئيساً عليهم.

وهنا قاد ثوره المرازيق الشهيرة التي استمرت منذ عام 1942 إلى سنة 1949 وبقي فلولها في الجبال إلى أن أعلنت تونس الثورة ضد الفرنسيين عام 1954 تلك الثورة التي استمرت سنتين. وتحصلت تونس بموجبها على الاستقلال الداخلي 1956 ثم الاستقلال التام.

استمر علي الصيد في معاركه ضد الفرنسيين إلى أن جرح في معركة

(طويل الصابرية) حيث أصيب في وجهه وفقد إحدى عينيه ونصف فكه وبقي لا يستطيع حراكاً فبقي مختبئاً في إحدى مخيمات البدو الذين عالجوه إلى أن شفي.

وتسلل إلى العاصمة (تونس) عام 1948 حيث عرض نفسه على الأطباء وعالجوه بعد أن انتحل اسماً رمزياً.

ورجع بعد أن شفي للجهاد حيث كوّن عصابة من المجاهدين بدأت تضايق الفرنسيين في المنطقة. وحتى عندما أعلنت فرنسا العفو العام عام 1949 رفض علي الاستسلام وإلقاء السلاح.

وأعلنوا أيضاً العفو مرة ثانية عام 1953 ولكن علي رفض ذلك. وبقي متمسكاً بسلاحه يجوب المنطقة تتبعه شهرته كشجاع وكمجاهد وكهداف بارع.

واستمر يجاهد إلى أن ألقى التونسيون السلاح عام 1956 بناء على نداء موجّه من الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الدستوري.

وبعد أن رجع علي الصيد إلى قريته بالمرازيق تزوج وعيّن شيخاً لقبيلته ولكنه لم يستمر إلا سنتين فاستقال وعاش حياة حرة أبيه في موطنه المرازيق. وانقطعت أخباره ولم نعد نسمع عنه شيئاً، وقد يكون لا يزال على قيد الحياة.

81

## علي بن يحيى المسوفي

ولد بالصحراء الكبرى وبها ترعرع وشب وأصبح زعيماً لقبيلة مسوفة. ونشب القتال بينها وبين لمتونة بسبب علي بن يحيى الذي قتل أحد رجالها فتدخل يوسف بن تاشفين ودفع دية القتيل وأعاد علي إلى مكانه وزوّجه أخته

(غانية) وولاه قيادة أحد الجيوش المرابطين التي عبرت الأندلس وقد رزق لعلي هذا ولدين هما محمد ويحيى سميا في التاريخ بأبناء غانية.

محمد تولّى جزر حوض البحر الأبيض المتوسط (ميورقة، مينوقة يابسة). وعيّن يحيى والياً على غرب الأندلس وكونت هذه الأسرة أسرة حاكمة عرفت في التاريخ بأسرة بني غانية. ولقب بعض أفرادها بالميورقي نسبة إلى جزيرة ميورقه.

وقد حفظ أبناء علي المسوفي هذا حكم المرابطين في جزر البحر المتوسط رافضين الانضمام تحت سيطرة الموحدين بل إن أحد أحفاد علي هذا ويدعى علي أيضاً قاد عمليات الحرب ضد الموحدين وانتصر عليهم في كثير من المعارك واستولى على الجزائر وبلاد الجريد في الجنوب التونسي وراسل الخليفة العباسي يبايعه ويطلب منه المعونة، فأرسل الخليفة العباسي معترفاً به وطالباً من صلاح الدين الأيوبي مناصرته. وقد كتب صلاح الدين إلى نائبه على طرابلس الغرب قراقوش بذلك.

واستمرت هذه الأسرة في حكمها لمنطقة طرابلس وأحياناً جنوب تونس حتى آخر والٍ لها وهو يحيى بن اسحاق بن محمد بن علي الذي اشتد الصراع بينه وبين الموحدين وانتصر في كثير من معاركه معهم ولكن أخيراً استطاعوا هزيمته في معارك بجبال قابس عام 602هـ، فتقهقر جيش بنو غانية إلى طرابلس.

ومنها انطلق من جديد إلى جنوب تونس وجنوب الجزائر حتى وصل إلى سجلماسة وتلمسان واستولى عليها وجمع الغنائم بعد معركة كبيرة في (تيهرت).

وأثناء عودة بنو غانية نصب لهم والي افريقية من قبل الموحدين كميناً وألحق بهم هزيمة واستولى على ما كان بأيديهم وطاردهم إلى طرابلس. ومن طرابلس انسحب يحيى إلى غذامس ومنها إلى ودان حيث حاصرهم الموحدون هناك.

واستطاع يحيى فك الحصار وتوجه إلى بلاد الزاب ومنها انسحب إلى

الصحراء الكبرى موطن أجداده حيث بقي هناك إلى أن توفي عام 633هـ عليهم جميعاً رحمة الله.

## 82

# علي كلة

هو الشيخ علي كلة من قبيلة الصيعان فخذ أولاد مَحمد. تربى وترعرع في سهل الجفارة في أسرة متواضعة تهتم بتربية المواشي ولم يتلق حظاً كبيراً من التعليم وما إن دخلت ايطاليا ليبياً حتى قام مجاهداً يتقدم الصفوف غير آبه بالموت طيلة الأعوام 1911 ـ 1912. وفي عام 1913 بعد معركة الأصابعة الشهيرة انتقل مع نجوع الصيعان وآلاف المجاهدين إلى تونس رفقة الشيخ محمد سوف والشيخ سليمان الباروني. ومن تونس توجه الزعماء إلى تركيا حيث بقوا هناك السنوات 1913 و1914. وفي عام 1915 كلفت تركيا الشيخ سليمان الباروني والياً على ليبيا (طرابلس الغرب) وأصدرهذا قراراً بتعيين الشيخ علي كلة قائداً للمجاهدين. ولكن الشيخ علي كلة مرض في هذه الأثناء مرضاً خطيراً لم يشف منه إلا بعد قرابة السنة وتوفي في هذا المرض معظم أفراد أسرته وأبناء عمومته المرافقين له.

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى رجع علي كلة إلى الوطن، رافضاً الركوب في باخرة ايطاليا أرسلت لهذا الغرض إلى بيروت. فوصل مصر، ومن مصر سار براً إلى طرابلس حيث وجد المجاهدين في أوضاع مختلفة وتبديل للمواقع. فالذي تركه مجاهداً وجده مع الطليان وآخرين وجدهم على المبدأ الأسبق، كان ذلك عام 1921 وايطاليا ترتب أمورها للهجوم من جديد فالتحق بصف المجاهدين. ولما نشبت الحرب كان على رأس قبيلته وخاض معارك سهل الجفارة وانتقل إلى بني وليد والسدادة وكان مديراً للصيعان في

حكومة السدادة التي شكلها السيد صفي الدين السنوسي وسعدون السويحلي وخاض معارك الكراريم والمشرك، التي استشهد فيها سعدون السويحلي ومن هناك اتجه للجنوب بأفراد قبيلته إلى الشاطىء بفزان ومنه إلى الحمادة الحمراء، قاطعين مسافة شاسعة تقارب الألف كيلو متر ضنينة المياه، قليلة الكلأ، صعبة الطرق، حارة في الصَيف باردة في الشتاء.

ولما وصل إلى الحدود الجزائرية قرب غدامس قبضت عليهم السلطات الفرنسية وقررت ارجاعهم إلى الطليان. ففر الشيخ علي كلة إلى الأراضي التونسية ليلاً، وبعد سفر شاق التقى ببقية أسرته التي تركها هناك منذ عام 1913.

استقر بتونس (بمنطقة الجنوب) منذ وصوله عام 1926 إلى ما بعد عام 1931 حيث أصدر الايطاليون مرسوم العفو العام. فرجع إلى أهله بسهل الجفارة. وكانت سنوات العمر قد تقدمت به، فبقي تحت الإقامة الجبرية مراقب الحركة والتنقل إلى أن وافاه الأجل المحتوم حوالى عام 1940 وقد تجاوزت سنه السبعين سنة عليه رحمة الله.

## 83

## علي ولد ميارة

مجاهد من المجاهدين في الصحراء الكبرى، وفارس من فرسان العرب، وشهيد من شهدائهم. ينتمي إلى قبيلة الرقيبات الشهيرة في منطقة الساقية الحمراء.

تطوع للجهاد تحت راية الشيخ ماء العينين الذي اتخذ من (السّمارة) مركزاً لهجماته على النصارى الفرنسيين والاسبان.

قاد علي ولد ميارة مجموعة كبيرة من المجاهدين من عرب الصحراء، واصطدموا بالفرنسيين في (أم التونسي) شمال نواقشوط الحالية بحوالى 34 كيلومتراً.

وقد نشبت المعركة ضارية وشديدة وحامية، وسقط من الجانبين خلق كثير وكان من ضمن الشهداء علي ولد ميارة عليه رحمة الله. وكانت المعركة عام 1934م. وتعتبر آخر معركة خاضها المجاهدون المسلمون العرب ضد فرنسا في موريتانيا.

ولقد عرفت اسم علي ولد ميارة عام 1973 عندما زرت مجاهدي الساقية الحمراء ضد اسبانيا (الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب) فحمّلوني رسالة منهم إلى تيندوف بجنوب الجزائر، وعلى ظهرها اسم علي ولد ميارة وذلك لتسليمها لمندوبهم في تندوف.

وعلمت بعد ايصالي للرسالة أن الاسم حركي، وهو تخليد لاسم مجاهد شهيد ضد فرنسا يدعى بهذا الاسم. وينطق الصحراويون اسم علي بإضافة ألف فيقولون (أعلي).

## 84

## عمارة دونقس

هو عمارة دونقس. ولم نعثر على تسلسل نسبه.

ينتمي إلى قبيلة الفونج التي يرد نسبها للأمويين. وسموا باسم جبل الفونج الذي استقروا به.

وعمارة هذا هو مؤسس مملكة الفونج في السودان بمساعدة عبد الله جماع من عرب القواسمة.

وقد تم تأسيس هذه المملكة عام (1505) وأسقطت مملكة (علوة) المسيحية. وقد استطاع جيش عمارة أن يسقط الامارات والمشيخات في منطقة السودان الأوسط، وأن ينشيء مملكة قوية استمرت حتى عام 1821 عندما زحف المصريون على هذه المملكة وأسقطوا آخر ملوكها.

وقد أنشأ عمارة مدينة (سنار) واتخذها عاصمة لملكه.

وقد استطاع أن ينشر الاسلام بين الممالك المسيحية والوثنية التي زحف عليها.

وقد كان لعلو صيت هذه المملكة المسلمة أن زحفت الحبشة لقتالها ولإخماد جذوتها خاصة بعد أن قتل سفير فرنسا في الحبشة في سنار.

ودارت معركة بين المملكتين في 8 مارس 1744 انتصرت فيها مملكة الفونج وخسر الأحباش خسارة فادحة وولى امبراطورهم ياسو الثاني الفرار والذي كان يقود المعركة.

وقد اهتمت هذه المملكة بالتعليم الاسلامي ونشر اللغة العربية والفكر الاسلامي والتشريع، وبرز من بين أفرادها علماء وفقهاء قادوا الفكر والتعليم في مملكة الفونج وأنشئت عدة مدارس شهيرة.

## 85

## عمر الغول

هو عمر بن محمد الغول من قبيلة أولاد عبد الله المرازيق. الجنوب التونسي.

ترك زوجته وأطفاله بالمرازيق عام 1915 والتحق بالجهاد الليبي ضد الطليان وكان رحمه الله شجاعاً بارعاً في الرماية قوي الارادة مؤمناً بقضية الجهاد إلى أبعد الحدود.

اشترك في كثير من المعارك ولمع اسمه فيها وكون مجموعة من المجاهدين مهمتها مهاجمة مراكز الفرنسيين على الحدود وكان يشتبك معهم ويغنم كمعارك (الهيرة) و (زار).

واستمر عمر يقلق راحة الفرنسيين حتى بعد عودة أكثر أصحابه إلى تونس.

وقد حاول الفرنسيون اغراءه بالمال والوعود في أن يستسلم ويترك الحرب ويرجع إلى أهله ولكنهم لم يفلحوا في ذلك.

وتوغل عمر الغول في الصحراء، يتصيد الوحش لطعامه ويتصيد الفرنسيين والطليان.

وكان الأعداء يتربصون به ويبثون العيون لمتابعته ورصد حركاته.

وأخيراً وقع في الفخ. فلقد علم الفرنسيون أن عمر وحيداً في الصحراء قرب غذامس في منطقة الرميل، وأن مجموعة من المجندين الطليان اصطدموا به قبل أيام وردهم على أعقابهم خاسرين.

كلف الفرنسيون مجموعة من مجنديهم وأغلبهم من سكان الصحراء ـ مع الأسف ـ وأبناء عمومته وتمكنوا من تطويقه في أرض فضاء. وإستطاعوا اصابته اصابة مباشرة بالرغم من دفاعه المستميت، وقطعوا رأسه راجعين به للضابط الفرنسي تعبيراً عن ولائهم المطلق لفرنسا. وهكذا قضى هذا المجاهد الكبير نحبه عليه رحمة الله فداء للوطن وذلك عام 1924 عن عمر يناهز السبعين عاماً.

86

# عمر المختار

هو عمر بن المختار المنفي من قبيلة المنفة التي تقطن في صحراء طبرق في شرق ليبيا.

التحق في صغره بالزاوية القرآنية في البيضاء وحفظ القرآن وتعلم علوم الدين وأصبح من كبار المشائخ العلماء في المنطقة. وحينها تولى مشيخة زاوية القصور بالجبل الأخضر التي تعلم الناشئة القرآن الكريم والفقه والأدب والنحو.

وعندما انتقل الشيخ المهدي السنوسي إلى (قرو) بالسودان (تشاد الحالية) رافقه مجموعات كبيرة من حفظة القرآن والعلماء. وكان عمر المختار من بينهم، ولما نشبت الحرب الجهادية ضد فرنسا في الصحراء الجنوبية، تشاد والنيجر كان عمر المختار ضمن أبطال الجهاد فاشترك في هذه المعارك وجرح فيها وبقي بتشاد أربعة أعوام كاملة.

وفي عام 1321 رجع لبرقة ليدير زاوية القصور مرة أخرى.

ولما هاجمت ايطاليا ليبيا كان في مقدمة المجاهدين الذين أبلوا البلاء الحسن دفاعاً عن الأرض والعرض والدين.

تولى عمر المختار مسؤولية الدفاع عن الوطن، وتحصن بالجبل الأخضر وقارع الطليان في معارك تشهد له بالكفاءة والذكاء والقوة والتصميم. وقد فشلت كل طرق المراوغات التي اتخذتها ايطاليا معه، من التهديد إلى التلويح بالمال والجاه إلى تكليف بعض وجهاء بني وطنه بدعوته لإلقاء السلاح.

وقد ذكرت الوثائق الايطالية أن عمر المختار قارعهم في الجبل الأخضر

في 260 واقعة ومعركة. وفي مساء يوم الجمعة 28 من ربيع الآخرة 1350هـ اشتبك مع الطليان في معركة غير متكافئة فقتل جواده وجرح هو وقبض عليه أسيراً حيث نقل إلى بنغازي ومنها إلى سلوق فنفذ فيه حكم الاعدام شنقاً عليه رحمة الله يوم 16 سبتمبر 1931 بعد أن حصر الطليان آلاف المواطنين لمشاهدة المنظر.

وباستشهاد عمر المختار رحمه الله، انتهى الجهاد الليبي ضد الطليان وأعلن الوالي الايطالي نهاية المقاومة.

وقد رثاه الشعراء الشعبيون والشعراء العرب بقصائد مؤثرة من أهمها مرثية أمير الشعراء أحمد شوقي الذي يقول:

ركزوا رفاتك في الرمال لواء     يستنهض الوادي صباح مساء
يا ويحهم نصبوا مناراً من دمٍ     يوحي إلى جيل الغد البغضاء
ما ضر لو جعلوا العلاقة في غدٍ     بين الشعوب مودة وأخاء
جرح يصيح على المدى، وضحية     تتلمس الحرية الحمراء
يا أيها السيف المجرد بالفلا     يكسو السيوف على الزمان مضاء
تلك الصحارى غمد كل مهند     أبلى فأحسن في العدو بلاء
وقبور موتى من شباب أمية     وكهولهم لم يبرحوا أحياء
لولاذ بالجوزاء منهم معقل     دخلوا على أبراجها الجوزاء
فتحوا الشمال سهوله وجباله     وتوغّلوا فاستعمروا الخضراء
وبنوا حضارتهم فطاول ركنها     (دار السلام) و (جلّق) الشماء
خيرت فاخترت المبيت على الطوى     لم تبنِ جاهاً أو تلم ثراء
إن البطولة أن تموت من الظما     ليس البطولة أن تعبّ الماء
افريقيا مهد الأسود ولحدها     ضجّت عليك أراجلاً ونساء
والمسلمون على اختلاف ديارهم     لا يملكون مع المصاب عزاء
والجاهلية من وراء قبورهم     يبكون زيد الخيل والفلحاء
في ذمة الله الكريم وحفظه     جسدٌ (ببرقة) وُسّد الصحراء

لم تبق منه رحى الوقائع أعظما تبلى ولم تبق الرماح دماء
كرفات نسرٍ أو بقية ضيغم باتا وراء السافيات هباء
بطل البداوة لم يكن يغزو على «تنكٍ» ولم يك يركب الأجواء
لكن أخو خيل حمى صهواتها وأدار من أعرافها الهيجاء

* * *

لبى قضاء الأرض أمس بمهجة لم تخش إلا للسماء قضاء
وافاه مرفوع الجبين كأنه سقراط جرّ إلى القضاة رداء
شيخ تمالك سنه لم ينفجر كالطفل من خوف العقاب بكاء
وأخو امور عاش في سرائها فتغيرت فتوقّع الضراء
الأسد تزأر في الحديد ولن ترى في السجن ضرغاماً بكى استخذاء
وأتى الأسير يجر ثقل حديده أسدٌ يجرر حية رقطاء
عضّت بساقية القيود فلم ينوء ومشت بهيكله السنون فناء
خفيت عن القاضي وفات نصيبها من رفقٍ جند قادة نبلاء
والسن تعصف كل قلب مهذب عرف الجدود وأدرك الآباء

* * *

دفعوا إلى الجلاد أغلب ماجداً يأسو الجراح ويطلق الأسراء
ويشاطر الأقران ذخر سلاحه ويصفّ حول خوانه الأعداء
وتخيروا الحبل المهين منية لليث يلفظ حوله الحوباء
حرموا الممات على الصوارم والقنا من كان يعطى الطعنة النجلاء
إني رأيت يد الحضارة أولعت بالحق هدماً تارة وبناء
شرعت حقوق الناس في أوطانهم إلا أباة الضيم والضعفاء

* * *

يأيها الشعب القريب أسامعٌ فأصوغ في عمر الشهيد رثاء؟
أم الجمت فاك الخطوب وحرّمت أذنيك حين تُخاطَب الأصغاء؟
ذهب الزعيم وأنت باق خالدٌ فانقد رجالك واختر الزعماء

وأرخ شيوخك من تكاليف الوغى واحمل على فتيانك الأعباء.

* * *

وخوف الاطالة لم نر ضرورة لنشر بقية المراثي في شيخ الشهداء عمر المختار.

وبعد الثورة أقيم له نصباً تذكارياً في بلدة سلوق القرية التي قتل فيها عليه رحمة الله.

87

## الحاج عمر تال

هو الحاج عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي الفلاني. لم يكن من الصحراء ولكنه من الأدغال حيث ولد في إحدى قرى السنغال عام 1797 فتعلم على يد والده ثم شيوخ القرية أمثال الشيخ عبد الكريم بن أحمد من علماء فوتا جالون/ حيث أخذ عنه أوراد الطريقة التيجانية واتجه للحج عام 1820 حيث وسع مداركه العلمية هناك ورجع ماراً ببلاد برنو وبلاد الهوسا داعياً لطريقته منقصاً للطريقة القادرية التي كانت تسود تلك الديار. ولما وصل إلى بلاد السنغال أعلن الجهاد ضد معارضي الطريقة التيجانية وتوجه بقواته شرقاً نحو مالي. وخاض معارك شرسة سقط فيها آلاف المسلمين من الطرفين. وكانت فرنسا تنظر للصراع بامتنان وتغذيه واصطدمت مع الشيخ عمر تال صداماً خفيفاً ولكن الصدام لم يتطور إلى أن يصبح حرباً ضروساً كما كان مع أتباع الطريقة القادرية.

حيث هاجم عاصمتهم (الحمد لله) وخربها وقتل ملكها أحمد الماسني وأسقط مملكة ماسنة.

وتحرك القادريون من الشمال بقيادة الشيخ أحمد البكاي واصطدموا مع قوات الحاج عمر في معركة طاحنة انكسر فيها جيش الحاج عمر. وقتل في المعركة عام 1864.

ويقول الدكتور أحمد شلبي:

«وكان الحاج عمر متمسكاً بالشرع في حربه وسلمه عالماً عاملاً ذا بصيرة في دينه لم يشغله الجهاد عن تدريس العلم لجيوشه الغازية في سبيل الله مع الوقوف عند الحدود والتقرّب إلى الله بالنوافل وخلفه ابن أخيه أحمد وشيخو بن الحاج عمر. وحاول هذا توسيع فتوحات الحاج عمر ولكن الاستعمار الفرنسي كان قد بدأ في هذه البلاد فقبض على أحمدو وأسقط هذه الامبراطورية الاسلامية الكبيرة».

والحاج عمر هو من قبيلة الفلان العربية والتي أنجبت للأمة الاسلامية مجموعة من العلماء والمجاهدين الأفذاذ عليهم رحمة الله.

ويقول شكيب ارسلان في كتابه حاضر العالم الاسلامي: «إن الشيخ أحمد الشريف السنوسي أبلغه أن الحاج عمر تال كان على اتصال بالحركة السنوسية والجغبوب، وبينهم مراسلات».

88

## غومة المحمودي

هو غومة بن خليفة بن عون من قبيلة المحاميد العربية التي يرجع نسبها إلى قبيلة بني سليم.

ولد حوالي عام 1795م بوادي الأثل قرب بلدة بئر الغنم من نواحي طرابلس الغرب.

تعلم في صغره القراءة والكتابة على يد فقيه النجع وحفظ قصار السور. وتربى على الفروسية وركوب الخيل وكانت قبيلته من القبائل المحاربة فنشأ محارباً صلب العود قوي العزيمة ثائراً بالسليقة.

وما إن شب عن الطوق حتى ترأس قبيلته والقبائل المجاورة.

ولما كان الأتراك يحكمون ليبيا حكماً استبدادياً ظالماً يرسلون الحملات التأديبية للقبائل التي لا تستطيع دفع الضرائب أو ترفض دفعها نظراً لسنوات الجفاف وتعود هذه الحملات محملة الإبل برؤوس أفراد القبائل الرافضة ويعلقون تلك الرؤوس على خوازيق داخل المدينة وعلى أسوار المدينة ليرهبوا بها الناس.

في هذه الظروف ثار غومة المحمودي على الأتراك وعلى ظلم الأتراك. وجعل الصحراء تتجاوب لدقات طبوله من الجنوب التونسي إلى وادي سوف في الجزائر إلى الحمادة الحمراء والجبل الغربي وسهل الجفارة بليبيا. ويصل في إحدى المرات إلى قرية جنزور المجاورة للعاصمة طرابلس.

وكانت حياته المفعمة بالمغامرات بين جذب ورخو مع الأتراك.

فتارة يتصلون به ويحاولون تهدئته وتارة يرسلون إليه جيشاً كهاماً فيبطش به وينتصر عليه.

في هذه الأثناء تغير الوالي التركي وجاء والٍ جديد وجاء غومة ليطوي صفحة من صفحات الماضي ويفتح صفحة جديدة. فقبض عليه الأتراك وأودعوه السجن وحمل إلى تركيا ليلقى هناك في سجن الغربة (طرابزون) ويبقى اثني عشر سنة سجيناً.

ويفر من سجنه ويعود إلى تونس ومنها يدخل الحدود محارباً من جديد. ويصطدم بالسلطات التونسية وتضايقه الادارة التركية بجيوشها فيرحل إلى وادي سوف حيث أبناء عمومته المحاميد هناك.

ومن وادي سوف يدخل إلى غذامس. والحمادة الحمراء ويستقر بأسرته بالقرب من القطّار بوادي أوال جنوب قرية درج بحوالى 55 كيلومتر وهناك

يهاجمه الأتراك بقواتهم. ويقف وحيداً يقاتل الأعداء. ويسقط في ساحة المجد عليه رحمة الله عام 1858م بعد أن أشعل ثورته في تلك الصحراء 25 خمسة وعشرين سنة كاملة.

وغومة المحمودي إلى جانب فروسيته له أشعار شعبية رائعة لا يزال البدو في الصحراء ينقلونها حفظاً مشافهة من جيل إلى جيل.

ويقول في إحدى قصائده متمنياً حصاناً جيداً ليخلص به ثاراته من الأعداء:

هنى بال من راكب جواد امنقى — وخلص اديونة قبل ما يتقى

• • •

ربـــاع وجـــاهـــل — ووين ما دعس خلى لو عار سوأهل
ديمة المناهل ما تزال مناهل — ولتلاغ تقعد للذياب ملقه

• • •

كـيـف الـسـلـوقـي زوره — ويخطم كما صقر اللحم في الدورة
ويسقط على الطابور كيف الكورة — من فم مدفع ولعمارة وقة

• • •

كـريـد امـعـاوي — كثير العتاقي سمح وجهه ظاوي
ولونه كما ملف أن جديد سماوي — وبوه من أجبال التل وأمه زرقة

• • •

ربـاع امـيـصـل — امكمل علوق المندرة وامقصل
والسرج من سوق الرباع امفصل — ميتين بو طبرة امكلف حقه

• • •

وهو الذي يقول وهو على ظهر الباخرة التي أقلته مسجوناً لتركيا:

تركناه خط بخط زي النيلة — وززناه وطن العزو مراحيله

• • •

تـــركـــنـــاه مـــا لا جـــره    والـكـاف يـبـعـد والـبـحـر يـتـعـرى
وغـابـوا الـدبـايـر كـامـلـة فـي مـرة    والـصـقـر ديـمـه اتحـصـلـه الحـبّـيـلـه

• • •

تـــركـــنـــاه غـــيـــم ايـــمـــوّج    في وسط قارب في الغريق ايبوّج
وبـيـنـا ثـريـتـه هـالـزمـان يحـوّج    وفي وين مكتوبك تبي تمشيله

• • •

تـــركـــنـــاه فـــي الـــشـــراقـــة    تـركـنـاه خـط بـخـط قـلـبـي تـاقـه
ادموعي على روس اللحي دفاقة    يشابيب من بعض السحايب سيله

• • •

ولقد وقفت على قبر غومة المحمودي وحيداً في الصحراء ومرّت أمامي صور معاركه وبطولاته فكانت ملحمة من ملاحم العشق للحرية.

## 89

## غيلان

هو شخصية مشهورة في صحراء ليبيا ينسبون إليه معرفته بالنجوم وتعاقب الفصول. وشهرته في تربية الإبل ورعيها وأمراضها وعلاجها.

ومن معرفته في الفصول قولهم: جاءوا إلى غيلان يسألونه عن الفصول ومتى دخل الربيع. فذهب ليحلب لهم ناقة ورجع لهم بالحليب وقد ربط الشكوة مع نصفها قائلاً لهم: إن نصف الحليب الأسفل حلبته في الشتاء. والنصف الأعلى حلبته في الربيع. فتعجبوا من ذلك وسألوه عن كيفية معرفته بذلك. قال:

عندما بدأت في حلب الناقة كانت تدير ظهرها للريح.. وفجأة دارت وأعطت وجهها للريح. والإبل تستقبل الريح في الربيع وتستدبره في الشتاء.

وله قصص عديدة معروفة عند ملاك الإبل.

ولم أعثر على نسبته ولا في أي عصر عاش ولا مكان اقامته مع أن الكثير من الأماكن تسمى باسمه أو قريباً منه مثل (أبو غيلان، وقصر غيلان، وبئر الغيلانية). وقد أعرف قبائل في الصحراء تسمى أولاد غيلان. ولا أدري أنسبة هذه الأسماء له أو لغيره.

**90**

## فهرون بن الأنصار

هو سلطان قبيلة لمتونة (والليمدن) أهل الغرب والتي تشمل شرق مالي الحالية وشمال فولتا العليا (بوركينا فاسو). وصلته رسائل المجاهدين الليبيين يحثونه فيها على الجهاد ضد المستعمرين النصارى الفرنسيين فقرر الثورة. وعلم الفرنسيون به فقبضوا عليه وأودعوه السجن في (داكار) ثم أعيد وسجن في (منكّا) بشمال شرق جمهورية مالي الحالية. وحاولت فرنسا استدراجه وكسبه إلى جانبها فأصدرت مرسوماً يقضي بتعيين (فهرون) ملكاً على التوارق. ولكن فهرون كان يخطط لضرب الفرنسيين ففر من السجن وأعلن الثورة وهاجم المواقع الفرنسية في (منكا) و (فلنكي) واستولى على ما فيها من السلاح والذخيرة.

وحاولت فرنسا تدارك الأمر فأرسلت إليه بنسخة من المرسوم القاضي بتعيينه مَلكاً على التوارق وبأمر العفو عنه. ولكنه أكد تصميمه على الجهاد قائلاً إن تعييني ملكاً على التوارق لا تملكه فرنسا.

وهنا تحركت القوات الفرنسية من (قاوة، ونيامى، وزندر، وتمنغست) وذلك لتطويق ثورة فهرون وإخمادها. واستعانوا بأعدائه من الوطنيين أمثال بادي ولد حمادي شيخ تينبكتو وقبائل الهقار. وأحاطت به هذه القوات الكبيرة القادمة من مالي والنيجر والجزائر. وذلك في بلدة (آضر بوكار) وجرت معركة عنيفة غير متكافئة سقط فيها مئات الشهداء من أنصار فهرون واستطاع أن ينسحب بقلة من جنوده خارج الحصار. وتولى الفرنسيون القيام بمذبحة كبيرة ضد النساء والأطفال والشيوخ وكل ما هو حي في أحياء فهرون بن الأنصار.

وأثناء انسحابه اصطدم بمجموعة من توارق الهقار الأعداء التقليديين لقبيلة والليمدن، والمتعاونين مع فرنسا. وأثناء المعركة سقط فهرون بن الأنصار شهيداً وتمت بذلك ثورته التي فجرها دون مساعد، وذلك عام 1916.

وهكذا بعد مقتل فهرون وبعد المذابح التي قام بها الفرنسيون في السكان العزل من السلاح. قام الفرنسيون بتمزيق سلطنة والليمدن إلى مجموعات من القبائل الصغيرة وجعلوا على رأس كل قبيلة شيخاً من الموالين لفرنسا وجعلوا تبعية هؤلاء المشائخ للإدارة الفرنسية مباشرة في (قاوة وتينبكتو) بمالي وفي (تلاييري) من النيجر وفي (دوري) في بوركينا فاسو.

## 91

## قجة بن عبد الله

هو قجة بن عبد الله البديي من قبائل العرب في تشاد التحق بالزوايا السنوسية وتعلم بها العلوم الدينية الفقه والأصول وفنون العلوم الأخرى كالنحو وغيره حتى أصبح من فقهاء المنطقة ومن مريدي الطريقة ولما هاجمت

فرنسا منطقة تشاد وقف الشيخ قجة بن عبد الله مجاهداً تحت راية أشياخه أحمد الشريف ومحمد السني والبراني الساعدي وغيرهم.

ولما هاجمت ايطاليا ليبيا 1911 ورجع المجاهدون الليبيون إلى ليبيا رجع معهم قجة بن عبد الله مجاهداً في سبيل الله مدافعاً على نصرة الحق. فكلفه الشيخ أحمد الشريف بقيادة دور العواقير. ذلك الدور الذي تبرز فيه القيادات وتتنافس وتأنف شيوخ المنطقة فيه أن تنقاد لبعضها البعض فقضت حكمة أحمد الشريف أن يولى على الدور الشيخ قجة عبد الله الرجل المجاهد في سبيل الله والذي لا يجمعه مع المجاهدين أي ثقل قبلي اللهم إلا وحدة الهدف وشهادة أن لا إله إلا الله والجهاد في سبيل الله.

وقد برز قجة في قيادة الدور وساهم في ادارة الكثير من المعارك الجهادية في منطقة برقة.

ولما استشهد الشيخ عبد الله الطوير في تشاد ورجعت إحدى نسائه التشاديات إلى برقة وهي من قبيلة قجة، طلب الشيخ أحمد الشريف من قجة الزواج بها ربطاً لأواصر الدم بين المجاهدين، وحفظاً لأسرة مجاهد عظيم وخوفاً عليها من الضياع. فلبى قجة أمر شيخه وتزوج بها. ولما تضعضع الجهاد في مناطق ليبيا وهاجر آلاف الليبيين إلى تشاد، رجع قجة بن عبد الله إلى هناك حيث قضى بقية حياته إلى أن توفي عليه رحمة الله.

## 92

## ليج إياسو

فتى من فتيان العرب المسلمين في شرق أفريقيا استطاع أن يصل إلى تولي امبراطورية الحبشة عام 1913 ـ 1916.

وقد استخلفه الامبراطور منليك 1913 الذي لم يترك أولاداً فأوصى بالامبراطورية (لليج) ابن الرأس ميخائيل الذي كان قبل ذلك يسمى الإمام محمد علي رئيس قبائل (واللوغالا) هذه الأسرة المالكة التي تنتسب إلى الرسول الكريم ﷺ.

وقد تزوج هذا الشاب من قبيلة الدناقل العربية بل من امارتها.

ولكن الكنيسة وقفت ضد هذا الامبراطور الشاب وبدأت تثير الشكوك حوله. وتنشر الدعايات ضده لميله للإسلام ولرجوعه لدين آبائه، خاصة وقد أظهر تعاطفاً مع المسلمين وبدأ في تشييد المساجد وكلف ثلة من العلماء تبحث له عن نسبه.

ويقول تاريخ هذه الأسرة إن جدهم العربي المسلم قدم من ايران وإن أسلافهم كانوا يحملون لقب «الشريف». وقد توصل الفقهاء إلى انحدار هذا الرجل من العائلة الشريفة.

وقد استطاعت أرملة الامبرطور مينليك أن تدير الدسائس ضده وتؤلب ضده المسيحيون وعلى رأسهم الكنيسة. كما وقفت ضده الدول المسيحية الكبرى لتقربه من العثمانيين والألمان.

وهنا زحفت القبائل المسيحية على العاصمة لإسقاط الامبراطور الذي احتمى بالمسلمين في هرار والدناقل. وبدأ يجمع منهم الجنود استعداداً للقتال خاصة بعد أن قبض أعداؤه على والده وسجنوه. ويقول ممتاز العارف:

«وتمهيداً لخلع الامبراطور فقد استغل أعداؤه غيابه في المنطقة الشرقية فصعدوا حملة الدعاية ضده فبذلت سفارات الحلفاء والكنيسة جهوداً وأموالاً سخية لترويج الدعاية المضرة بين أبناء الشعب ضد هذا الامبراطور المنكود الحظ. وهنا كان للرهبان والقساوسة دور مهم في الأرياف. فقد أشاعوا بين مختلف الطبقات أن ليج إياسو أهدى القنصلية التركية في أديس أبابا علماً عليه الهلال وشهادة «لا إله إلا الله».

وهذا بالإضافة إلى العشرات من هذه الأعلام التي وزعها على مشائخ

القبائل الاسلامية، ثم وزعت الكنيسة والسفارات المذكورة آلاف الصور التي أظهروا فيها ليج إياسو وهي تحمل عبارات مسندة إليه بأنه ضد المسيح..».

ومنها انتقل إلى بلاد اصهارة الدناقل حيث بقي يتجول في صحراء الدناقل ويجمع الأنصار بعد أن استولى تفاري (هيلا سيلاسي) على الحكم. وقد بدأ تفاري أيضاً يطارد ليج إياسو ونشبت بينهم معارك لم يكن إياسو فيها في موقف عسكري جيد.

ولكن أحد نبلاء الشمال الموالين للحكومة الجديدة قبض على ليج إياسو عام 1921 وسلمه للحكومة التي سجنته في إحدى قلاعها. ثم سلمته لأحد الكهنة ليتولى حراسته في سجنه. وهرب من السجن وتم القبض عليه مرة أخرى بعد معركة مع أنصاره.

وهنا أبعد عن اقليم هرار، وسجن في مدينة (غارا ميولاتا) داخل قلعة حصينة. ويقول أحد خدمه الذين كانوا معه في السجن: «لأنه خشي قدوم شخص معين يحتمل أن يكون مجيئه ليلاً للبطش به. فقلت له إنما هو أسقف الدير. ولكن بعد برهة وجيزة سمع صوت سيارة أخرى تبين أن كان فيها راكبان ما لبثا أن نزلا من السيارة حتى اتجها نحو غرفة السجين وأخذا يحدقان فيها من خلال ثقبين في بابها. ولما شعر بهما ليج إياسو ورآهما على هذه الحال اقترب من أحد الثقبين فبصق على أحدهما من خلال الثقب. إلا أنه سرعان ما امتدت فوهتا بندقيتين اخترقتا الثقبين حينئذ شعر بقرب أجله فتراجع إلى نافذة الغرفة وأمسك بقضبانها الحديدية بيديه عندما أطلق عليه الرجلان عيارين ناريين فخر على أثرهما صريعاً على أرض الغرفة التي اهتزت جوانبها لضخامة جسمه وثقل بدنه..».

وهكذا سقط هذا الامبراطور شهيداً لموقفه من عروبته وإسلامه وعمره 27 سبعة وعشرون سنة.

وقد أنجبت زوجته الدنقالية التي لجأت إلى الفرنسيين في جيبوتي ولداً هرع أتباع زوجها لمبايعته امبراطوراً مكان والده باسم منيليك الثالث وقد

دبرت اثيوبيا اختطافه عام 1934 ولم تفلح ولكن عند قيام الحرب الايطالية الحبشية عام 1936 اختفى بطريقة غامضة..

ولهذا الولد اخوة آخرون أحدهم الأكبر سجن في جنوب الحبشة ولكنه فرّ إلى كينيا. واعترف به أنصار والده وزعموه عليهم ولكن الانكليز قبضوا عليه وأودعوه السجن حيث قتل مسموماً.

كما سجن الأحباش بقية الأولاد ولم يعرف لهم مصير.

## 93

## الشيخ ماء العينين

هو محمد المصطفى ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين القلقمي نسبة لقبيلة القلاقمة العربية المتواجدة في الشرق الموريتاني بمنطقة النعمة وولاته (الحوض). ولد حوالي عام 1246هـ ـ 1830م وتتلمذ على والده. ثم درس في المحاضر كغيره من عرب الصحراء الكبرى. فحفظ القرآن ونبغ في علوم الدين. وأنشأ مدرسة (محضرة) لتعليم القرآن الكريم والدين يؤمها مئات الطلاب من مختلف مناطق صحراء شنقيط.

وبأمر والده ارتحل من بلاده النعمة للشمال الغربي حيث حط به الرحال في صحراء الساقية الحمراء. وفي مدينة السمارة بنى مسجداً وزاوية لتعليم الطلاب. وذهب للحج ماراً بالمغرب، فأكرم وفادته سلاطين المغرب إذ إنه ينتمي للأشراف ويرجع بنسبه إلى إدريس بن إدريس.

وعندما هاجم الفرنسيون منطقة الصحراء الكبرى منطلقين من السنغال مندفعين للشمال وقف الشيخ ماء العينين يقود الجهاد المقدس ويحرض على مقارعة الاستعمار فالتف حوله سكان أدرار شمال موريتانيا، وقبائل الساقية الحمراء، الرقيبات وغيرهم. وكذلك قبائل جنوب غرب الجزائر، وجنوب

المغرب كقبائل تكنة وغيرهم. وقاد الجهاد المقدس ضد الفرنسيين واصطدم معهم في معارك طاحنة مما عرقل تقدمهم للشمال.

وأثناء المعارك مرض الشيخ ماء العينين وتوفي ببلدة (تيزنيت) بجنوب المغرب عليه رحمة الله عام 1910م عن عمر يناهز الثمانين عاماً. وقد ترك من التآليف:

1 ـ شرح رموز الحديث.

2 ـ نعت البدايات وتوصيف النهايات.

3 ـ تبيين الغموض على النظم المسمى بنعت العروض.

4 ـ مغري الناظر والسامع على تعلم العلم النافع.

5 ـ مبصر المتشوف.

6 ـ دليل الرفاق على شمس الاتفاق (ثلاثة أجزاء).

7 ـ مذهب الخوف على دعوات الحروف.

8 ـ المرافق على الموافق.

9 ـ مفيد الحاضرة والبادية.

10 ـ ماثق الرتق على راتق الفتق (وهو شرح لقصيد من نظمه).

ولم أطلع على مؤلفات الشيخ ماء العينين باستثناء كتابه (نعت البدايات) فقد قامت بنشره دار الفكر وترك أيضاً بصماته على الصحراء العربية لا يزال طلابه ومريديه يعلمون الناشئة القرآن الكريم وأصول اللغة والدين.

ولا تزال مدرسته ماثلة للعيان في بلدة السمارة في غرب الساقية الحمراء، تلك المدرسة التي زارها محمد الأمين الشنقيطي في طريقه لمصر. وقال إنه وجد بها ما يزيد على عشرة آلاف بين طلبة وغيرهم تنفق عليهم زاوية الشيخ ماء العينين.

وبعد وفاة الشيخ خلفه ابنه أحمد الهيبة فقاد المجاهدين واستطاع أن يستولي بهم على مراكش وينصبه أتباعه سلطاناً على المغرب.

94

## محمد اخنوخن

هو شريف عربي تولى سلطنة أقدز في القرن التاسع عشر وكان مركزها غات. وصل بعض الرحالة (الجواسيس) الفرنسيين والانكليز إلى غات عن طريقه. وعقدوا معه اتفاقيات مكنت الفرنسيين من الوصول إلى غات وإلى غذامس وأن يحفظوا تجارتهم.

تولى الاتصال معهم عثمان أحد مساعديه وقد توفي اخنوخن في الطريق بين غات وغذامس في بئر (زار) وقبره موجود إلى الآن في طريق القوافل. وكانت القوافل عند وصولها إليه تنحر جملاً تبركاً به وصدقة له.

وتنسج الكثير من الحكايات بين سكان الصحراء على قوافل رفضت نحر بعير على قبر اخنوخن فتاهت في الصحراء وقتل رجالها العطش كذلك إبلها.

ويحظى اخنوخن بتقدير كبير بين سكان الصحراء. ومن المعلوم أن اخنوخ هواسم نبي الله ادريس وذكر في التوراة باسم اخنوخ. وحرف الاسم عند توارق الصحراء إلى اخنوخن معتبرين التنوين حرف كقولهم في أحمدن وفهرون وغيرها.

ويقول الصحراويون في الحمادة الحمراء بليبيا إن الإبل المسروقة لا يمكن أن تمر بجوار قبر اخنوخن فإن أهلها سيلحقون بها ويرجعونها. ويسردون حكايات عن ذلك، وكذلك تهريب المحرمات لا يمكن أن تنجو إذا مر المهربون بجوار قبر اخنوخن دون أن يراعو حرمته. ولقد وقفت على قبره في الصحراء. وقرأت عليه الفاتحة رحمه الله.

## 95

# محمد الأخضر السائحي

هو صديقنا الأديب والشاعر الجزائري الكبير محمد الأخضر السائحي.

ولد في اكتوبر 1919 بقرية (العلية) قرب (تومرت) ضمن ولاية ورقلة بالجنوب الجزائري.

حفظ القرآن على مشائخ القرية والذين منهم الشيخ محمد الزاوي، والشيخ بلقاسم شتحونة. وقد تم حفظ القرآن وأجيز على حفظه عام 1930 وأخذ يعلمه للصبيان في قريته مدة سنتين ونصف.

التحق بمدرسة (الحياة) في مدينة القرارة عام 1933 حيث تتلمذ على الشيخ بيوض مدة سنتين.

توجه إلى تونس سنة 1935 ليلتحق بالجامع الزيتونة وبقي هناك حتى عام 1939 ولم يتم تعليمه وذلك لمطاردة السلطات الفرنسية له حيث عاد إلى (تومرت) فقبضت عليه السلطة الفرنسية وأودعته السجن.

حاول أثناء الحرب العالمية الثانية الخروج من المنطقة ولكن السلطة الفرنسية أرجعته إلى مدينة ورقلة وأجبرته على البقاء هناك. فسعى مع مجموعة من شباب (تومرت) لتأسيس (جمعية الأمل) تحت ستار التمثيل وأسس فوج كشافة كما أسس مدرسة (الفلاح) وأسس مدرسة (النجاح) بقرية (تماسين).

شق طريقه للجزائر العاصمة سنة 1952 فعمل منتجاً بالإذاعة واستاذاً في ثانوية (القبة) (حسيبة بن بو علي) حالياً. ومدرساً بمدرسة (السعادة) بحي (بالكور) ثم انقطع للانتاج الاذاعي إلى أن استقلت الجزائر فجمع بين التعليم والاذاعة حيث أحيل على التقاعد عام 1980.

للأستاذ الأخضر السائحي مجموعتان شعرية:

- (همسات وصرخات) نشر دار المطبوعات الجزائرية 1967.
- (جمر ورماد) نشر الدار العربية للكتاب، تونس 1980.
- (ألوان بلا تلوين) مجموعة من النوادر والطرائف الجزائرية، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1976.

والأستاذ الأخضر له نشاط أدبي وكتابي وشعري في الصحف والمجلات التونسية والجزائرية، وهو عضو اتحاد الكتاب الجزائريين ويشغل منصب الأمين العام المساعد في مارس 1981.

ومن شعر الأستاذ الأخضر السائحي قصيدة العيد التي نظمها عام 1953. يقول فيها:

رجع نشيدك فالدنيا أناشيد ... وكونك اليوم أنغام وترديد
واستقبل الصبح في اللألاء قد عبقت ... أنفاسه في الروابي، إنه العيد
الزهر في روضه المخضل مبتسم ... والطير في دوحه النشوان غرّيد
والنهر سكران حارت في جداوله ... خطاه.. والغصن مثل النهر عربيد
وهبّة الفجر ألحان موقعة ... كأنها - عندما تسري - الزغاريد
كأنما الأرض فردوس قد ازدحمت ... فيه المناظر والولدان والغيد
في كل لون من الألوان تنظره ... سحر وشعر وإبداع وتجديد
وكل صوت من الأصوات تسمعه ... لحن يغنيه في المزمار داوود

* * *

فجر أطل على الدنيا يهدهدها ... والليل ملء فضاء الله ممدود
هزت جوانبها البشرى بمقدمه ... فغنّت المدن الخضراء والبيد
وافتر في كل داج من حوالكها ... نور تألق تحت الليل مشهود
ترنو إليه وفي الأفواه أسئلة ... شتى تردد، والأقوال تمجيد
قد عدت يا يوم - والأيام عائدة - ... والكون كالأمس مغلول ومصفود
لا تنجلي ظلمات فيه قاتمة ... وقد عرى ظلمات الليل تبديد

الاحتفالات كالأعراس قائمة فيه.. وسائره هم وتنكيد
في كل لفظ رقيق من مجاملة وكل أمرٍ به الإحسان موعود
والناس ناس على الآباء همهم نيل المقاصد، لا فضل، ولا جود
قد وجهوا العلم فيه غير وجهته وأخضعوه لهم. فالعلم مفقود
الكون في عهده الذُريُّ مضطرب والعلم فيه على التخريب محدود
فمن له بعهود الجهل ثانية فالجهل، عند ضلال العلم ـ محمود
فامسح دموعاً من الأيتام حائرة على خدود لها بالدمع تخديد
ذوت نضارتها كالورد ذابلة في غير منبته حسن وتوريد
فرب بائسة لم تلق لقمتها وحولها بات تبذير وتبديد
تنقّل الطرف بين الناس صامتة والناس من حولها صمٌّ جلاميد
وربّ شيخ على الأملاق منكمش ذوى هزالاً وأخفته التجاعيد

* * *

والشاعر الأخضر السائحي. دمث الأخلاق، لين العريكة، صقله الأدب، وألانه الدين فصار نعم الأخ ونعم الصديق يحن لصحرائه في أشعاره، ويهفو إليها.

ولا يزال الشاعر الأخضر السائحي يعيش بالجزائر نتمنى له عمراً مديداً، وصحة موفورة، بعد أن رأى ثورة الجزائر التي مجدها وخلدها في أشعاره تنتصر. ورأى شعبه يرفل في حريته التي تمناها له.

**96**

## مَحمد الفاسي

هو مَحمد بن عثمان بن امبارك بن عمران شريف يرجع نسبه إلى إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر وإلى الحسن بن علي وفاطمة الزهراء.

وبما أن الأدارسة أسسوا مدينة فاس في المغرب سمي أمحمد هذا بالفاسي نسبة إلى المدينة.

جاء جده امبارك إلى الحمادة الحمراء واستوطن بها بحيواناته وكان شيخاً فاضلاً له الكثير من الكرامات. وهو دفين منطقة (عوينة ونّين) في الطريق بين الشاطىء وغدامس وترك ولدين هما عثمان وعبد الرحيم.

وانتقل عثمان إلى بلدة قطة بالشاطىء وله بها عدة عيون ونخيل. وترعرع ابنه امحمد في المنطقة. واستطاع بذكائه وعلمه وشجاعته ونسبه الشريف أن يستولي على (مرزق) من أيدي (الخرمان) الذين كانوا يحكمونها وأسس دولة في فزان عرفت في التاريخ باسم (دولة أولاد أمحمد) تم تأسيسها عام 957هـ ـ 1550م، حيث استمرت قرابة 262 سنة 1227هـ ـ 1812م وقد كانت هذه الدولة تدير مناطق كانم، وبرنو في السودان الشمالي (تشاد، والنيجر). وقد وقعت مصادمات بين أمراء هذه المملكة والإدارة التركية في طرابلس، وحروب كان النصر فيها سجالاً بين الطائفتين.

وعند انتصار الأتراك على أسرة أولاد أمحمد لجأ الأتراك لإبادتهم ومطاردتهم حتى أنهت اسمهم في المنطقة، وأصبح الانتساب إلى هذه الأسرة من الجرائم التي يعاقب عليها الأتراك بالقتل فأخفى من بقي منهم نسبه ودخل في غمرة الناس.

وأسرة أولاد أمحمد أو أولاد عمران هم إخوة قبائل الأشراف في الشمال الافريقي، كقبائل، الصيعان والمشاشية والقذاذفة وقماطة، والجعافرة، وودان، وقبيلة افوغاس في عرب التوارق، وجميعهم من أبناء الحسن بن علي، وأشراف الساحل، وتاجوراء وسوق الجمعة، والنوفليين بطرابلس، وشرفة المجينين، وأشراف زليطن، والزاوية، وجميعهم يقطنون ليبيا.

ولهم قبائل أخرى منتشرة في تونس والجزائر، والمغرب، وموريتانيا، ومالي، وتشاد، والنيجر والسودان ومصر. وفي الساقية الحمراء حيث قبيلة الرقيبات.

وقد استطاع محمد شروم حفيد أحمد الفاسي أن يستولي على مملكة (جوبر) في قبائل (الحوصة) ويملكها ويجعل ملكها وراثياً.

ومحمد هذا هو أخ خود بنت شروم زوجة المنتصر بن الناصر بن أحمد الفاسي التي كاتبت الأتراك واستدعتهم ضد زوجها. ثم لما وصلوا إلى سبها ندمت على تسرعها وحاربتهم عدة أيام، ولكنهم انتصروا عليها وقتلوها سنة 985هـ.

وقد برزت من هذه الأسرة امرأة أخرى تسمى فاطمة، ملكت مرزوق لمدة شهر.

**97**

## محمد الأمين درامي

هو محمد الأمين الحضرمي. تنتمي أسرته إلى حضرموت من أرض اليمن وحرف اسمه إلى (درامي) نسبة للهجة المنطقة في (مالي).

استقرت هذه الأسرة بمالي، وكانت أسرة علم وورع وتقوى. واشتغل أفرادها بالتجارة والتعليم.

وكان محمد الأمين عالماً من علماء المسلمين في المنطقة، اشتغل بتعليم الناشئة علوم الدين وتحفيظ القرآن.

ولما وصلت فرنسا للمنطقة كان محمد الأمين على رأس المجاهدين الذين تصدوا للاستعمار الفرنسي. ولكن المقاومة لم تنجح. وقبض الفرنسيون على مجموعة كبيرة من المجاهدين وتم اعدام بعضهم ونقل بعضهم إلى السجون البعيدة منفيين بعيداً عن أوطانهم.

وكان محمد الأمين أحد هؤلاء المنفيين إلى الجزر البعيدة حيث قضى بقية حياته في سجون المنفى إلى أن توفي عليه رحمة الله في بداية القرن العشرين.

التقيت بحفيده الأستاذ كادي درامي وهو من المهتمين بعلوم العربية وتراثها في مالي. وتلقى علومه بالقاهرة وتزوج منها سيدة عربية مصرية كما أن حفيده الآخر كان يشغل عام 1992 منصب وزير الخارجية لجمهورية مالي. وحفيده الآخر كان يشغل منصب سفير مالي في طرابلس الغرب عام 1989.

وأسرة الحضرمي (درامي) من الأسر العريقة في جمهورية مالي.

98

## محمد الأمين العموري

ولد الشاعر محمد الأمين حوالى عام 1892 بصحراء وادي سوف بالجنوب الشرقي لجمهورية الجزائر.

تعلم بالمكتب الفرنسي الابتدائي بقريته. كما درس القرآن بقريته أيضاً، ثم التحق وعمره في السادسة عشر بمدرسة قسنطينة (الفرنسية الاسلامية).

واشتغل موظفاً على وظيفة كاتب عدالة وهو مساعد الترجمان الشرعي بقرية (برنيال) وادي الماء.

ثم وكيل شرعي ورئيس جمعية الوكلاء بالجزائر العاصمة ثم أمين عام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثناء مدة رئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس.

كما عين رئيس (جمعية شباب المؤتمر) التي أسسها جماعة من الشباب لتحافظ على مبادىء المؤتمر الاسلامي.

وقد نشر محمد الأمين العموري انتاجه الأدبي والشعري بالصحف الجزائرية ابان الحرب العالمية الأولى والثانية كما أصدر جريدة (الدفاع) بالفرنسية عام 1934 إلى 1939 وأصدر جريدة (الجحيم) بالعربية مع سعيد الزاهري وعبد

الحميد عبايسة. كما نشر في جرائد (النجاح) و (الاصلاح) و (صدى الصحراء) ببسكره و (الشهاب) و (الأقدام) بالفرنسية.

وفي أخريات أيامه أصيب بالفالج وضعف في حركة يديه واختطفته (اليد الحمراء) الفرنسية ليلاً وهو خارج منزله وألقت به جثة هامدة قرب البويرة في 10 اكتوبر 1957. فأخذ ودفن بمقبرة (حي سانتوجين) عليه رحمة الله.

وللشاعر محمد الأمين قصائد رائعة نذكر منها قصيدته التي أسماها (الطبيعة الساحرة).

يقول:

| | |
|---|---|
| أشياء حل حلالهن حلالي | نقر الكؤوس ورنة الخلخال |
| وصدى نشيد العندليب عشية | وعزيف موسيقى بفج خال |
| وصفير شرشور وهتف حمامة | حنّت وغنّت فوق غصن عال |
| وصياح حادي العيس يعزي عيسه | ويسير في باد الفلا والآل |
| وتنزهي بين الرياض مصافحاً | ريح الصبا ونسائم الآصال |
| والشمس عند بزوغها وغروبها | تبدو برونق بهجة وجمال |
| وترنم العيدان حرّك ساكناً | منها بنات خريدة مكسال |
| شبه الغزالة والثريا، ربما | أجرمت أن شبهتها بغزال |
| سر السرور أعاذلي مهلاً فلي | في العشق أيام مضت وليال |
| لا تكثر التعنيف وارفق بي فقد | ينبيك عن حالي لسان الحال |
| دعني أعاني في الهوى ما نابني | إني بغير الحب غير مبال |
| الحب فرض استحب أداءه | وأعدّه من صالح الأعمال |
| لا أشتكي من حكمه دوماً ولا | أعصيه في حال من الأحوال |
| فإذا تولى بالصبابة والبكا | والجور والإعساف والبلبال |
| وهو العذاب العذب والألم الذي | طوبى لذائقه وحسن نوال |

• • •

## 99

# الشيخ محمد الأمين الكانمي

هو الشيخ محمد الأمين من منطقة (تراغن) بفزان بليبيا. أحد العلماء الأجلاء الذين أوقفوا حياتهم على خدمة الدين ونشر الاسلام.

استطاع هذا الشيخ المجاهد من تأسيس أسرة حاكمة في (برنو) تتبع إلى ولاية طرابلس الغرب العثمانية. وقد أعلن الجهاد ضد الوثنيين وضد أعدائه من الامارات المجاورة وطلب النجدة من طرابلس، فأرسلت إليه ثلاثة حملات عسكرية: اثنتان بقيادة عبد الجليل سيف النصر الذي أرسله يوسف القرة مانلي والثالثة بقيادة الأصفر عام 1817 وكانت الأولى، وآخر دعم تلقاه كان عام 1840.

وبذلك سيطر على المملكة وأسس بها نظاماً وراثياً حيث خلفه ابنه عمر، ثم ابنه أبو بكر (1880 ـ 1884) وبعده تولى أخوه ابراهيم مدة سنة ثم الشيخ هاشم (1885 ـ 1893) الذي هاجمه الثائر السوداني رابح فضل الله وأسقط مملكته واستولى عليها وبذلك انتهت هذه الأسرة الحاكمة بعد أن حكمت مملكة (برنو) قرابة الثمانين سنة ولم يستطع رابح الاحتفاظ بها طويلاً فسقطت بأيدي الفرنسيين عام 1900م.

ويقول الدكتور أحمد شلبي في كتابه موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ـ الجزء السادس:

«عنى أكثر حكماء امبراطورية برنو بالنظم الاسلامية واتخذوا الدين الاسلامي دستوراً لحياتهم، وأشاعوا العدل والانصاف بين الجماهير وحاولوا أن ينفّذوا النظام الاقتصادي الاسلامي. فاتجهت العناية إلى جميع الزكاة

وحسن توزيعها كما عني الحكام بتعليم القرآن واتباع آدابه وشيدوا مدرسة للمالكية كانت في هذه المنطقة مركزاً مهماً للثقافة الاسلامية».

100

## محمد الأمين بن زيني القلقمي الشنقيطي

ما إن وصلت القوات الفرنسية إلى جنوب موريتانيا واحتلتها بمساعدة بعض من المشائخ السذّج حتى وقفت مجموعة من العلماء تبيح للمواطنين الهجرة من أرض يحتلها الكفرة. فهاجرت مجموعة من العلماء إلى المغرب، ومجموعات أخرى من المواطنين توجهت إلى أقاصي الصحراء الشمالية ملتفة مع الشيخ ماء العينين لمقاتلة العدو. أما شيخنا محمد الأمين بن زيني القلقمي أو كما عرف في ليبيا والمشرق محمد الأمين الشنقيطي. فقد أخذ معه حوالى 600 ستمائة شخص وتوجه بهم من أرض موريتانيا عام 1908 بعائلاتهم نحو المشرق حيث وصلوا إلى ليبيا واستقروا بفزان. ولما هاجمت ايطاليا ليبيا اكتوبر 1911، هبّ الشيخ محمد مع من معه من مجاهدي الصحراء موريتانيا الحالية وكذلك فزان. وتقدم نحو الساحل على رأس محلة من المجاهدين حتى وصل إلى طرابلس وعسكر بقواته في (عين زاره) حيث ساهم في المعارك الأولى للجهاد.

ولما وقعت تركيا الصلح مع ايطاليا. وانسحبت بموجبه من ليبيا تراجعت محلات الجنوب نحو الصحراء. أما الشيخ محمد الأمين الشنقيطي فقد آثر الهجرة إلى تركيا مع الموظفين الأتراك وهناك بقي على اتصال بالليبيين في المهجر وكان صوته صادحاً لنصرة اخوته الليبيين، الأمر الذي جعلهم دائماً على اتصّال به. وفي تركيا استقر به المقام في منطقة (أضنة) مع مجموعة الليبيين الذين هاجروا معه وبقي هناك إلى أن توفي عليه رحمة الله. ولا يزال

أولاده بمنطقة أضنة حتى الآن ومحمد الأمين نشر الطريقة (التلمودية) بفزان وبتركيا.

## 101

## الشيخ محمد الجروي الأزهري

هو الشيخ محمد الزنتاني من قبيلة الجروة. التحق في شبابه بزاوية العالم بالرياينة وتلقى تعليمه الأولى حيث حفظ القرآن وعلوم الدين والفقه وذلك على يد الشيخ الورفللي سيد أحمد الخازمي.

ثم انتقل إلى مكة لأداء فريضة الحج وهناك تعرف على الشيخ محمد بن علي السنوسي الذي أسس زاوية جبل أبو قبيس كما تعرف على الشيخ عبد الله السنّاري وعند عودته من الحج بقي في بلده الزنتان إلى أن تأسست زاوية مزدة على يد الشيخ عبد الله السنّاري فالتحق بها لتوسيع مداركه وزيادة تعليمه. ثم التحق بجامع الأزهر باعتباره جامعة اسلامية كبرى وعند عودته لُقب بالأزهري نتيجة لثقافته وعلومه الأزهرية.

بقي الشيخ الأزهري في زاوية مزدة يلقي الدروس بها ويعلم الطلاب. وأخيراً قرر إنشاء زاوية أخرى في الصحراء فأنشأ زاوية (طبقة).

والتحقت به مجموعات من أفراد قبيلته الجروة للإقامة هناك ولتعليم أبناءهم علوم الدين وتحفيظهم القرآن. وقد أنجب الشيخ الأزهري عدة أبناء منهم من نهج نهجه في نشر العلوم وحفظ القرآن وتعليم الناشئة مثل ابنه أحمد البدوي. وقد توفي عليه رحمة الله عن عمر يناير 103 مائة وثلاث سنوات وذلك عام 1904.

ولا تزال زاوية طبقة حتى الآن مركزاً من مراكز الثقافة الاسلامية الخالصة.

## 102

# محمد الخضر حسين

هو محمد الخضر بن حسين بن علي بن عمر الحسني التونسي. ولد ببلاد نفطة بالجنوب التونسي عام 1293هـ ـ 1876م، التحق بجامع الزيتونة وتعلم به ودرّس فيه وأنشأ مجلة (السعادة العظمى) وتولى القضاء في بنزرت وزار الجزائر ثلاث مرات ورحل إلى دمشق سنة 1930 ومنها إلى الآستانة ثم عاد إلى تونس فعين في لجنة (التاريخ التونسي) ثم رحل إلى دمشق واستقر بها مدرساً في المدرسة السلطانية وانتدبته في الحرب العالمية الأولى تركيا للسفر إلى برلين مع الشيخ عبد العزيز جاويش وآخرين ولما عاد نشر سلسلة من أخبار تلك الرحلة في جريدة (المقتبس) الدمشقية.

ولما احتل الفرنسيون سوريا رحل إلى مصر وبقي مصححاً في دار الكتب خمس سنوات. ودرّس في الأزهر بعد أن اجتاز امتحان العالمية. وأنشأ جمعية الهداية الاسلامية وتولى رئاستها ورئاسة تحرير مجلتها وترأس تحرير مجلة (نور الاسلام) ثم كان من هيئة (كبار العلماء) وعين شيخاً للأزهر أواخر 1371هـ واستقال بعد سنتين كما كان رئيساً لجبهة الدفاع عن شمال افريقيا. وكان من أعضاء المجمع العربي بدمشق والمجمع العربي بالقاهرة.

كان رحمه الله شعلة من النشاط واسع الثقافة زاخر العلم، كارهاً للاستعمار، مناوئاً له، عاملاً من أجل تحرير وطنه الكبير.

توفي عام 1958 بمصر بعد أن ترك مجموعة من الكتب والتآليف منها:

1 ـ حياة اللغة العربية، ط.

2 ـ الخيال في الشعر العربي، ط.

3 ـ مناهج الشرق، ط.

4 ـ الدعوة إلى الاصلاح، ط.

5 ـ طائفة القاديانية، ط.

6 ـ مدارك الشريعة الاسلامية، ط.

7 ـ الحرية في الاسلام، ط.

8 ـ نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم، ط.

9 ـ نقض كتاب في الشعر الجاهلي، ط.

10 ـ خواطر الحياة، ط.

11 ـ بلاغة القرآن، ط.

12 ـ محمد رسول الله، ط.

13 ـ السعادة العظمى، ط.

14 ـ تونس وجامع الزيتونة، ط.

هذا إلى جانب ديوان شعر من نظمه مطبوع.

**103**

## محمد بن عبد الله بن حسن

هو محمد عبد الله بن حسن الشهير بالملا. والذي لقب نفسه (بالمهدي).

ولد سنة 1856م من أبوين عربيين من الصومال في مدينة (الأوغادين).

تعلم في كتاتيب بلاده وحفظ القرآن ودرس علوم الدين والشريعة واللغة العربية.

اشتغل في بداية حياته بالتدريس. وقد شاهد ما يفعله الاستعمار الانكليزي في بلاده.

سافر للحجاز لأداء فريضة الحج ثم عاد إلى بلاده.

وعندما نزل المبشرون المسيحيون إلى الصومال عام 1897 ثار الرأي العام لمسلكهم ولتنصير المسلمين وتزعم محمد بن عبد الله الثورة وطالب رجال الادارة بإبعاد المبشرين.

ولما لم يلب الانكليز هذا الطلب اشتعلت الثورة، وأعلن محمد بن عبد الله الجهاد، وانضم كل العرب الصوماليين للثورة، وبنوا المتاريس والحصون وجمعوا الذخائر والمؤن.

وقد حقق محمد بن عبد الله ألواناً من الانتصارات أقضت مضاجع المستعمرين، وأخافت حركته كل الدول الاستعمارية في المنطقة فتحالف ضده الانكليز والطليان والفرنسيين واثيوبيا ووحدوا حركتهم ضده واستعانوا عليه بالخداع والمكر والدسائس، الأمر الذي جعل مجموعاته تنقسم على نفسها واستطاعوا أن يثيروا الشكوك بين المهدي وأنصاره، وأن يبثوا المشاكل بين القبائل في المنطقة وكان محمد بن عبد الله قد كبر وضعفت قواه وأثر فيه التحالف الأوروبي ضده.

وفي عام 1921 توفي محمد بن عبد الله في مكان مجهول بالصومال الأوغاديني. ودفن في مكان لا يعرفه إلا أصدقاؤه الخلص.

وحاول أعداؤه العثور على قبره ليخرجوا جثته ويمثلوا بها. ولكنهم لم يهتدوا.

وهكذا سقط هذا الثائر المجاهد الكبير عن عمر يناهز الخامسة والستين عاماً قضاها في الجهاد، ونصرة العرب والمسلمين وإرساء قواعد الاسلام.

وبالرغم من أن محمد بن عبد الله كانت ثورته جنوب الصحراء إلا أن آثاره شملت منطقة الصحراء الشرقية من افريقيا، مثل الحاج عمر تال الذي

شملت آثار ثورته الصحراء الغربية من افريقيا بالرغم من أنه ولد وترعرع في جنوب الصحراء في منطقة الأدغال.

وقد ترك الشيخ محمد بن عبد الله أو كما يسمونه مهدي الصومال مجموعة من المخطوطات منها رسالته (مباحث المنافقين) شرح فيها فلسفته في الجهاد، كما شرح أسباب الصراع، وهي أسباب دينية ،وطنية وتكلم عن اجتماع كلمة المستعمرين ضده كما تحدث عن المنافقين الذين تعاونوا مع الاستعمار. وهو يصف هؤلاء وأولئك بأنهم أحاطوا برجاله كإحاطة الهالة بالقمر والسوار بالمعصم وأنهم قطعوا عنه وعن رجاله جميع المواصلات والإمدادات الحربية والغذائية.

ويذكر أنه قد اتفقت لإبادته الحكومات الانكليزية والفرنسية والحبشية والايطالية مع بعض القبائل الصومالية التي خانت العهد وانضمت للمعتدين».

وسيرة مهدي الصومال سيرة عطرة وموقفه من الاستعمار موقف جدير بالتقدير والإعجاب.

104

## محمد الدغباجي

هو محمد صالح الدغباجي من قبيلة (بني يزيد) إحدى القبائل العربية الكبرى والمهمة في صحراء الجنوب التونسي ومنطقة (قفصة). جُنّد في القوات الفرنسية. ولما اندلعت الثورة في الجنوب التونسي التحق بالمجاهدين الليبيين مع أربعة أنفار من جماعته 1915م.

وبهذه المجموعة الصغيرة بدأ يغير على مواقع الفرنسيين داخل تونس،

واصطدم بهم في عدة معارك أهمها: معركة (خنقة عيشة) و (واقعة الزلوزة) و (واقعة المغذية) عام 1920، وموقعة (الجلبانية).

وعندما استسلم خليفة بن عسكر للطليان أثر فتنة الجبل الغربي، قبض الايطاليون على محمد الدغباجي وسلموه للفرنسيين الذين حاكموه محاكمة صورية وحكموا عليه بالإعدام وفي سوق (الحامة) جمعوا المواطنين يوم 1 مارس 1924 وأطلقوا عليه النار وهو مقيد. عليه رحمة الله.

وقد قدمت قبيلة (بني يزيد) مئات الشهداء في درب الحرية والجهاد الليبي التونسي في المنطقة.

105

## محمد العيد آل خليفة

محمد العيد بن محمد آل خليفة من محاميد ليبيا نزح فرع قبيلته إلى وادي سوف بجنوب الجزائر واستقر هناك منذ تاريخ ليس بالبعيد.

ولد في العين البيضاء في 27 جمادي الأولى 1327هـ 1904. وتعلم علومه الأولية هناك ثم انتقل إلى (بسكرة) حيث درس العلم في بعض مساجدها على يد بعض الشيوخ.

وفي عام 1921 توجه إلى جامع الزيتونة بتونس حيث أتمّ تعليمه ثم رجع إلى بسكرة. اشتغل بالعلم والمطالعة ودرس أمهات الكتب الأدبية. وشغف بالأدب شعراً ونثراً. شارك في الصحف الجزائرية بإنتاجه النثري والشعري كما كان من المشاركين الفعالين في جريدة (الاصلاح) التي أسسها الشيخ الطيب العقبي (ببسكرة) ثم انخرط في جمعية الشبيبة الاسلامية وأصبح عضواً عاملاً بها من عام 1928 إلى عام 1939 ثم عاد إلى بسكرة مع عائلته عند اندلاع الحرب العالمية الثانية.

وانتقل إلى (باتنة) للتدريس متعاوناً مع جمعية تعليمية هناك حيث مكث ست سنين ثم انتقل إلى (عين مليلة) ليدير مدرسة تعليمية فيها حيث بقي ثماني سنوات.

وعند اندلاع الثورة الجزائرية تم القبض على الشاعر الكبير محمد العيد وألقي به في سجن قسنطينة ثم أطلق سراحه وفرضت عليه الإقامة الجبرية لا يزور ولا يزار إلى أن انتصرت الثورة الجزائرية وخرجت فرنسا.

ويعتبر الشاعر محمد العيد آل خليفة من فحول الشعراء في الجزائر ومن أجود شعراء الثورة الجزائرية له ديوان مطبوع، وعليه عدة دراسات ومن شعره قوله:

يسائلني عن نسبتي كل وافد ... علي وعن شعري وعن كنه مطلبي
فقلت لهم أرض العروبة مطلبي ... وديني هو الاسلام والقدوة النبي
ومن مطلبي جمع العروبة كلها ... على وحدة عظمى لشرق ومغرب
وتهيئة الجيل الجديد لفوزه ... من الدين والدنيا بأشرف مأرب
ونشر الثقافات السليمة حرّة ... وكسب المعالي لا لجاه ومنصب
رضعت قريضي في لبان أمومتي ... ومن مورد الأحرار واصلت مشربي
تسامحت والاسلام دين تسامح ... وآمنت بالقرآن دون تعصب
إذا كنت في ديني وفي وطني أخاً ... فلست أبالي أن تخالف مذهبي

* * *

وقد توفي الشاعر محمد العيد آل خليفة بعد استقلال الجزائر. عليه رحمة الله.

106

## الشيخ محمد المامي

هو الشيخ محمد المامي بن البخاري بن حبيب الله بن بارك الله فيه بن أحمد بازيد بن يعقوب. ينتهي نسبه إلى جعفر بن أبي طالب الذي يرجع إليه نسب اليعقوبيين في الصحراء الكبرى (أداو يعقوب).

وهو العالم اللغوي الشهير. ولد ما بين سنتي 1302 ـ 1306هـ إذ إن هناك خلاف في السنة التي ولد فيها.

نشأ وتعلم في الصحراء ونبغ في العلم صغيراً. وقيل إنه حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين. وتنقل في بلاد الصحراء يجمع العلم ويلتقي بالعلماء ويأخذ منهم ويعطيهم ما عنده حتى وصل إلى بلاد تينبكتو، وبلاد التكرور والتقى بالعلماء والفقهاء. ثم عاد إلى موطنه وقد بلغ أشده العقلي والعلمي والجسماني. فأنشأ مدرسة لتعليم القرآن والفقه واللغة، وأصبحت من كبريات مدارس الصحراء يؤمها الطلاب من مختلف البقاع ويتتلمذون عليه ويأخذون نهلاً من نهله الزاخر. فما يحدثك لغوي في بلاد الصحراء إلا ويذكر لك محمد المامي ويستشهد بأقواله واستنتاجاته وللشيخ المذكور عشرات المنظومات والأراجيز في النحو لا زالت تدرس لطلاب النحو في بلاد الصحراء (موريتانيا وما جاورها) وفي عام 1282هـ توفي رحمه الله بعد أن ترك ثروة لغوية هائلة في مخطوطات بعضها لا يزال لدى أسرته.

107

## محمد المختار بن حوّد الأنصاري

ينتمي هذا الشاعر إلى قبيلة الأنصار المتواجدة حالياً حول تينبكتو. وهو من شعراء القرن الثامن عشر وهو من علماء المنطقة وشعرائها المجيدين. نورد له هذه القصيدة التي يعدد فيها مفاخر الأنصار ومناقبهم. ويهجو بنو أمية الذين قتلوا الحسين ليخلص أن قبيلة كنتة من أحفادهم وهو يقصد انتقاصها والقدح فيها ويبدأ مطلع القصيدة بشتمهم:

يقول الشاعر محمد المختار:

ألا أبـلـغ إلى المتـمـرديـنـا … بـنـي الـكـنـتـي وغـد الأوغـديـنـا
وبـلّـغ لـلالي قـتـلـت حـسـينا … جـدودهـم فـبـاءوا خـاسـريـنـا
بـانـا قـد نـصـرنـا خـيـر خـلـق … وانـا نهـلـك المتـمـرديـنـا
نـصـرنـاه عـلـيه صـلاة ربي … وآويـنـاه مـعـه مـهـاجـريـنـا
وأسـسـنـا لمسـجـده أسـاسـاً … عـلى الـتـقـوى فـنـحـن مـطـهـرونـا
وبـوأنـا الـديـار مـع الايـمـان … فـكـنـا نـحـن أول أولينـا
لـنـا الـسـعـدان خـيـر أهـل نـصـر … وبـؤنـا بـالـنـبـي وقـد رضـينا
وسـل أحـداً وبـدراً أو حـنـينا … مـواضـع تخـبـر الخـبـر اليقـينا
وسـل يـوم اليمـامـة أو نـضـيـرا … ويـرمـوكـاً تجـد خـيـراً مـبـيناً
بـأن جـدودكـم قُـتـلـوا جمـيـعـا … عـلى شـر الـديـانـة كـافـريـنـا
وإن جـدودنـا قـد جـدلـوهـم … وجـئـنـا بـالمزيـة غـانـمـيـنا
وكـلٌ قـد أتـى مـأتـى أبـيـه … ونـال تـراث فـعـل الـوالـديـنـا
فـأنـتـم مـن أمـيـة قـد ورثـتـم … ونـحـن مـن مـعـادٍ وارثـونـا
وإن شـئـتـم اعـادة مـا نـسـيـتـم … وحـدّتـه تـعـالـوا فـاطـلـبـونـا

فسيروا فانزلوا منا قريباً     تروا غرر الجياد مسوّمينا
وإن شئتم جعلنا الحرب بكراً     عروباً في الأساور والبرينا
رداحاً تجعل الأرداء قهرا     فيخطبها بنوكم مع بنينا
إذاً يتنافس الحيان فيها     فتمهر بالقناطر والمثينا
فإن ولدت تلد لكم لثاما     كعاديٍّ تُبيد الكافرينا
وكلب قد تركنا بنات علٍّ     نوادبه يرجّعن الحنينا
ولا أخذت بنو المختار سرا     لهن ولا بنو الرقاد فينا
فيا ويل الذين أثاروا شرا     ودانوا غير دين الحق دينا

* * *

الشاعر محمد المختار يهجو كنتة وكذلك الرقاقدة إحدى القبائل العربية التي تناصر كنتة في حربها ضد الأنصار ومن المعلوم أن قبائل الأنصار في تينبكتو تسمى (كل انتصر) وتنتمي للتوارق حالياً. وهم من سلالة الأنصار نزحوا من المدينة المنورة أيام فتنة علي ومعاوية تجنباً للحرب والخوض فيها. ومجموعات منهم جاءت مع الفتوحات الأولى واستقرت بالصحراء.

**108**

## محمد المرزوقي

هو صديقنا الأستاذ الباحث والمؤرخ الشاعر والقاص محمد بن مصطفى المرزوقي.

ولد بقرية العوينة معتمدية (دوز) سنة 1916 درس القرآن بزاوية جده عمر المحجوب. ثم التحق بالمدارس الابتدائية بالعاصمة (تونس) ثم بالجامعة الزيتونية ومعهد ابن خلدُون (المدرسة الخلدونية) سنة 1933. وتخرج من المعهد الأخير في السنة نفسها بشهادة العلوم العملية.

- سجن بتونس في حوادث 9 أبريل 1938 ضد فرنسا بسبب نشاطه السياسي. وطرد من الجامعة الزيتونية في العام الموالي للسبب نفسه، وأبعد إلى الجنوب التونسي ولكنه رجع للعاصمة خفية.

- أبعد للمرة الثانية إلى الجنوب 1940 ورجع للعاصمة عام 1943.

- شارك في امتحانات التخرج من الجامعة الزيتونية ونال شهادة التحصيل بامتياز عام 1944م.

- عمل في الصحافة من 1944 إلى 1953.

- انتخب رئيساً لجامعة الجنوب التونسي الدستورية بالعاصمة 1947 وبقي في هذا المركز إلى نهاية 1954.

- لازم الاذاعة التونسية ككاتب وشاعر وكاتب مسرحي منذ عام 1945 إلى أن وافاه الأجل المحتوم عليه رحمة الله.

- يعتبر المؤسس لمكتب التراث الشعبي في تونس وقد قام بجمع أغلب دواوين الشعراء الشعبيين التونسيين رغم قلة الامكانيات وقلة المعاونين.

صدر للأستاذ المرزوقي أكثر من أربعين كتاباً في مختلف الفنون. وتعتبر كتبه في التراث الشعبي المصدر الرئيسي للتراث الشعبي التونسي. ككتابه (الأدب الشعبي في تونس) و (مع البدو في حلهم وترحالهم). وله مجموعة من الكتب في الثورات العربية التونسية ضد المستعمر الفرنسي، ككتاب (ثورة علي بن غذاهم) وكتاب (ثورة المرازيق) وكتاب (الدغباجي) و (الشعر الشعبي ودوره في الحماية الفرنسية) و (صراع مع الحماية) و (معركة الزلاج) و (دماء على الحدود) و (الشعر الشعبي والانتفاضات التحررية).

وقد كان لاهتمام الأستاذ المرزوقي بالتراث العربي في الشمال الافريقي دور بارز. وصدرت له كتب في هذا المضمار منها (حديث سمر)، و (عبد الصمد قال كلمات) كما كان على اطلاع واسع بالحركة التحررية في الشمال الافريقي وألف بعض الكتب في ذلك مثل (عبد النبي بالخير) وغيرها.

وقد ترك الأستاذ المرزوقي للإذاعة التونسية ثروة هائلة من الأدب والشعر والمسرحيات والقصص مسجلة في برامج أعدها لذلك في فترة تناهز النصف قرن من الزمان.

وكان رحمه الله شعلة من النشاط الدائب، التقيت به عبر الاذاعة المسموعة التونسية فنشأت بيننا صداقة حميمة. والتقيت به شخصياً عام 1967 في مؤتمر للأدباء عقد بطرابلس.

ونظراً لاقتراب نشأتينا الصحراوية والعلاقات بين قبيلتي وقبيلته والتطابق في العادات والتقاليد أصبحنا صديقين حميمين، حيث زرت منزله بتونس ومكتبته العامرة. وقد ساعدني مشكوراً في خطط البحث التي انتهجتها في التراث الشعبي الليبي وكذلك بترجمة بعض المصادر الفرنسية في كتاب خليفة بن عسكر التي زودني بها.

إن الأستاذ محمد المرزوقي سيبقى علماً من أعلام الصحراء الذي لا يختفي ردحاً من الزمن وستبقى كتبه ودراساته نبعاً للدارسين والباحثين في أدب الصحراء وتراثها.

وقد صدر للأستاذ المرزوقي ديوان شعر أسماه (بقايا شباب) وعدة قصص.

وفي يوم السبت 14 نوفمبر 1981 وافاه الأجل المحتوم بتونس حيث دفن بمقبرة الزلاج. وقد أقيم له حفل تأبين كبير، حضره معظم مثقفي تونس وأدبائها.

وقد ترك الأستاذ المرزوقي ستة من الأبناء خمسة ذكور وبنتاً واحدة، ومن أولاده الاديبين الشاعرين رياض المرزوقي، وسمير المرزوقي.

وينتمي الأستاذ المرزوقي لقبيلة المرازيق الشهيرة بالشجاعة والكرم، والثورات ضد فرنسا.

وقبيلة المرازيق تنتمي إلى قبلية (بني سليم) العربية استقرت بليبيا ثم

انتقلت إلى تونس. ولا يزال جد الأسرة (المرازيق) مدفوناً بقرية شكشوك بليبيا غرب طرابلس وهو (سيدي عبد الله أبو دبوس).

وللمرازيق فروع في السودان (الرزيقات) ومصر والجزيرة العربية والأردن.

**109**

## محمد المهدي السوداني

هو محمد أحمد بن عبد الله المهدي السوداني ولد حوالي عام 1259هـ ـ 1843م، بجزيرة تابعة لدنقلة. وكان والده عبد الله فقيهاً ورعاً فعلمه القراءة والكتابة وحفظ القرآن وهو في الثانية عشرة من عمره ومات أبوه وهو صغير فكفله عمه وعمل معه في تجارة السفن مدة قصيرة وذهب إلى الخرطوم فقرأ الفقه والتفسير والتصوف وانقطع في جزيرة (آبا) في النيل الأبيض مدة خمسة عشرة سنة للعبادة والدرس والتدريس فكثر مريدوه.

انتقل إلى كردفان ونشر رسالة يدعو فيها إلى تطهير البلاد من الفساد وجاءه عبد الله التعايشي فبايعه على القيام بدعوته وقويت به شوكته وتزوج من قبائل البقارة فناصروه وتلقب عام 1881 بالمهدي المنتظر.

وكان أتباعه يعرفون بالدراويش واندفعوا يحضون على الجهاد.

وسمع به حاكم السودان العام المصري (رؤوف باشا) فاستدعاه إليه فلم يحضر فأرسل رؤوف قوة لإحضاره ففتك بها أتباعه.

وجهزت الحكومة المصرية جيشاً لقتاله بقيادة (جيقلر) البافاري فهاجمه السودانيون وهزموه واستولى المهدي على مدينة (الأبيض) سنة 1300هـ، وهاجمه جيش مصري ثالث بقيادة (هيكس باشا) فأباده المهدي وهاجم

الدراويش الخرطوم وقتلوا (غوردون باشا) وحملوا رأسه على حربة 1302هـ. واستوطن المهدي بلدة أم درمان المقابلة للخرطوم وأرسل للدول منشوراً يشعرهم بحكومته وصك النقود ولكنه توفي بالجدري رحمه الله عام 1302هـ ـ 1885م. بعد أن أرسى دعائم الطريقة المهدية التي لا تزال في السودان حتى هذا الوقت والتي تكفل بنشرها خليفته عبد الله التعايشي.

**110**

## محمد أسكيا

هو من قبيلة (السنغاي) الغربية والتي تقطن جنوب الصحراء، وهي من أصول عربية.

عينه علي السني وزيراً له. فكان في منتهى البراعة والتدبير والثقافة والعلم. وكان صمام الأمان لغضب السلطان على بعض أفراد الرعية.

وقد خصص السعدي في تاريخه فصلاً عن هذا الرجل العظيم وعن فتوحاته التي شملت عدة امارات افريقية.

وعندما توفي علي السني رأى محمد أنه أولى بالحكم من ابن علي السني المدعو (يارو) فاستولى على الحكم؛ ووصفته ابنة علي السني بأنه مغتصب (اسكيا) فسرى فيه اللقب.

وتدور بعض الروايات على أن وفاة علي السني 1492 كانت بتدبير من وزيره محمد هذا.

وقد حكم اسكيا محمد مملكة السنغاي من عام 1493 ـ 1529، وقد ذهب للحج وصرف أموالاً باهظة في رحلته، الأمر الذي أعطاه سمعة دولية كملك من ملوك بلدان الذهب.

وفي الحجاز طلب من الخليفة العباسي أن يعينه ملكاً على سنغاي يحكم تحت امرة الخليفة العباسي ففعل هذا وأقر بتعيينه وألبسه جبة وعمامة وصارت محل فخره بعد عودته إلى بلاده.

واسكيا محمد له مواقف مهمة في الإسلام في غرب افريقيا حيث فرض على رعاياه اتباع الشريعة الاسلامية وفرض على نساء غرب افريقيا اللباس الاسلامي، ومنع الاختلاط.

وفي أواخر حياته فقد بصره وضعفت قواه فأسقطه ابن أخيه موسى سنة 1529 وتولى مكانه وبقي قعيداً إلى سنة 1549 حيث توفي عن عمر يناهز السابعة والتسعين عاماً قضاها في الجهاد في سبيل الله وتوسيع مملكة الاسلام في جنوب الصحراء.

111

## محمد بن الحاج

هو أبو عبد الله محمد بن الحاج. ولد بالصحراء الكبرى وتتلمذ على شيخ المرابطين عبد الله بن ياسين واقتنع بفكرته وجرد سيفه للقتال في سبيل اعلاء كلمة الله.

انتقل ضمن الجيش المرابطي من الصحراء إلى المغرب. وخاض المعارك التي خاضها المرابطون لتوطيد ملكهم بالمغرب ثم عبر مع يوسف بن تاشفين إلى الأندلس حيث خاض كأحد قادة المرابطين معركة الزلاقة الشهيرة.

ويقول محمد عبد الله عنان:

«وكان أبو عبد الله محمد بن الحاج من أكابر زعماء لمتونة وقوادها. وكان يتصل بصلة القرابة مع يوسف بن تاشفين ويلتقي معه في (ترقوت) وعرف بابن الحاج لأن والده ذهب لأداء فريضة الحج».

ولقد عينه يوسف بن تاشفين أحد قادة جيوش المرابطين في الأندلس فافتتح قرطبة وحارب القشتاليين، كما عينه علي بن يوسف والياً على المغرب ولكنه لم يلبث في هذا المنصب إلا أشهراً قليلة ثم عاد للأندلس فولي بلنسية وشرقي الأندلس وانتزع سرقسطة من أيدي بني هود».

وفي معركة بين المرابطين والقشتاليين بالقرب من قرطبة سقط محمد بن الحاج شهيداً مع مجموعة من قادة المرابطين في مستهل صفر 509هـ ـ 27 يونيه 1115 عليه رحمة الله.

## 112

## محمد بن المختار الكنتي

هو ابن الشيخ المختار الكنتي. تعلم على يد والده، وحفظ القرآن بمحضرة الشيخ مختار بتينبكتو. وتعلم الفقه والنحو في الزاوية نفسها.

ولما توفي والده آلت ادارة المحضرة إليه. وقد ترك لنا مخطوط (الطرائف والتلائد في أخبار الشيخين الوالدة والوالد) ذكر فيه الكثير من أخبار والده الشيخ المختار الكبير وأخبار والدته. وذكر كرامات شاهدها وأخرى حدثوه عنها للشيخ مختار. وقد توفي عام 1270هـ ـ 1854م. عليه رحمة الله.

## 113

## محمد بن سعيد البوصيري

هو محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الفلاني من قبائل الفلان العربية الأصل والممتدة على طول الوسط الافريقي من السنغال إلى البحر الأحمر. نزح والده من الصحراء ولا شك أنه تعلم هناك ودرس علوم الدين كغيره من صبيان الصحراء. ثم انتقل في شبابه إلى الشرق لينهل من مناهل العلم هناك وأقام بمصر بقرية بويصير وتزوج من هناك سيدة مصرية أنجبت له ابنه محمد هذا الذي لقب بالبوصيري لمولده بقرية أبو صير.

وقد برع في الشعر. وهو صاحب قصيدة (البردة) المشهورة:

مولاي صلى وسلم دائماً أبداً     على حبيبك خير الخلق كلهم

ويقولون إنه لما عرضها على الناس أعجبتهم جميعاً باستثناء أمه العجوز الضريرة القابعة في البيت، حيث قالت له: «إن رسول الله من حقه الرفع وأنت قلت قصيدتك على الخفض» فأردفها بقصيدة أخرى مطلعها (كيف ترقى رقيّك الأنبياء!).

وقد توفي عليه رحمة الله بالاسكندرية عام 1296م عن عمر يناهز الثمانين سنة.

**114**

## محمد بن سيديا

هو الشيخ محمد بن الشيخ سيديا ولد الشيخ سيديا الأبيري.

ولد عام 1247هـ، الموافق 1832م وتربى تربية علمية في بيت علم وورع وتقى. ودرس صنوف العلوم وحفظ القرآن في زاوية والده حيث يجتمع عشرات المدرسين العلماء من مختلف أصقاع بلاد شنقيط وجنوب النهر (السنغال) وغيرها.

وكان شاعراً يعرض ما يكتبه على والده الشيخ الفقيه سيديا. وكان هذا الأخير يمزق ما يرسله له ولده ويقل له هذا ليس بشعر. حتى أرسل إليه قصيدته الرائية الشهيرة فلما قرأها الشيخ التفت للطلاب وقال: «صاحبكم الآن قال الشعر».

فلقد برع محمد في الشعر وله ديوان مخطوط علمت أن أحد الأدباء الموريتانيين جمعه وحققه ويدعى عبد الله ابن سيديا في رسالة جامعية.

كما برع الشيخ محمد في النحو وله فيه صولات وجولات وردود.

وقد حاول الذهاب للحج وعاد من المغرب هو أيضاً، كما فعل والده لسبب عارض.

ولما وصل إلى الساقية الحمراء قال:

أحمراء السواقي ما ورائي ... الآن غربت أيها الانتشائي
تخال نصيص فتل العيس شهراً ... يدوم من الصباح إلى المساء
ولا ينأى به ما كان دانٍ ... ولا يدنو به ما كان نائي

* * *

والانتشائي نسبة لنفسه لأنه من فخذ قبيلة (الانتشاء). ويقول الشيخ محمد بن سيديا في قصيده الشهير الذي ذاعت شهرته في بلاد الصحراء لأنه ينبه فيه إلى دخول الاستعمار ويطلب من المسلمين الوحدة ومحاربة الأعداء.

يقول الشاعر:

رويدك إنني شبهتُ ناراً ... على أمثالها تقف المهارى
تأمل صاح هاتيك الروابي ... فذاك التلُّ أحسبه أنارا
وثانِ الرملتان هما ذواتا ... عُليّان وذا خط الشقارا
وإن تُنجد رأيت بلا مثالٍ ... جماهير (الكناوين) الكِبارى
هنالك لا تدع منهن رسماً ... بدا إلا مررت به مراراً
ولا تقبل لعينٍ في رُباها ... تصون دموعها إلا انهمارا
ودُر بين الميامين العوالي ... فإن على معاهدها المدارا
إذا كنت الوفيُّ فعلت هذا ... فراعيت الذِّمامة والجوارا
وإلاّ خلُّني وخلاك ذمٌّ ... فإن لديّ أحداقاً غزارا
وقدني من اعانتك انتظاري ... أنيّا ريثما أبكي الديارا
وإن كنت الخلي ولا وفاء ... لديك فتستطيع لي انتظارا
فبلْة اللوم ثم إليك عني ... فلا ضررا أريد ولا ضرارا
ولا عارٌ عليك فأنت مرؤ ... تردّيت السكينة والوقارا
ولكنا رجال الحب قوم ... تهيج ربا الديار لنا ادكارا
سقانا الحب ساقي الحب صرفاً ... فنحن كما ترى قوم سكارى
ترى كل الهوى حسناً غلينا ... إذا ما الجاهلون رأوه عارا

وأحرار النفوس تذوب شوقاً فنأتي كلما نأتي اضطرارا
ومن يأتي الأمور على اضطرار فليس كمثل آيتها اختيارا
ترانا عاكفين على المغاني لفرط الشوق نندبها حيارى
أسارى لوعة وأسى تنادي وما يغني النداء عن الأسارى
ولو في المسلمين اليوم حرٌّ يفك الأسر أو يحمي الذمارا
لفكوا دينهم وحموه لما أرادوا الكافرون به الصَّغَارا
حماة الدين أن الدين صارا أسيراً للصوص وللنصارى
فإن بادرتموه تداركوه وإلا يسبق السيف البدارا
بأن تستنصروا مولىً نصيراً لمن والى ومن طلب انتصارا
مجيباً دعوة الداعي مجيراً من الأسواء كل من استجارا

والقصيد يسير في هذا الاتجاه وهذا المعنى ويقع في مائة وعشر أبيات. أوده الشيخ الشنقيطي في وسيطه.

وله قصائد أخرى موفقة وجيدة في معاني مختلفة.

وتوفي الشيخ محمد بن الشيخ سيديا عام 1286هـ ـ 1869م بعد وفاة والده بعام واحد. وقال إنه طلب من والده أن يدعو له بأن لا يبقى بعده طويلاً. عليه رحمة الله.

115

## محمد بن شروم

هو سلطان امارة (جوبر) التي تتكون من قبائل (الحوصة) العربية والتي تمتد إلى جنوب الصحراء (نيجيريا)، وهو حفيد أحمد الفاسي سلطان مرزوق.

وقد استطاع هذا السلطان من تأسيس أسرة حاكمة في امارة (جوبر) بلغ ملوكها ثلاثة عشر ملكاً.

واستطاعت أن تتسع على حساب الامارات المجاورة. وقد أنشأ محمد بن شروم عاصمة جديدة لمملكته تسمى (القلوة).

وفي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر هاجم الفلان بقيادة الشيخ المصلح عثمان دان فودي مملكة جوبر وأخضعها لسلطانه ولعاصمته (سيكتو).

## 116

## محمد صالح بن اخنوخن

عربي من قبيلة كل تدرار (أوراغن) التارقية يقيم ببلدة (بنت بيه) بوادي الآجال (وادي الأمل والحياة) بجنوب ليبيا فزان.

عندما دخلت ايطاليا ليبيا كان محمد صغيراً. ولما شب عن الطوق جندته ايطاليا ضمن جنودها فكان نشطاً ذكياً استوعب الأسلحة بسرعة، الأمر الذي جعل من رؤسائه من الطليان يرقونه إلى رتبة (شنباشي) (عريف) وهي أعلى رتبة يصلها عربي في الجيش الايطالي.

في أواخر عام 1935 انتقلت الوحدة التي يشتغل فيها محمد صالح من فزان إلى غدامس ثم إلى نالوت في أمر للاتجاه نحو الحبشة، وكانت فرقة محمد صالح من الهجانة راكبي الجمال وكانت بقيادة ضابط ايطالي يدعى بيوندو.

وصلت المجموعة إلى سيناون، ومن سيناون توجهت إلى نالوت.

وفي منتصف الطريق بين نالوت وسيناون نزلت المجموعة للمبيت.

وهنا قررت مجموعة من المجندين قتل الضابط الايطالي والفرار. وهذه المجموعة هي:

1 ـ البدوي، من قبيلة أمنان التارقية.

2 ـ قديدي أوخة، من قبيلة افوغاس التارقية.

3 ـ سعيد خليفة، من قبيلة الغوالي الرحيبات.

4 ـ همة كوري، من قبيلة منغساتن التارقية.

5 ـ مرزوق بلال، من قبيلة منغساتن التارقية.

ودخلوا على الايطالي ليلاً وأطلقوا عليه النار في خيمته وقتلوه وقيل إن ذلك باتفاق وبأمر من محمد صالح. وفرّت المجموعة حتى وصلت إلى الحدود الجزائرية حيث سلمت أنفسها لمركز (برج مسُودة) حيث الادارة الفرنسية حينذاك.

وهناك تم القبض عليهم وأودعوا السجن ونقلوا إلى (باتنة) بالوسط الجزائري.

وقامت ايطاليا بسجن العائلات ونقلتهم إلى سرت. واتصلت بفرنسا في اطار الأمن المشترك وطلبت تسليم المجموعة وفعلاً تم ذلك.

وفي بداية عام 1937 تم ايصال المجموعة إلى طرابلس. وتم نقلهم إلى المكان نفسه الذي دعت له ايطاليا كل الموظفين الليبيين وحشرت له آلاف الليبيين والايطاليين وجميع العرفاء الليبيين في الجيش الايطالي لترهبهم وتريهم مصير من يعتدي على ايطاليا في شخص ضباطها.

وأحضرت أسرة الضابط الايطالي من ايطاليا لترى الثأر لمقتل زوجها. تجمع الناس، وأحضر ثلاثة من المتهمين، وهم: (1) محمد صالح، الذي اعترف وتحمل مسؤولية قتل الضابط. (2) سعيد خليفة الرحيبي. (3) مرزوق بلال.

ومرورهم أمام الناس مقيدين. وأوصلوهم إلى ثلاث خشبات قيد كل

شخص على خشبة منها وأرسلوا لهم قاضي غدامس ليوصيهم بالصبر ويتلو عليهم بعض الآيات ليطمئنهم للموت فقال له محمد صالح:

• أنا لا أخاف الموت. إنها دقيقة فقط وينتهي كل شيء.

ورجع القاضي وهو يتعجب من صبر هذا الرجل وايمانه.

أطلقت النار على الثلاثة، ودفنوا في مقبرة سيناون. وأقيم نصب تذكاري للضابط الايطالي في الموقع نفسه، عبارة عن خيمة من الاسمنت ألصقوا عليها لوحة من الرخام تروي قصة مقتله وأنه مات من أجل عظمة ايطاليا!!

وعندما قامت ثورة الفاتح من سبتمبر وعند اندلاع الثورة الشعبية كنت أنا مؤلف هذا الكتاب ضمن المؤتمر الشعبي لبلدية نالوت حيث قررنا إشادة نصب تذكاري لمحمد صالح ولرفاقه، وأن يزال النصب التذكاري للضابط الايطالي المدعو (بيوندو).

وفي الطريق من نالوت إلى سيناون أقيم حفل بهيج نصب فيه نصباً تذكارياً في موقع مقتل الشهداء. ومن الغريب أنه وجد الأخوة الذين أقاموا النصب عند الحفر دماء أحدهم متحجرة في الموقع.

وقد أخبرني الجديد بن عبد الرحمن الجرمني الذي كان ضمن المجموعة القادمة من فزان وتخلف عنهم في غدامس قال: كانت المجموعة متفقة على قتل الضابط الايطالي في الطريق قبل الوصول إلى غدامس ولكن محمد صالح هو الذي حذر الايطالي من ذلك.

وأنا لا أستطيع أن أفسّر حديث الجديد هذا سوى أن محمد صالح قد كان يريد أن يكسب ثقة الايطالي ليتقرّب إليه ويستطيع تنفيذ خطته بسهولة.

وقد تفاوتت أحكام المجموعة الأخرى فمن السجن المؤبد إلى السجن عشرين سنة.

وقد رافقت هذه الانتفاضة مجموعة من القصص يرويها الشعب. منها:

أن الضابط الايطالي عندما وصلت المجموعة إلى سيناون أدركهم عيد

الأضحى. فقاموا يطبخون طعامهم ولكن الضابط أمرهم بالمسير وركل برجله قدورهم وأراقها على النار. وهذا هو السبب الذي أغضب محمد صالح وجماعته وقرروا قتل الضابط الايطالي.

ولكن (شاوي) أخبرني عندما التقيت به في غدامس أن الموضوع لم يحدث ولكن المجموعة رافضة الذهاب للحرب في الحبشة وسألت شاوي أيضاً عن القصة الأخرى التي تقول إن محمد صالح وجماعته دخلوا تونس يشتغلون بأسماء مستعارة. وأرسلت إليهم ايطاليا جواسيسها من (الكرابنيري) واستدرجهم أحدهم إلى أن وثقوا فيه ثم أخبرهم أن هناك شركة تطلب العمال وبأجر مرتفع. وأدخلهم إلى القنصلية الايطالية في تونس حيث تم القبض عليهم.

وقد نفى شاوي هذا الموضوع وقال: «إن المجموعة لم تدخل تونس بل تم القبض عليهم من الحدود الجزائرية».

وقد كان شاوي أحد المجندين في الفرقة نفسها التي كان بها محمد صالح، ولكن سريته بقيت بأوباري. وأخبرني الشيخ شاوي أن الشيخ آمه شيخ توارق غدامس رفض الحضور لمشاهدة تنفيذ إعدام محمد صالح وصحبه.

كما كان شمس الدين كنه أيضاً ضمن الفرقة وأخبرني خبر الموضوع عام 1960.

وقد سمي الموقع الذي استشهدت فيه المجموعة مشهد محمد صالح ويقع بين بلدة نالوت وسيناون.

## 117

# محمد بن عائشة

أحد كبار القادة المرابطين. ينسب إلى أمه على عادة التوارق. عبر إلى الأندلس مع يوسف بن تاشفين وعينه والياً على مرسيه.

ولد بالصحراء الكبرى وتتلمذ على أيدي الفقيه عبد الله بن ياسين وحمل لواء دعوة الاصلاح.

هو أحد القادة المجربين الذين خاضا بالجيش المرابطي معركة (آقليش) محمد بن فاطمة ومحمد بن عائشة.

ويقول محمد عبد الله عنان:

«. . . إبن الطاهر تميم قائد المعركة عند مقدم القشتاليين استدنى إليه القائدين المجربين ذوي النصيحة والآراء الصحيحة أبا عبد الله محمد بن عائشة وأبا عبد الله محمد بن فاطمة وأنهم بعد المشاورة اجتمعوا على كلمة الله متعاقدين. وخضعوا إلى حكمه مستسلمين. . ».

وفي معركة مع القشتاليين سقط محمد بن عائشة قتيلاً تحت راية محمد بن الحاج الذي استشهد هو الآخر في مستهل صفر 509هـ ـ 27 يونيه 115 عليه رحمة الله.

118

## محمد بن عبد الكريم المغيلي

ولد بمدينة (توات) بالجنوب الجزائري ودرس دروسه الأولى في زاوية توات ثم انتقل إلى فاس لإتمام دراسته العليا وكان محمد سنيا لا يقول بالاجتهاد ولذلك اختلف مع علماء فاس ثم ارتحل إلى تونس ثم هاجر إلى الصحراء حيث وصل إلى شمال مالي. وتنقل بين شمال مالي وشمال النيجر ينشر عقيدته ويرشح مذهبه وأصبح أكبر أساتذة الإسلام في تلك المناطق تكده، وقاو، وكانو شمالي نيجيريا. واتصل في قاوه بالاسكيا الحاج محمد وأكرمه وقربه وله معه مساجلات ومناقشات.

وألف الشيخ المغيلي عشرات الكتب ذكر صاحب الديباج منها واحداً وعشرين كتاباً.

وأهم تلك المؤلفات: مغني اللبيب في شرح مختصر خليل، واكليل مغني اللبيب والمنسيات، وأسئلة الأسكيا الحاج محمد وأجوبة المغيلي عليها.

«وكان الإمام المغيلي يميل إلى الدراسة المنهجية التي أبانت عن قدر كبير من سعة الاطلاع. وكما اشتهر بتعدد المدارك فقد عرف بتعصبه لمذهبه وعدائه لغير المسلمين».

«وإذا كان من فضل للإمام المغيلي فهو أنه أول من أخضع المعارف الإسلامية في السودان لمحك النقاش وللأخذ والرد، ودفع العلماء والحكام إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة. ووسع دائرة النقاش العلمي بحيث أصبح يشمل مناطق لم تكن العلوم الدينية قد وصلتها على الشكل المنهجي...».

## 119

# محمد بن عبد الله البوسيفي

هو محمد بن عبد الله البوسيفي ينتمي إلى قبيلة أولاد بوسيف القاطنة بصحراء (مزدة) و (رويس الطبل) بالحمادة الحمراء.

تعلم القرآن وعلوم الدين في الكتاتيب المتواجدة في المنطقة. وكان رجلاً ورعاً وقوراً مباركاً مهاباً قال عنه الشيخ الطاهر الزاوي في أعلام ليبيا.

«ولا أنسى أني التقيت به مع المجاهدين قبل معركة الهاني بقليل فرأيت عليه من هيبة الرجولة وجلال الطلعة ما يملأ النفوس مهابة وإجلالاً».

لما هاجمت ايطاليا بأساطيلها ليبيا 1911 نجد الشيخ محمد بن عبد الله البوسيفي يجمع أفراد قبيلته وينحدر بهم نحو الساحل مصمماً على القتال مجاهداً في سبيل الله. وكان يسير تحت راية شيخ الزاوية في مزدة الشيخ عبد السلام السني. ولكن المرض داهم الشيخ عبد السلام في الطريق فما أن وصل إلى غربان حتى أثقله المرض. وفي أبي غيلان توفي رحمه الله. وأخلفه في قيادة المجاهدين محمد بن عبد الله البوسيفي.

سار محمد البوسيفي على رأس قوات المجاهدين فحضر معارك الساحل الشهيرة (الهاني وسيدي المصري وقرقارش وسواني بن يادم).

وعندما انسحبت تركيا من ليبيا بموجب معاهدة أوش 1912. واختلف الزعماء في مواصلة الجهاد أو التسليم. كان الشيخ محمد البوسيفي من أنصار مواصلة الجهاد، وانسحب بمن معه من المجاهدين إلى الأصابعة حيث خاض معركة الأصابعة الشهيرة مارس 1913. ثم توغل في الصحراء تتابعه قوات العدو، حتى وصل إلى بلدة المحروقة بالشاطىء واتخذ منها مقراً لمواصلة الجهاد، فخاض معارك الشب، واشكدة 1913.

وفي يوم 13 ديسمبر 1913 تصدى لقوات الطليان الغاصبة بمن يناصرها من الخونة الليبيين في ثلة من المجاهدين في منطقة المحروقة، ودافع دفاع الأبطال. واستشهد في تلك الموقعة عليه رحمة الله.

ومحمد بن عبد الله البوسيفي يعتبر من أنظف المجاهدين يداً في منطقة الصحراء الكبرى ومن أصدقهم ايماناً وأنظفهم سريره.

قاتل أعداء الوطن إلى النهاية لم يضعف ولم يستكن ولم يتردد واضعاً نصب عينيه النصر أو الشهادة.

وكان لتلك الثلة الصغيرة من المجاهدين الليبيين الذين رافقوه للصحراء جولة أخرى في الجهاد طردوا على أثرها الطليان من فزان إلى طرابلس في ثورة عارمة عام 1915.

**120**

## محمد بن عيسى سوار الذهب

عالم من علماء العرب المسلمين نشأ في السودان ودرس القرآن الكريم والشريعة الاسلامية واللغة العربية على يد علماء عرب مسلمين في المنطقة ولما وصل إلى مرحلة المشيخة أصبح شيخاً يؤمه المريدون والقراء من مختلف المناطق وأسس مدرسة عرفت في التاريخ باسم مدرسة سوار الذهب في السودان الأوسط وقد نزل عنده الشيخ التلمساني المغربي عندما وصل إلى المنطقة ووجد عنده حظوة ومعاملة طيبة.

121

## محمد بن فاطمة

يكنى أبا عبد الله وينسب إلى أمه على عادة التوارق ولد بالصحراء. وسار ضمن جيش المرابطين وكان من قادته المشهورين بالحنكة والتجربة.

وصل المغرب ثم الأندلس وبقي في قيادة الجيش المرابطين ضد الافرنج.

ومحمد بن فاطمة هو المخطط والدافع لمعركة (قليش) الشهيرة التي انتصر فيها الجيش المرابطي على الافرنج 6 1 شوال 500هـ ـ 29 مايو 1108 فقد حاول قائد الجيش المرابطي ابن الطاهر تميم أن ينكص بالجيش على عقبيه متحاشياً التصادم مع الافرنج ولكن محمد بن فاطمة شجعه على القتال وكان النصر حليف المرابطين.

وفي عام 515هـ ـ 1121م توفي القائد العسكري محمد بن فاطمة مريضاً وهو يدير ولاية اشبيلية عليه رحمة الله.

122

## محمد سوف المحمودي

هو محمد سوف بن محمد اللافي المرموري. وأمه فجرة بنت غومة المحمودي.

ولد عام 1274هـ، بوادي سوف بجنوب الجزائر عندما كان جده غومة مهاجراً هناك فسموه سوف نسبة إلى الوادي.

عاش يتيماً إذ إن والده توفي قبل مولده. وقتل جده غومه وعمره ثمانية أشهر فكنفه أخوه محمد. وعاش في حجر أمه فجرة ابنة البطل غومة.

لم يكن سوف عالماً ولا حافظاً للقرآن ولكنه حفظ بعض قصار السور. وتعلم الكتابة ولم ينبغ فيها وتربى على الفروسية والشجاعة.

وما إن شب حتى بدأ يشترك في الغارات على القبائل المعادية ويسوق إبلها وهي عادة قبائل ذلك الزمن وامتحان الفروسية في ذلك العصر.

فطارده الأتراك وهرب منهم وبدأ يقود الغارات ضد القبائل التي تخضع للأتراك على غرار جده غومة.

فحاولت تركيا استرضاءه. وعقدت معه هدنة على أن يتولى قائمقامية (الحوض) التي تخضع لها قبائل الصيعان، والمحاميد، والقديرات، والشعاليل وبعض القبائل الأخرى.

فقبل سوف وكان عمره آنذاك خمسة وعشرون سنة ولكنه عزل من منصبه لإيوائه أحد الفارين من الحكم التركي. فسكن بالقرب من الحدود التونسية مع قبائل الصيعان.

ولما استولت فرنسا على تونس 1882 هاجر مجموعات كبيرة من التونسيين للأراضي الليبية وبدأوا يغيرون على أملاك التونسيين الباقين تحت ظل الاستعمار الفرنسي. وكان سوف يحرضهم ويغير معهم ويحميهم. فاحتجت فرنسا لدى تركيا التي قررت ارجاع المهاجرين إلى تونس أو ترحيلهم إلى سرت ليبتعدوا عن الحدود وقامت فرنسا بمهاجمة مخيم الشيخ سوف في يوم العيد. واستعرت معركة كبيرة استشهد فيها مجموعة من قبيلة الصيعان وجرح سوف. وقد خلدها في شعره.

وعند هجوم الطليان على ليبيا، وقف الشيخ سوف مجاهداً يقود المجاهدين في أغلب معارك الجهاد، الهاني قرقارش، زوارة، سيدي سعيد، أبو كماش، طويلة عزالة.

ولما انتصر الطليان على المجاهدين وخرجت تركيا من ليبيا قرر سوف الهجرة إلى تونس 1913 بعد معركة الأصابعة الشهيرة ومنها إلى تركيا، فسوريا حيث استقر بحلب.

وعند نشوب الحرب العالمية الأولى قررت تركيا ارجاع سوف إلى ليبيا لإشعال الحرب ضد الطليان فوصل مصر وتسلل مختفياً إلى ليبيا، حيث وصلت قبله مراسلاته لمشائخ القبائل ورؤساء العشائر فوصل إلى الجغبوب ومنها إلى سرت حيث اشترك في التحضير لمعركة القرضابية ووصل إلى بني وليد وشارك في الحصار المضروب حول الحامية الايطالية التي استسلمت ثم وصل إلى غريان، ففندق بن عشير وسواني بن يادم. ثم استقر بالعزيزية بصفته نائباً للوالي. وعين هيئة ادارية برئاسته وحكاماً للمناطق وخاض قائداً لمعارك بوعجيلة والزاوية وصرمان وسواني بن يادم وغيرها.

وفي عام 1918 بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وخروج تركيا في الجانب المنهزم اتفق المجاهدون الليبيون على قيام الجمهورية الطرابلسية. وكان سوف المحمودي رئيساً لمجلس الشورى في هذه الجمهورية. ولما نقضت ايطاليا عهدها ودفعت جيوشها لاقتحام المدن والقرى الليبية سنة 1922م بعد صلح بن يادم 1919، هبّ الشيخ سوف للقتال وخاض عدة معارك في بئر الغنم وغريان وكور وترهونة وبني وليد.

وقام الشيخ سوف بالمشاركة في تكوين حكومة السدادة عام 1923.

وبعد معركة المشرك الشهيرة التي استشهد فيها المجاهد سعدون السويحلي، هاجر سوف المحمودي بمن معه إلى مصر التي وصلها عام 1924م. وبقي فيها عدة سنوات يقاسي آلام الغربة والفاقة وكبر السن والحنين إلى الوطن وفي يوم 15 يوليه 1930م توفي الشيخ محمد سوف عن عمر يناهز السبعين عاماً قضاها في الجهاد عليه رحمه الله.

وسوف المحمودي من كبار شعراء الملحون في ليبيا وترك ثروة من الشعر الشعبي جمعت جلها في ديوان له باسم (سوف المحمودي حياته وشعره) للمؤلف.

ومن قصائد الشيخ سوف في الهجرة 1913م:

خليت ما يغني طمش فقاري — أملاك ياسرة مسّاطرة بكراري

* * *

هونتها واتهوني — صرمان ملك الجد سيد العوني
قدّاش من لمسي ومن طابوني — ومن عامّي وقداش من عمّاري
وحوش تاغمه والملك والزيتوني — وأرض المحارث ظاهري وأجفاري
ظهر بيع منّى ابّبارتين اكروني — لا يمرقوا لا يشتريهم شاري
والله بالله حلف ما شغلوني — كما يشغل الفارس نبيح الظاري
إني ما شقتني كان ميم اعيوني — عليها حكم حكم الكريم الباري
والله لو نلقى خبير افطوني — يجيب النّبا منك على لفجارِ
نعطيه سبع أرطال بالميزوني — ونعطيه حقّه من أخيار أبكاري
ويرقب عليها (الشاردة) مظنوني — اللي طلينوها اصغار زي أصغاري
يا من مشيت وجبتها ابمليوني — وإلا على لشفار رحت وذاري

* * *

وقصيدته الشهيرة وهو يحن إلى الوطن وإلى حرب الكفار أثناء هجرته إلى تركيا ثم حلب عام 1914 يقول:

اشتاحشت (بنيادم) ورملة (زارة) — ومدفع درزكوره رقي غباره

* * *

اشتا حشت حرب الكافر — وفزع بعد الكشف جي مظّافر
عقاب ليل عند الفجر جانا طافر — طفر طفر طفر السيل في المحداره
كسر جيش جانا من بعيد امسافر — شهي برنا من مصر لا لزواره
بآلات وامدفع وقوة حافر — ويسحاب ناس طرابلس خواره
لقي اصيود مثل الصخر ما تتعافر — أجبال شامخة ما حلحزتهم ناره
فرسان خوق اللي سقطهم وافر — سُكار من صنة خلوط حواره
يا جاه مولاي العزيز الغافر — يمشي على سوق البلا واشواره

كلي كف بعد الكف يأكل دافر ويشعف على اللي شاوره واشتاره
وجارايم المولد يروّح نافر بيطعّم الحلوة شرب مراره

* * *

يشعف على اللي شاور بعد أن كلى بالحاميات محاور
وتوّانْ شبح لسلام فيه مغاور بمرتين ما يعتّق كسير أزراره
وقدّاش ضيّع في البحر من قاور وقدّاش ريّح من أموال اخساره
وبين الدول يقعد عشير امجاور كيف قبل ناسه يخدموا بالباره

* * *

والقصيد طويل يوجد بكتاب (سوف المحمودي حياته وشعره) للمؤلف.

كما له قصائد عدة في الجهاد وتسجيل المعارك وفي غيرها من أغراض الشعر الأخرى.

## 123

## محمد عبد الله السني

هو محمد بن عبد الله السناري السني ولد ببلدة مزدة عام 1268هـ ـ 1851م، حفظ القرآن وتعلم علوم الدين في زوايا والده التي أسسها في المنطقة الغربية من ليبيا.

ولما توفي والده عام 1298 تولى ابنه محمد ادارة الزوايا. وكان محمد رجلاً فاضلاً وعالماً ورعاً وتقياً يحظى بالاحترام والتقدير في جميع المناطق التي يصل إليها. وينظر له في منطقة الصحراء الليبية بأنه من أولياء الله المباركين فأخمد الفتن وسعى في الصلح بين القبائل المتخاصمة وكان قوله الفصل. وفي عام 1313 ترك أمر الزوايا لأخيه عبد السلام وسافر (للقفرة) لملاقاة الشيخ محمد المهدي السنوسي هناك وأخذ التوجيهات منه.

وعندما وصل إلى (القفرة) أمره شيخه بالتوجه إلى بلاد السودان (تشاد والنيجر) لصد الحملات التبشيرية المسيحية ونشر الدين الاسلامي هناك. فسافر عام 1896 ووصل إلى (قرو) حيث أسس زاوية هناك لتعليم القرآن وعلوم الدين ثم تبعها بعدة زوايا أخرى في كانم حيث استقر لنشر دعوته الاسلامية. وقام بالتنقل إلى مناطق شرقي النيجر وشمال نيجريا والكمرون وجنوب تشاد غير آبه بالتعب والمرض.

استمر محمد السني ينشر الدين الاسلامي ويحفظ الناس القرآن ويعلمهم فروض دينهم. وبعد عدة سنوات لحقت به أسرته حيث استقر بها بكانم، وعين ابنه المهدي شيخا لزاوية (قرو) وعندما عاد والده إليها انتقل المهدي شيخاً على زاوية (فايا). وفي كانم اصطدم محمد السني بالفرنسيين وبدأ ينظم صفوف القبائل العربية المسلمة، ويتنقل بين الزوايا يجمع المجاهدين ويحض الجميع على الجهاد ويدعم المواقع الضعيفة ويجمع الزكاة ليصرف منها على الجهاد وأمور الدين. والتقى برابح فضل الله في محاولة للتنسيق في الجهاد ضد الفرنسيين. واستمرت المعارك من عام 1899 إلى عام 1913 حيث هاجم الفرنسيون زاوية قرو في 14 ديسمبر 1913 كما هاجموا فايا في الوقت نفسه.

وقد طوق الفرنسيون منزل محمد السني حيث استشهد ابنه عبد الله وزوجته وابنه الصغير وابنته واستطاع محمد السني أن يخرج من الحصار بصعوبة بعد أن استشهد مجموعة كبيرة من المجاهدين ووصل محمد السني إلى (القفرة) بعد أن قضى ثلاثين سنة متنقلاً في سبيل الله ناشراً دينه ما بين النيجر ونيجيريا وتشاد والكمرون، مجاهداً في سبيل الله خائضاً المعارك ضد الفرنسيين أعداء الدين. لم يمنعه كبر سنه من اقتحام المعارك وركوب الخيل وقطع المسافات الشاسعة في ظروف من الحر والأوبئة يعجز عندها الشباب. وقد كان محمد السني إلى جانب علمه وتبحره في علوم الدين واللغة وحفظه للقرآن الكريم يقرض الشعر حيث عثرنا له على عدة قصائد جيدة.

وفي عام 1930 قبض عليه الايطاليون في منطقة أوباري مع أبنائه وأفراد أسرته. وقد حوكم مع ابنيه أحمد والمهدي وحكم عليهم بالإعدام خفف إلى

السجن. وسيقت الأسرة إلى مزدة حيث فرضت عليها الإقامة الجبرية وقد صودرت أملاكها وأموالها وبيوتها.

وفي عام 1932 توفي الشيخ محمد السني بمزدة عليه رحمة الله.

وللشيخ عدة رسائل يشكو فيها الضنك والتعب وكبر السن وضعفه أمام مقاومة الأمراض ويطلب عودته للوطن لرؤية أمه التي توفيت وهو هناك ببلاد كانم.

ومن قصائده نقتطف هذه الأبيات يحن فيها إلى الوطن:

يا من لهم هم نأى مقصودها ... مجرى المطي إلى المرام يذودها
متحيراً من عز مشرقه الذرا ... عنا عياهل في رضاك يقودها
ورمى بها الدهناء يرقل مذئباً ... يطوى بنص اليعملات بعيدها
ويفل بالعزم المجد مجاهلاً ... بيت القطا أغوارها ونجودها
ومفاوزاً يغوي النواظر آلها ... ومهامه هاب الصقور ورودها
فإذا وصلت إلى الحمى في كفرة ... عرّج بذات التاج عمك جودها
واخلع هناك النعل والثم تربة ... فهناك آمال النفوس وعيدها
أبلغ إلى أهل المنازل من فتى ... دنف الحشا أبلى الغرام شديدها
أزكى تحيات يلوح سفاؤها ... ويفوح في تلك الحضائر عودها
حتّام يهجّرون صنواً برّحت ... أشواقه وسطا به تجديدها

ولأسرة السني إيادي بيضاء في نشر الدين والدفاع عنه والجهاد في سبيل الله يذكرها لهم سكان الصحراء الكبرى جزاهم الله خيراً.

124

## محمد عثمان الميرغني

عالم من علماء العرب المسلمين، وصل إلى السودان قادماً من مكة عن طريق مصر عام 1817. وبدأ ينشر الإسلام بين الوثنيين ويوضح ما غمض من هذا الدين وينقيه من الشوائب. وعرفت طريقته في المنطقة باسم (الختمية) ويقول أحمد شلبي:

«وقد نجح في دعوته نجاحاً كبيراً وتحول على يده عدد كبير من الوثنية إلى الإسلام».

ويقول توماس ارنولد:

«إن الأبهة والمظاهر الخلابة التي كانت تحيط بهذا الداعية كان لها تأثير فعال وجذبت له عدداً كبيراً من الأتباع..».

ولا تزال في السودان الختمية كطريقة صوفية من أشهر الطرق الصوفية في السودان.

وقد اتخذ الشيخ الميرغني مدينة سنار مقراً له ولأتباعه. واتخذها مركزاً لطريقته ولمدارسه التي انتشرت في السودان الشرقي.

125

# محمد كاوصن

هو محمد كاوصن ويسمونه كاويسين ويقول له آخرون كوش. ولد بقرية دمرقو حوالى عام 1880م.

وهذا أحد أفراد قبيلة (ايكزكزن) التارقية التي تقطن شمال النيجر الحالي. وهي أحد أفخاذ قبيلة (والليمدن) التي تعتبر وريثة قبيلة لمتونة العربية الحميرية التي كان لها الدور الكبير في تأسيس دولة المرابطين.

تعلم محمد كاوصن في منتجعه على يد فقهاء الدين وحفظ القرآن كعادة بدو الصحراء، وانتقل إلى الشرق حيث التقى بالشيخ عبد السلام قريميش الزوي الليبي الذي لقنه ورود الطريقة السنوسية وأدخله فيها في بلاد تشاد. ولما هاجم الفرنسيون النيجر وقف محمد كاوصن يقاتلهم مع السلطان موسى اند مرقوما وهاجر للشرق حيث اجتمع مع المجاهدين الليبيين في منطقة تشاد وخاض الحروب تحت قيادتهم. والتقى مع الشيخ أحمد الشريف قائد المجاهدين وشيخ الطريقة فأعجب بشجاعته وولاه مركز (عين إيدي).

ولما رجع المجاهدون الليبيون إلى الوطن لمصادمة الطليان بعد أن تغلب الفرنسيون على مقاومتهم في تشاد والنيجر عاد معهم محمد كاوصن إلى (القفرة) فكلفه محمد عابد بالزحف من واو علي مرزق وأوباري فقام كمساعد للمهدي السني بهذا الدور خير قيام، ووصل إلى غذامس يطارد الطليان بعد أن طهر أوباري ومرزق من الطليان.

وقد ولاّه محمد عابد ادارة منطقة الجفرة هون وسوكنة وودان لمدة ثلاثة أشهر تقريباً. وفي عام 1916 انطلق من غات بتكليف من محمد عابد ـ شيخ

الزوايا في الصحراء ـ نحو أقدز حيث حاصرها لمدة ثلاثة أشهر واستطاع برسائله التي تصل إلى سلاطين المنطقة وشيوخها وبرجاله الأشداء أن يشعل الثورة في الصحراء الكبرى لمدة أربعة سنوات كاملة 1916 ـ 1920.

وعندما عاد إلى ليبيا اصطدم بخليفة الزاوي الذي كان على خلاف مع السنويين وذلك في بلدة (تجرهي) واستمر في قتاله لمدة ثلاثة أشهر انتقل خلالها محمد كاوصن إلى واو يطلب العون والمدد من محمد عابد الذي أمده به ورجع إلى تجرهي.

ولكن في واحة (أم العظام) شرقي مرزق نصب له أحمد العياط البوسيفي (نصف البوتسعين) كميناً استطاع أن يباغته فيه ويقتله وذلك يوم 5 يناير 1919 عليه رحمة الله.

وذلك لأن محمد كاوصن سبق وأن عذب وقتل مجموعة من أولاد بوسيف أيام ولايته على الجفرة.

126

## محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي

ولد بصحراء شنقيط من قبيلة تركز، ودرس العلوم الدينية وعلوم اللغة في محاضر بلاده كغيره من سكان الصحراء ثم انتقل إلى المشرق حيث قضى فريضة الحج وبقي بمكة مدة من الزمن يتنقل بينها وبين المدينة ووقعت جفوة بينه وبين علماء المدينة بسبب حدة في طبعه، خرج على أثرها إلى أسطانبول حيث كلفه السلطان عبد الحميد برحلة إلى باريس لشراء المخطوطات وطلب منه أن يبحر إلى باريس ويجمع أسماء المخطوطات والكتب النادرة ويقدمها للسلطان ليقوم بشرائها. ولكن محمد محمود لما عاد من باريس طلب منه السلطان تقديم قوائم الكتب فرفض مشترطاً أن لا يقدمها إلا بعد أن تعطى

له أتعابه. فبعث له السلطان أن مكافأته ستأتيه. فامتنع فرد عليه السلطان بأن لا حاجة في الأوراق.

ثم أرسل ملك السويد (أوسكار) للسلطان عبد الحميد يطلب منه وفداً من العرب لمناقشته في أشياء في القرآن وأن يكون فيهم محمد محمود الشنقيطي فبعث إليه السلطان أن يتهيأ للسفر فقال لا حتى تعطوني أتعابي. فغضب عليه السلطان وطرده من تركيا إلى المدينة.

وفي المدينة اختلف مع علمائها فطلبوا من والي المدينة إخراجه منها فأخرجه وذهب إلى مصر. وفي مصر أيضاً قضى بقية حياته في مشاحنات مع علمائها يهجوهم ويهجونه إلى أن توفاه الله عليه رحمة الله. وترك مجموعة من المخطوطات وله أشعار متفرقة أكثرها في الهجاء.

وكان رحمه الله لولا حدة في طبعه لأفاد واستفاد.

## 127

## سيدي محمد ولد امهمد

هو محمد ولد امهمد، ولد عبيدة شيخ قبيلة البرابيش فخذ أولاد سليمان. ولد حوالى عام 1818م.

جده أحمد عبيده هو قاتل الجاسوس البريطاني (لينج) ذلك الذي وصل إلى تينبكتو عن طريق طرابلس وأحدث موته مشكلة بين يوسف القره مانلي والي طرابلس وحكومة بريطانيا عام 1826.

تولى سيدي محمد مشيخة القبيلة بعد وفاة والده عام 1880م. وقد قويت سيطرة قبيلته في منطقة الصحراء أيام توليه رئاستها وكان يوقع باسم ملك الصحراء (أزواد) وقد تولى قيادة حروبها مع القبائل المجاورة.

وتنتمي قبيلة أولاد سليمان إلى قبيلة أولاد سليمان المتواجدة بليبيا بمنطقة سرت.

ولما وصل الفرنسيون إلى منطقة الصحراء وقف سيدي محمد في وجه الفرنسيين يقاتلهم. وكان يهاجم الأحياء الموالية للفرنسيين ويستاق أغنامهم ومواشيهم. وكان يتحرك بقبيلته بين صحراء مالي والساقية الحمراء إذ كان على علاقة وطيدة مع الشيخ ماء العينين.

ويقول بول مارتي عنه:

«لقد كان سيدي محمد يوصف عام 1899 بأنه بليد ومفسد متعصب». يقول رأي آخر سنة 1912 بأنه «لا يتراجع عن مواقفه». ويمكننا أن لا نظلم الذين أعطوه هذه الصفات لأنها تتطابق مع الواقع، غير أن لها أخواتها من الصفات الحميدة، والتي تتمثل في كرمه وفروسيته ونشاطه مما جعل له الكثير من المخلصين والأحبة الذين وجدوا أنفسهم مرغمين على اتّباعه في تمرده. وعلينا أن نعترف بأنه منذ غادر سنة 1909 بدأت موجة عاتية من القتل ونهب الإبل كان ضحيتها بدو المنطقة خاصة البرابيش الخاضعين».

ولما طعن في السن رحل إلى الساقية الحمراء مع الأسر المجاهدة وبقي هناك إلى أن توفي رحمة الله عليه، وترك قيادة القبيلة لابنه الخليفة.

128

## القاضي محمد يحيى بن محمد الدنبجة

ولد القاضي محمد يحيى عا م 1919 قرب بلدة (أبي تليميت) بجنوب بلاد موريتانيا الحالية.

وهو ينتمي إلى بيت علم وثقافة ودين، حفظ القرآن على أشياخ المنطقة،

وتعلم علوم الدين وعلوم اللغة، ثم شرع في دراسة دواوين شعراء العرب، وألفية ابن مالك ومختصر خليل، وألفية المعاني والبيان والبديع. كما درس (مراقي السعود) للسيد عبد الله بن الحاج ابراهيم وغيرها من العلوم.

ثم انتقل إلى تونس حيث أجازه شيخها ومفتيها الشيخ الفاضل بن عاشور عام 1960.

وفي عام 1961 عين قاضياً لمنطقة انواقشوط وكانت البلاد في فجر استقلالها. ثم حول بناء على رغبته إلى المنطقة التي ولد فيها ليتولى القضاء بها.

والقاضي محمد يحيى من شعراء الصحراء المجيدين وله ديوان شعر مخطوط نأخذ منه هذه القصيدة يمدح بها والده.

يقول القاضي:

وجدتكن شبيهات المهى حدقا ... ما زال قلبي بكن الدهر معتلقا
وما ارعويت وما خنت العهود وما ... سلوتكن وما قولي لكن لقى
لولا الغواني وما أودعن من سقم ... قلبي ما بت من سرج الجوى أرقا
وما بكيت على أطلال ماوية ... وما تذكرت منها منزلاً خلقا
وما اقتطفت جنى من ورد وجنتها ... حتى جنيناه رشحاً يشبه العلقا
فكم وصفت لها بيناً وشمط نوى ... وغربة ونزوحاً بعد قرب لقا
وكم سلكت لها دهر الصبا طرقا ... أيام أهل الهوى لم يسلكوا طرقا
وكم وصفت محياها ومعصمها ... وقدها الغض والأطراف والعنقا
والساق منها كأنبوب السّقِي وكم ... غازلت غادتها الوهنانة الفنقا
وكم رشفت رضاباً من مراضبها ... وكم تنسّمت من أليّها عَبِقا
وكم وصلتُ حبالاً من مودتها ... وكم قربت لها طيفاً أنا طرقا
وكم وفت لي بوعدٍ من مواعدها ... وكم أخي ثقة بالبيض قد وثقا
صرّمْنَ أحبله وخنّ أعهده ... وزدنه لوعة منهن أو عشقا
وكم ترسّمت بالأداء معهدها ... فانهل دمعي على الخدين وانطلقا

فخلته كيف (بون) اليوم قد بسطت ... للمعتفين وسيباً منه مندفقا
وخلت غرته شمس الضحى وسنى ... جبينه بارقاً في هيدبٍ برقا
وخلت أن سماء العدل ماطرة ... فأرسلت واكفاً من مائها غدقا
وخلت أن أمير المؤمنين أبا ... حفصٍ سقاك رحيقاً منه قد رحقا
علماً، وحلماً، وعقلاً راجحاً، ويداً ... مبسوطة ويقيناً صادقاً وتقى
وهمة علقت بالله عالية ... ودرّ لفظ يزيل الهم والفرقا
وشيمة بالسنى والبان نافحة ... وشدة فإذا أشبهته خلقا
يا (بون) بأني مجد رائق وعلا ... لا زال غصنك فينا ناضراً ورقا
أهل الامارة كُلاً قد علوتهم ... وزدت معنى على معناهم أنقا
هم فاخروك فنلت الفخر دونهم ... وساجلوك فخافوا الحتف والغرقا
ولم يساووك في دفع الخطوب إذا ... ما حادث الدهر غادى الناس أو طرقا
والحمد لله من أولاك مرتبة ... علياء بزّت ملوك الأرض والسُوقَا
منها غدا الناس في أمن وعافية ... لا ظلم يخشى ولا خوفاً ولا غرقا

* * *

وديوان القاضي يحتوي على مجموعة كبيرة من القصائد في المدح والرثاء والحكم والمناظرات.

وفي عام 1979 توفي القاضي محمد يحيى أثر مرض ألمّ به عليه رحمة الله. وقد ترك عدة تآليف في اللغة والفقه.

129

## مختار ولد حامدون

الأديب والمؤرخ والشاعر والفقيه واللغوي مختار ولد حامدون من قبيلة أولاد ديمان المتواجدة في جنوب غرب الصحراء الكبرى بجمهورية موريتانيا

والمشهورة بالعلم وحفظ القرآن وأصول اللغة والشريعة.

ويلقبه الموريتانيون ابن خلدون موريتانيا.

التقيت به عام 1972، وعام 1978 وكان عمره قد ناهز الثمانين عاماً، ولا يزال يحتفظ بذاكرة قوية وقدرة فائقة على البحث والتنقيب والدراسة.

له عدة مؤلفات أشهرها كتاب عن القبائل الموريتانية. وله شعر جيد. ومن شعره:

أجدّك تسكن الدّمن اليبابا ... كأن بها خياماً أو قبابا
وتصبو للظُّباء بها العواطي ... كأن ليس فيها والربابا
وتأنس بالذئاب الغُبْس فيها ... فتأبى المونسين خلا الذئابا
وتطمع أن تردّ لك المغاني ... جواباً، كيف يرددن الجوابا
أراك عراك تهيامٌ وجهلٌ ... أصابا من فؤادك ما أصابا
فخلتُ الوحش من ولهٍ أنيسا ... وخلتُ الشيبَ من سفهٍ شبابا
حدا بفؤادك الخاوي يباري ... حداة الركب حين حدوا الركابا
وراعك والنُّعاب يروع قدماً ... ومثلك ريع إن سمع النعابا
نعابٌ محلقٌ في الجو أوفى ... على علياء يرتقب ارتقابا
يحوم على المقائي كل وقتٍ ... يسوم عذاب قثاها العذابا

* * *

والقصيد طويل مدرج في كتاب شعراء موريتانيا. وعهدي بالشيخ مختار ولد حامدون بموريتانيا عام 1978 وقد جاوز الثمانين عاماً. وقد سمعت أنه انتقل للجوار بمكة، وتوفي هناك عليه رحمة الله.

130

## المرابط بن أحمد فال

هو المرابط بن أحمدو فال بن أميجن. ولد عام 1250هـ، في أسرة من العلماء والفقهاء. فوالده أحمدو فال صاحب مكتبة ورجل علم وجده لأمه محمذن فال عالم جليل وقاضي. في هذا المحيط شب المرابط حيث حفظ القرآن وأكب على العلم والثقافة من مكتبة والده. وكذلك مكتبة أهل الشيخ سيديا الكبير في أبي تليميت وكان يشتري الكتاب بما يملك. وكان قوي الحافظة حتى أنه استغنى عن العلماء وعلمّ نفسه إلى أن أصبح من علماء الصحراء الذين ينعت لهم بالبنان. وأسس محضرة تؤم أبناء العلماء والفقهاء في عصره.

وقد استطاع المرابط أن يؤلف في عدة فنون من العلوم والآداب. فألف في الفقه والأصول والعروض والتوحيد وحتى في الحساب والنحو.

وكان مبجلاً من علماء عصره. وله مراسلات له معهم شعراً ونثراً تنبىء على احترامهم له، والمرابط شاعر جيد، ترك ديوان شعر مخطوط يحوي عشرات القصائد تحتوي على المدح والرثاء والغزل والتصوف ومدح الرسول، والحث على الكرم وسماحة الأخلاق والشجاعة والوصف والحرب، وله في الرثاء والاخوانيات.

فمن قصيدة يمدح فيها رسول الله ﷺ، يقول:

معاهد أوطان الشبيبة للصب ... تهيج أحزاناً أربت على القلب
معاهد أوطان الشبيبة دأبها ... تهيج بذكراها الكمين من الحب
معاهد كانت للشبيبة معهداً ... وسلم قرب للحريض على القرب

مـعـاهـد أنـداب كـرام أعـزة    تعاطو كؤوس اللهو من كل ما ندب
أشـم وفـي رافـق الـطرف خـافـض    جناحاً بحزم العزم من دونما نصب
مـشـمر سـاق الجـد مـشرب حـلقه    ممـد نـداه مـن نـدى نهـر عـذب
لـهـم مجـلـس مـا إن يـكـدر صـفـوه    مـكـدر فـحـش أو مـقـام على خـب

إلى أن يقول:

وما كنت ممن دأبه اللهو والصبا    وما كنت مسبي الفؤاد لمن تسبى
إلى أن سبت قلبي فتاة بمقلة    أصابت شفافي لا بجرم ولا ذنب
تسفه أحلامي برشق نبالها    بالحاظ نجل العين حو اللمى شنب
جذوب يرى بزل القلوب بتيهها    تجوب الفيافي راكبات على صعب
تزعزع هوج الشرق منها رواسيا    رواسي قيسي أسير الأسى مسبي
تزعزع قلباً لا يزعزعه الهوى    فطوراً إلى جنب وطوراً إلى جنب
فبت أقاسي هم ليلى ركّدا    نجوم هواه ذا شجون وذا وصب
وتنكأ قرحاً كنت أعهد بالصبا    ورأسي غطّاه قناع من الشيب
فلولا اشتعال الرأس شيباً لما انثنى    عناني ولا أثني عناني على صحب
ولكنه الاسلام قيد وزاجر    لذي اللب أن يرخي عنانا على شيب
كفى طائراً عنه غراب شبابه    «كفى الشيب والاسلام» من زاجر الرب

إلى أن يقول:

أرى لي صرف الوجد عن تيه عذره    إلى المحكم العهد الشديد العري الندب
إلى الطود حلماً والخضم سماحة    إلى الغيث نفعاً للأنام على جدب
نبي علا فوق السماء كما علا    على كل عالٍ ذي سماء وذي ترب
طبيب عضال الداء قلباً وقالباً    طبيب لما أعي الطبيب من الطب
جميل جليل طاهر الجيب رحمة    جذيل محك الدانيات من الجرب

والقصيد يقع في 61 بيتاً.

ويقول في قصيد آخر:

ما حرك الوجد والأحزان والذكرا    وعوض الجفن معتاد الكرى سهرا

وسفه الحلم واستصبى الكبير إلى أن هاج بعد اندمال الدمّل الأثرا
مثل الجآذر نجل العين تبدو لمن يخالس النظرَ البهاء والجورا
تفتر عن أشنب كالأقحوان على دعص زها زهوه يروق من نظرا

والقصيد يقع في 61 بيتاً هو الآخر أيضاً.

وفي عام 1345هـ، توفي المرابط محمد فال عن عمر يناهز الخامسة والتسعين قضاها في العلم والتعليم رحمه الله.

131

## مزدلي بن تيولتكان

هو مزدلي بن تيولتكان بن الحسن بن محمد بن ترقوت. هو من أقارب يوسف بن تاشفين ويلتقي معه في ترقوت. قال عنه ابن الخطيب:

«بطلاً ثبتا بهمة من البهم بعيد الصيت عظيم الجلد أصيل الرأي مستحكم الحنكة طال عمره وحمدت مواقفه وبعدت غاراته وعظمت في العدو وقائعه».

ويقول محمد عنان:

«وقد كان من أعظم أعمال مزدلي استرجاع مدينة بلنسية من أيدي جنود السيد الكمبيادور بعد وفاته وجنود قشتالة في سنة 495هـ ـ 1102م وكان قد ولي بلنسية ثم قرطبة وغرناطة أيام يوسف».

وهو من مواليد الصحراء الكبرى ومن رجالاتها المشهورين. انتقل مع جيوش المرابطين إلى المغرب ثم إلى الأندلس، وأبلى البلاء الحسن في معاركه.

وقد كان يوسف بين تاشفين يعتمد عليه ويستشيره في أموره ويكلفه بالمهام المعضلة.

وحتى عندما جاء إلى المغرب أحد أبناء أبي بكر بن عمر اللمتوني ويدعى

ابراهيم مطالباً بملك والده وكان لمطلبه هذا لو نجح ضرراً على وحدة المرابطين. قام إليه مزدلي وأقنعه بالرجوع للصحراء وأغدق عليه الهدايا ورجع راضياً دون حدوث أي مشكلة.

وفي شوال سنة 508هـ ـ 1115 توفي الأمير مزدلي عليه رحمة الله.

132

## منصور الهوش

هو أحد أفراد قبيلة مدنين المشهورة بالتقوى والورع والتدين.

هاجر عند استيلاء فرنسا على تونس إلى ليبيا وسكن منطقة الجفارة مع آلاف المهاجرين من مختلف قبائل الجنوب التونسي.

وبدأ في الاغارة على مواشي أولئك المنطوين تحت لواء الاستعمار الفرنسي وقد صدرت فتوى من مشائخ الدين تبيح أموال المتعاونين مع النصارى. وأهم هذه الفتاوى فتوى (الشيخ عليش) الذي يذكره منصور في شعره. وقد تبودلت بين منصور وأهله رسائل شعرية فيها العتاب وفيها الفخر وفيها اللوم.

فنراه يقول لهم:

مسلم وخش الكفر غرّه دينه      مكتوب له سطر الشقا في جبينه

* * *

المسلم يولّي كافر      لا تفرز الرايم من اللي نافر
حصّنة مجاهد يضربوا بالحافر      من ضبطهم ينسى الضنين ضنينه
تقطع حميل أعراك باشى امسافر      زي لارفعنا شي لا خلّينا

* * *

زي لا رفـــعـــنـــا حـــاجـــة    عمرت اقصور الساف خُلّيت باجه
واحـد عـلى طـول الـزمـان دجـاجـة    وواحـد مـثـيـل الـصّـل حمـرا عـينه
كـلامـي امـعـاكـم نـبـعـثـه رَبّـاجـه    فـيـكـمـش لا عـارف يـرد عـليـنـا

* * *

حـــد الجـــواب أوصـــولـــه    حسن يفهمه معنى الكلام يقوله
لا تـطـاوعـوا كـنـينـير لا تمـشـولـه    لـو كـان بـيـصـب الـغـنـى يـغـنـينا
انخشوا الصحارى سعينا على طوله    من (الفيض) حتى القلب وسحاوينا

* * *

كـــان دلـــكـــم مـــولايـــا    راكـم تـسـيروا في لـبسـاط امـعـاهـا
أش لامـكـم ع الـكـفـر في قـهـبـايـة    على جـالـكـم يـا أهـل الـعـيـاد سمـينـا
من وحشكم نغرد كما القصباية    فـيـكـم دعـا (بـوصـاع) وإلا فـينا

* * *

فـــيـــكـــم ادعـــا جـــبـــارى    زاد بـاعـكـم بـيع الـبـرا لـلـشـارى
لاغـارس الـزيـتـون لا عـكـارى    لا ويـن تـصـبّـح احـذاك سـفـينة
رحـل عـلى يـبـلـك ومـد اجـفـارى    أنـا ضـامـنـك شـرّق اتحـيـيـكـم زينـا

* * *

ولمنصور الهوش قصائد أخرى طويلة وفي غاية النظم والحبك الشعري الشعبي.

وللضغط الفرنسي على الحكومة التركية أرغمت منصور على الرحيل إلى سرت لإبعاده عن منطقة الحدود بعد أن سجنته عدة أشهر.

وفي مناطق القبلة كان في ضيافة أحد نجوع أولاد بوسيف فأغار الزنتان على ابل النجع البوسيفي فقام الفرسان لإرجاع الإبل. وهرع معهم منصور على عادة العرب لنصرة المظلوم.

وأثناء المعركة قتل رحمه الله.

وبهذا انتهت حياة هذا البطل من أبطال الجهاد العربي الاسلامي في منطقة الصحراء الكبرى.

133

## موسى دمقرقوما

هو سلطان قبيلة (امزوراك) التارقية بمنطقة (دمرقوا) شمال النيجر الحالي.

كان هذا الرجل على اتصال بالليبيين وعلى اتفاق معهم على الجهاد ضد فرنسا.

وفي عام 1899 وصل الفرنسيون إلى (زندر) 2 نوفمبر 1899م وقف موسى بمجموعاته ضدهم، وقام بمهاجمتهم في عدة مواقع برجاله. واستطاع أن يعرقل بل يوقف طرق القوافل من والي زندر، واستطاع أيضاً أن ينهب القبائل الموالية لفرنسا وأهمها قبيلة(كيل اواي) التارقية التي هاجمها وانتصر عليها في معركة (هوكين) عام 1899 واستولى منها على عدة قطعان من الإبل.

وفي يوم 19 يوليو 1900م، شكل الفرنسيون فرقة مسلحة بأسلحة عصرية لمهاجمة موسى وأتباعه في قرية(تان اماري) وأمام حشدمن الناس العرب المسلمين من التوارق وغيرهم المسلحين بالسيوف والفؤوس والعصي، وقفت الفرقة الفرنسية تطلق النار في كل اتجاه ونشبت معركة هائلة غير متكافئة. ويقول العريف بوتهيل قائد المجموعة الفرنسية «فاندلع قتال شديد كان عبارة عن مجابهة بالأيدي حيث فقدت بنادقنا تفوقها الذي تكتسبه من مداها البعيد لأن أي تارقي يقتل يأتي آخر في مكانه».

وقد دامت المعركة ثلاث ساعات، وأسفرت عن مقتل مجموعة كبيرة من

المجاهدين كان من بينهم موسى دمقرقوما رحمه الله.

وتولى ابن أخ موسى رئاسة المجموعة المتبقية والمدعو خنجر بن طلحة، ومعه عمه دندا، واتجها بالمجاهدين شرقاً لينضموا للمجاهدين العرب الليبيين في منطقة كانم بمنطقة تشاد الحالية.

## 134

## الشيخ نمر الجعلي

هو الشيخ نمر شيخ قبيلة الجعليين العرب في شرق افريقيا.

وكان اسمه من الممكن أن يبقى مغموراً في سجل النسيان لو لم تقم الحملة المصرية على السودان وأجزاء من الحبشة وارتريا والصومال من قبل محمد بن علي، الذي أرسل ابنه ابراهيم، ثم لما مرض هذا وعاد إلى القاهرة أرسل بدله ابنه اسماعيل ليفتح باسم مصر هذه المناطق. وكان ذلك عام1820 حيث تحرك ما بين 3000 ـ 4000 رجل بقيادة اسماعيل باشا عبر اسوان، ووادي حلفا، إلى أن وصلت سنار واندفعت نحو الجنوب إلى أن وصلت (فازوغلي) هدفها المنشود على النيل الأزرق. وقد أنهك الحملة السير الطويل والغابات والأمراض والوحوش والثعابين والبعوض.

عادت الحملة ووصلت إلى شندي حيث توقف اسماعيل وهو الشاب الشامخ ابن عزيز مصر. ويقول ممتاز العارف:

«وبعد استراحة قليلة في مقره جاءته وفود البلدة مهنئة بسلامة العودة وكان من بينهم الشيخ نمر أحد أبرز زعماء المنطقة. ولكن ما إن دخل القاعة وسلم على اسماعيل حتى باغته بطلب غريب، وقع عليه كالصاعقة. فقد طلب من الشيخ نمر تسليمه 30 ألف دولار نقداً وستة آلاف من العبيد خلال 48 ساعة. لقد وردت هذه الأرقام مختلفة باختلاف الروايات. لكن

مهما يكن من أمر فلا بد أنها جاءت بشكل لم يقو الشيخ نمر على تلبيته. ولما رد عليه هذا الشيخ الوقور بكل هدوء وأدب باستحالة إجابة طلبه كاملاً وبهذه الفترة القصيرة غضب اسماعيل وقام من مكانه وفاجأ الشيخ بضربة على وجهه بغليونه الخشبي الطويل، وأهانه أمام الحاضرين من قومه.

أما الشيخ نمر فلم يتحمل هذه الإهانة من شاب طائش وامتشق حسامه وهم بضرب عنق اسماعيل، إلا أن حاشية اسماعيل وحراسه من المماليك سارعوا إلى نجدة سيدهم وأوقفوا نمراً عند حده وأخرجوه من المجلس. . . ».

وخرجت الوفود المهنئة مكسورة الخاطر ومن ضمنهم الشيخ نمر الذي أحس بإهانة كرامته العربية وأصيب في صميم كبريائه وصمم على الانتقام.

أعدّ اسماعيل وحاشيته ليلة صاخبة. فبعد وليمة العشاء التي أقيمت في مقر القيادة «واستمر القوم في معاقرة الخمر والراقصات بينهم إلى وقت متأخر».

ويستمر ممتاز العارف بسرد قصة الثأر: «ولكن الشيخ نمر لم يسكت على هذه الإهانة فما إن شعر هو وجمع من أصحابه بأن الخمرة قد دبت في رؤوس الحاضرين حتى اقتحموا البيت وأضرموا فيه النيران من كل جانب واختفوا عن الأنظار فلما سارع رجال اسماعيل من الخارج لإخماد النار فاجأتهم جماعة نمر من مخابئها وأعملت فيهم السيف حتى قتل معظمهم فلم يتمكن من في داخل البيت من الافلات من النار حتى مات أغلبهم ومنهم اسماعيل نفسه. . ».

وهكذا ثأر الشيخ نمر لتلك الضربة الطائشة من غليون اسماعيل على وجهه وجعله يدفع روحه ثمناً لها.

وقد أعد محمد علي حملة بقيادة صهره الدفتردار لأخذ ثأر ابنه اسماعيل. فوصلت إلى المنطقة ونكلت بالرجال والنساء والأطفال. وحرق جميع المزارع الواقعة بين شنوى وسنار على النيل.

وقتل المصريون في هذه الحملة الانتقامية المحرقة على رأي بعض الروايات

خمسين ألفاً من الوطنيين وحاصروا منزل الشيخ نمر ولكنه استطاع أن يفلت من الحصار ويفر باتجاه الحبشة حيث بقي هناك بقبيلته إلى أن توفي عليه رحمة. وخلف ابنه علي شيخاً على قبائل الجعليين الذي تحالف مع امبراطور الحبشة (تيودور) سنة 1860 ومده بالمال والرجال والسلاح وبدأ يشن الغارات على المصريين في السودان لسنين طويلة.

135

## همّ بن محمد الأنصاري

هو هم بن محمد الطاهر بن محمد أحمد الأنصاري وكان قاضياً لتينبكتو أيام دولة أحمد بن أحمد بن الشيخ أحمد الماسني الفلاني رئيس مملكة الماسنة.

ويقول الأستاذ كادي في مخطوطه أنه من شعراء القرن الثامن عشر.

وينتمي همّ لقبيلة الأنصار المتواجدة بشمال مالي بتينبكتو والذين يقولون إن جدهم معاذ بن جبل والذين يقول شاعرهم مخاطباً قبيلة كنتة التي تنتمي لبني أمية:

وأنتم من أمية قد ورثتم ونحن من معاذٍ وارثونا

وللشاعر همّ قصائد كثيرة بعضها يهجو فيها قبيلة كنتة بسبب الحروب التي نشبت بين القبيلتين. إذ إن الأنصار وأنصارهم يتعصبون للأنصار، وكنتة يتعصبون لبني أمية ونقلوا خلافاتهم للصحراء الكبرى!!

يقول الشاعر هم:

لاحت لريّا بسفح الطود أطلال كأنها من برود الوشي اسمال
درّ تكنفها من كل ناحية مع الحماية أمواه وأجبال
جاءت لها من هوامي المزن غادية وكل جونٍ غزير الوبل هطال

تـنـتـاب ريّـا بهـا داراً ممـنـعـة ... مـا إن يخـاف بهـا ضـيـم واذلال
لـهـا مـنـازل تـرضـي مـن ألمّ بهـا ... مـن كـل لينـة الجـرعـاء محـلال
دبّـت دويـبـة داء لا دواء لـهـا ... إلى كـنـاتـة تحـزيهـم وتـغـتـال

• • •

واستمر في انتقاص كنتة وشتمهم في قصيدته التي تربو على 32 بيتاً. ويذكر المعارك التي كانت بينهم. والمتتبع لقصيدة همّ ولبقية قصائده توضح مدى شاعريته وتمكنه من الفصحى.

ولم نعثر عن تاريخ وفاة همّ ولا عن ديوان شعره.

136

## هنون ولد بوسيف

هو هنون ولد بوسيف أمير من أمراء امارة أولاد امبارك.

وهذه الامارة تكوّنت في شرق موريتانيا الحالية وغرب مالي بعد سقوط دولة المرابطين.

وأسرة أولاد امبارك قادمة من الساقية الحمراء وهي من صميم العرب.

أدخلت إلى موريتانيا أو بالأحرى إلى جنوب الصحراء الفروسية وركوب الخيل إذ إن الصحراويين جميعاً يألفون ركوب الجمال لأنها أصبر على العطش وخيل أولاد امبارك من الخيل المشهورة العربية المسومة.

ولما كان المرابطون حرموا الغناء والطرب وضرب الدفوف ومزقوا الأوتار لأنه يعارض الشريعة ترك أهل الصحراء الطرب إلى أن تكونت امارة أولاد امبارك فكونوا فرقاً موسيقية ونهض الطرب والغناء والموسيقى في إمارتهم بدرجة لا توصف لدرجة أن أغلب الفنانين الحاليين في الصحراء الكبرى هم

من سلالات الفنانين الذين تكونوا في امارة أولاد امبارك.

وكان هنون من أكبر هؤلاء الأمراء وأشهرهم وقد مدحه الشعراء الشعبيون وكان جواداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ولا زالت قصائد المدح في هنون تغنى في الصحراء إلى هذه الساعة.

وقد كون جيشاً قوياً للإمارة جزء منه من السود التابعين للإمارة وجيشاً من البيض العرب. وكان الفنانون يغنون لكل جيش الغناء بلغته ولحنه وحتى تكونت معزوفات موسيقية يقال لها (لكحال) أي (السواد) والبياض. ولا تزال إلى الآن معزوفات موسيقية على الآلات الصحراوية معزوفة بأسماء أمراء أمبارك.

ولهذه الامارة الفضل في اثراء الشعر والموسيقى كما لها أيضاً الفضل في تنشيط عمل الحدادين الذين يصنعون السلاح من السيوف والخناجر والرماح وغيرها.

ورجال هذه الامارة تروي المجتمعات الصحراوية قصص شجاعتهم وبطولاتهم بكثير من الخيال القصصي الذي قد لا يصدق لمن لا يعرف هذه الامارة.

وفي عنفوان هذه الامارة بدأ التطاحن بين رجالها إلى أن أفنوا بعضهم البعض. وكانت لهم قوانين وشهامة في الحرب قل أن تعثر على مثلها في العالم. ولهم أيضاً سلوك اجتماعي خاص بهم وتصرفات مثالية على درجة عالية من الأخلاق. وقد دامت هذه الامارة في منطقة (الحوض) شرقي موريتانيا زهاء مائة وثلاثين سنة انتهت بعدها وانقرض أفرادها ولم يبق منهم حالياً في الصحراء إلا خيام قليلة ومشتتة.

137

## يحيى بن ابراهيم الكدالي

تولى ملك القبائل الصحراوية بعد وفاة ملكها الأسبق (تاشرت) فقام بتوثيق الروابط بين قبيلته (كدالة) وقبيلة صهره (لمتونة) فتعاونتا على تقوية الأواصر وتقوية الدولة.

وقد قام يحيى بأداء فريضة الحج عام 440هـ، على رأس وفد من قبائل صنهاجة.

وأثناء عودته التقى بالفقيه (أبا عمران الفاسي) ببلاد القيروان وطلب منه أن يرسل معه أحد الفقهاء ليعلموا أهله فروض دينهم.

وعرض الشيخ أبا عمران الأمر على الطلاب فلم يتطوع أحد منهم للذهاب إلى الصحراء الكبرى ومجاهلها فأرسل معه هذا الفقيه رسالة إلى فقيه آخر بالمغرب يدعى (واجاج بن زلوى) الذي انتدب له أحد طلابه ويسمى عبد الله بن ياسين للذهاب معه للصحراء. وكان لذهاب هذا الشيخ النجيب حدث سجله التاريخ كون الله على يديه دولة المرابطين الكبرى المعروفة في التاريخ.

ولما توفي يحيى بن ابراهيم خلفه في قيادة الحركة يحيى بن عمر اللمتوني.

138

## يحيى بن عمر اللمتوني

هو يحيى بن عمر بن تكلاكين اللمتوني. كان رئيساً لقبيلة لمتونة.. ولما توفي يحيى بن ابراهيم رفضت كدالة الانصياع للشيخ عبد الله بن ياسين فاعتزلهم في جزيرة عند مصب نهر صنهاجه (السنغال) لا تزال موجودة حتى الآن. وتلاحق به المؤمنون بدعوته ومن ضمنهم يحيى بن عمر وأخوه أبو بكر.

ولما كثر عدد المجموعة التي أسماها عبد الله بن ياسين بالمرابطين وبلغوا ألفاً من المريدين قال لهم عبد الله كلمته المشهورة (لن تغلبوا من قلة).

فخرجوا لمقاتلة القبائل الرافضة للزكاة والتي لم يستقم فيها أمر الدين ووصلوا إلى أطراف الساقية الحمراء ومنطقة درعة وقاتلوا رئيسها (مسعود بن وانودين) فهزموه واستولوا عليها ووصلوا زحفهم إلى سجلماسة فاستولوا عليها وفي هذه المعارك قتل الأمير يحيى بن عمر عليه رحمة الله عام 1055م ـ 447هـ.

139

## يوسف بن تاشفين

هو يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن توركيت اللمتوني الصنهاجي. عينه الأمير أبو بكر بن عمر قائداً لجيش المرابطين في المغرب عام 461هـ، ثم تنازل له عن السلطة عام 463هـ.

فأتم بناء مدينة مراكش، وجند الجند، واستمر في الاستيلاء على المناطق. وفي عام 464هـ أصدر عملة باسمه خاصة بدولة المرابطين، ولقب نفسه باسم (أمير المسلمين).

وقد كون يوسف بن تاشفين قوة عسكرية قوية جعلته يخضع القبائل المجاورة، وأن يجتاز بها مضيق جبل طارق لنصرة دول الطوائف وينتصر على الاسبان في معركة الزلاقة الشهيرة عام 481هـ. فمدحه الشعراء وأثلج عمله قلوب المسلمين في كل أنحاء المعمورة.

ولما رأى تصارع دويلات الطوائف ورضوخها للإسبان وانضمام بعضها للعدو لنصرتها على الدويلات المجاورة كلف قائده سير بن أبي بكر بالاستيلاء على دويلات الطوائف وتوحيدها في دولة واحدة قوية دفعت الافرنج زهاء نصف قرن من الزمان.

وفي يوم الاثنين أول محرم عام 500هـ ـ 2 سبتمبر 1106 توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مريضاً عليه رحمة الله، بعد أن أوصى بولاية العهد لابنه علي. وللراغبين في **الاطلاع** على سيرة هذا الرجل عليهم قراءة ما كتب عن دولة المرابطين وكذلك كتاب (التوارق عرب الصحراء الكبرى) للمؤلف.

وقد كان رحمه الله ورعاً تقياً يخشى الله وينهي عماله عن الظلم، محباً للعلماء والفقهاء والشعراء. ضم ديوانه خيرة الكتاب وعلى رأسهم الأديب الأندلسي عبد الرحمن بن اسباط الذي كان يتقن العربية والتارقية، مما سهل على ابن تاشفين مخاطبة ولاته وأمرائه برسائل في غاية البلاغة. ثم تولى الكتابة له محمد بن سليمان بن القصيرة المعروف بأبي بكر بن القصيرة الذي يصفه ابن الصيرفي بقوله: «الوزير الكاتب الناثر القائم بعمود الكتابة والحامل للواء البلاغة الذي لا يشق غباره اجتمع له براعة النثر وجزالة النظم».

وهكذا استطاع هذا الرجل أن يوحد الأندلس والمغرب في دولة قوية حمت جناح العرب والمسلمين ردحاً من الزمن.

140

## يوسف بن محمد بن النحوي

هو يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل المشهور بابن النحوي توزري الأصل من قلعة بني حماد.

قال أحمد بابا التينبكتي في كتابه (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) أنه توفي عام 513هـ عن ثمانين سنة) أي أنه ولد قرابة عام 433هـ.

قال القاضي أبو عبد الله بن علي بن حماد «كان أبو الفضل ببلادنا كالغزالي في العراق علماً وعملاً».

وكان ابن النحوي عالماً عارفاً بأصول الدين والفقه يميل إلى النظر والاجتهاد له تآليف. واشتهر ابن النحوي بقصيدته الرائعة التي أسماها (المنفرجة) وله قصائد أخرى لم يصلنا منها الكثير. وقد تكون ترقد في إحدى المكتبات. والتوزري نسبة لتوزر إحدى قرى صحراء تونس.

والقصيدة التي ذاع صيتها بين الناس تبدأ في مطلعها:

(اشتدي أزمة تنفرجي).

وقد اتخذ المتصوفة لهذه القصيدة شروحاً في غاية التعمق. واتخذوها أذكاراً في تسابيحهم، وقد عارضها الامام الغزالي رحمه الله.

والقصيدة سبب شهرة الرجل، وهي تقع في أربع وأربعين بيتاً. قام الأستاذ الفنان حسن عريبي بتلحينها وآدائها من خلال فرقة الموشحات التي يرأسها بليبيا.

وقد أصبحت العامة تصنع هالة لهذه القصيدة حتى أنهم قالوا ما من أحد قرأها وهو في ضيق إلا وفرج الله عليه.

والقصيدة تقول:

اشتدي أزمة تنفرجي ... قد آذن ليلك بالبلج
وظلام الليل له سرجٌ ... حتى يغشاه أبو السرج
وسحاب الخير له مطرٌ ... فإذا جاء الإبان تجي
وفوائد مولانا جملٌ ... لسروح الأنفس والمهج
ولها أرجٌ محيي أبداً ... فاقصد محيا ذاك الأرج
فلربّتما فاض المحيا ... ببحور الموج من اللجج
والخلق جميعاً في يده ... فذوو سعَةٍ وذوو حرج
ونزولهموا وطلوعهموا ... فإلى دركٍ وعلى درج
ومعايشهم وعواقبهم ... ليست في المشي على عَوجِ
حِكمٌ نُسجت بيدٍ حَكمتْ ... ثمّ انتسجت بالمنتسِجِ
فإذا اقتصَدت ثم انعرجت ... فبمقتصدٍ وبمنعرج
شهدت بعجائبها حجَجُ ... فَعَلى مركوزته فِعج
وإذا انفتحت أبوابُ هدًى ... فاعجَلْ لخزائنها ولج
فإذا حاولت نهايتها ... فاحذر إذ ذاك من العرج
لتكون من السُّبّاق إذا ... ما جئت إلى تلك الفُرَج
فهناك العيش وبهجته ... فلمبتهج ولمنتهج
فهج الأعمال إذا ركدت ... فإذا ما هجت إذاً تهج
ومعاصي الله سماجتها ... تزدان لذي الخلق السمج
ولطاعته وصباحتها ... أنوار صباح منبلج
من يخطب حور الخلد بها ... يظفر بالحور وبالغنج
فكن المرضيّ لها تبقى ... ترضاه غداً وتكون نجى
واتلُ القرآن بقلب ذي ... حُزنٍ وبصوتٍ فيه شجى
وصلاة الليل مسافتها ... فاذهب فيها بالفهم وجي
وتأملها ومعانيَها ... تأتي الفردوس وتفترج
واشرب تسنيم مفجّرها ... لا ممتزجاً وبممتزج

مُدح العقلُ الآتية هدَى … وهوًى متولّىً عنه هُجِى
وكتاب الله رياضته … لعقول الخلق بمندرج
وخيار الخلق هداتهمو … وسواهُم من همج الهمج
فإذا كنت المقدام فلا … تجزع في الحرب من الرهج
وإذا أبصرت منارَ هدًى … فاظهر فرداً فوق الثَّبَج
وإذا اشتاقت نفسٌ وجدت … ألماً بالشوق المعتلج
وثنايا الحسنى ضاحكةً … وتمام الضحك على الفلج
وعياب الأسرار اجتمعت … بأمانتها تحت السُّرج
والرفقُ يدوم لصاحبه … والخُرق يصير إلى الهرجِ
صلوات الله على المهدي … الهادي الناس إلى النهج
وأبي بكر في سيرته … ولسان مقالته اللهج
وأبي حفصٍ وكرامته … في قصة سارية الخُلُج
وأبي عمرٍ ذي النورين … المستحي المستحي البهج
وأبي حسنٍ في العلم إذا … وافى بسحائبه الخلج
وعلى السبطين وأمهما … وجميع الآل بهم ثلج
وعلى الأصحاب بجملتهم … بذلوا الأموال مع المهج
وعلى أتباعهم العلماء … بعوارف دينهم البلج
واختم عملي بخواتمهم … لأكون غداً في الحشر نجي

* * *

ولم نستطع أن نعثر على قصائد أخرى للتوزري ولا شك أنه له شعر آخر ضاع في طوايا النسيان.

141

## يوسف بورحيل

هو يوسف بورحيل المسماري من قبيلة المسامير المعروفة بالجبل الأخضر.

اشتهر بلقب (بوخديدة) كان من أصدقاء عمر المختار ومن أكثر المجاهدين به التصاقاً.

هو شيخ من شيوخ الدين. تعلم وتفقه في زوايا المنطقة وحفظ القرآن. واشتغل بالتدريس في زاوية القصور، الزاوية نفسها التي يرأسها عمر المختار.

وكان الشيخ عمر المختار ينيب عنه في تغييبه يوسف بورحيل، الذي لم يفارق دور المجاهدين ولم يبتعد عنهم.

وكان عمر المختار يثق فيه ويأتمنه على أسراره ويحترم رأيه.

وكان يوسف شجاعاً مقداماً حذراً يحافظ على سلامة المجاهدين. ويقدر العواقب ولا يخاطر بأرواحهم بدون مردود ولما أسر شيخ الشهداء عمر المختار اجتمع المجاهدون واتفق رأيهم على يوسف بورحيل أن يقود المجاهدين خلفاً لعمر المختار.

واستمر في قيادة المجاهدين أربعة أشهر كاملة مزقهم فيها الجوع وقلة الزاد. وقلة الذخيرة فقرر الباقون الهجرة إلى مصر لاسترداد أنفاسهم.

وعبر أولاً يوسف بورحيل مع ثلاثة من رفاقه الجبل الأخضر. ولكن زميلاً آخر كان مع المجاهدين يدعى عصمان الشامي سلم نفسه للطليان جريحاً يائساً في عين الغزالة في تاريخ 6 شعبان 1350 وأخبر مع الأسف أثناء التحقيق معه عن زملائه فترصدتهم القوات الايطالية واكتشفت موقعهم.

فلجأ الفرسان الأربعة إلى كهف ووقفوا يدافعون عن كرامتهم ووطنهم أمام قوة هائلة من الجيش الايطالي. وعند انقطاع الرصاص وجد الايطاليون جثث أربعة شهداء من بينهم يوسف بورحيل عليهم رحمة الله وكان ذلك يوم 9 شعبان 1350هـ.

# المصادر والمراجع


1 ـ ابن فودى عثمان، بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية.

2 ـ ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة.

3 ـ ابن مامين محمد فاضل، نعت البدايات وتوصيف النهايات.

4 ـ ابن منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب.

5 ـ بولم دنيس، الحضارات الافريقية ترجمة علي شاهين.

6 ـ بوعزيز يحيى، ثورة المقراني 1871.

7 ـ البرتلي أبي عبد الله الطالب، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور.

8 ـ بيلاردينيللي، القبلة.

9 ـ تركي حامد صالح، ارتريا والتحديات المصيرية.

10 ـ التيجاني أبو محمد عبد الله، رحلة التيجاني.

11 ـ التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج.

12 ـ الحنديري سعيد عبد الرحمن، العلاقات الليبية التشادية.

13 ـ خرفي صالح، صفحات من الجزائر.

14 ـ دائرة المعارف الاسلامية.

15 ـ الزاوي الطاهر أحمد، جهاد الأبطال.

16 ـ الزاوي الطاهر أحمد، أعلام ليبيا.

17 ـ الزركلي خير الدين، الأعلام.

18 ـ السعدي عبد الرحمن، تاريخ السودان.

19 ـ شلبي أحمد، موسوعة التاريخ الاسلامي.

19 ـ الشنقيطي محمد الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط.

20 ـ شوقي أحمد، ديوان شعر.

21 ـ العوامر ابراهيم بن محمد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف.

22 ـ العارف ممتاز، ارتريا بين احتلالين.

23 ـ العارف ممتاز، الأحباش بين مأرب وأكسوم.

24 ـ الغربي محمد، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي.

25 ـ القشاط محمد سعيد، خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام.

26 ـ القشاط محمد سعيد، معارك الدفاع عن الجبل الغربي.

27 ـ القشاط محمد سعيد، جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى.

28 ـ القشاط محمد سعيد، التوارق عرب الصحراء الكبرى.

29 ـ الكنتي الشيخ سيدي المختار، فتح الودود شرح المقصود والممدود.

30 ـ مارتي بول، كنتة الشرقيون، ترجمة محمد محمود ودادي.

31 ـ مارتي بول، البرابيش، ترجمة محمد محمود ودادي.

32 ـ الماحي عبد الرحمن عمر، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1894 ـ 1960)، مطابع الهيئة المصرية العامة للمكتبات.

33 ـ المرزوقي محمد، دماء على الحدود.

34 ـ المرزوقي محمد، صراع مع الحماية.

35 ـ المرزوقي محمد، الشعر الشعبي والانتفاضات التحررية.

36 ـ المرزوقي محمد، الدغباجي.

37 ـ مرسي خالد عبد المجيد حامدوكاني، (التجربة الغامضة أو التيار الإسلامي في الأدب السنغالي)، صدر عن مركز البحوث والدراسات الافريقية.

38 ـ مقلدّ محمد يوسف، شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون.

39 ـ المصراتي علي مصطفى، غومة فارس الصحراء.

40 ـ المصراتي علي مصطفى، .نماذج في الظل.
41 ـ معهد البحوث والدراسات العربية، الجمهورية الاسلامية الموريتانية، دراسة مسيحية شاملة.
42 ـ النحوي خليل، بلاد شنقيط، المنارة والرباط.
43 ـ ناجي محمود، تاريخ طرابلس الغرب. ترجمة عبد السلام أدهم ومحمد الأسطى.
44 ـ النائب أحمد بك، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب.
45 ـ هولت. ب. م.، دولة المهدية في السودان. ترجمة هنري رياض، الحفيد علي عمر، محمد محجوب مالك، عبد الحافظ عبد الله.

## المخطوطات

1 ـ تحقيق اللامية الكبرى للشيخ البكاي بن الشيخ سيدي محمد الكنتي مقدماً لها بنقيضها لأحمد سالم بن السالك الحاجي. إعداد الطالب عابدين بن سيد لأمين، جامعة أنواكشوط.
2 ـ امارة أولاد يحيى بن عثمان للأستاذ غيث بن أقمّ، جامعة أنواكشوط.
3 ـ الحسوة البيانية في علم الأنساب الحسانية، تحليل وتحقيق أحمد بن محفوظ، جامعة أنواكشوط.
4 ـ الدرر الوهاجة في حميرية قبائل صنهاجة. الداه بن الطالب اعبيدي، اعداد الطالب سيدي محمد بن البو، جامعة أنواكشوط.
5 ـ الشيخ محمد المامي وأعماله اللغوية. محمد الحسن بن محمد سعد، جامعة أنواكشوط.
6 ـ الطوائف والتلائد في أخبار الشيخين الوالدة والوالد. الشيخ محمد مختار الكنتي، مكتبة محمد محمود ولد دادي.
7 ـ صحراء جمهورية مالي وشعرها العربي. الأستاذ كادي درامي، مكتبة المؤلف.

8 ـ لمحات من تاريخ شنقيط. شغال بن أحمد محمود، جامعة أنواكشوط.

9 ـ ديوان ابن أحمد يورة، اعداد محمدن بن أحمدناه بدّنّ، جامعة أنواكشوط.

10 ـ سيدي بن خليل، حياته وآثاره العلمية. اعداد الطالبة زينب بنت برُّو، جامعة أنواكشوط.

# فهرس الأعلام


1 ـ ابراهيم نياس
2 ـ أبو القاسم أحمد البوصيري
3 ـ أبو القاسم خيشي
4 ـ أبو بكر غرس الله
5 ـ أبو بكر بن عمر اللمتوني
6 ـ أبو بكر قرزة
7 ـ أحمد بن ابراهيم
8 ـ أحمد آمود
9 ـ أحمد الباسل
10 ـ أحمد البكاي بن محمد الكنتي
11 ـ أحمد التنجوري
12 ـ أحمد الشريف السنوسي
13 ـ أحمد المريض
14 ـ أحمد الهيبة
15 ـ أحمد بابا التنبكتي
16 ـ أحمد بن الأمين الشنقيطي
17 ـ أحمد سالم بن السالك
18 ـ أحمد سيف النصر
19 ـ سيدي أحمد ولد عيده
20 ـ أحمدو لوبو
21 ـ ادريس بن علي
22 ـ أسماء بنت الشيخ عثمان
23 ـ امحمد بن أحمد يورة
24 ـ امحمد بن محمد اليعقوبي
25 ـ الامام بن محمد الفغ الجكني
26 ـ البراني الساعدي
27 ـ الخليفة ولد محمد
28 ـ الداه بن محمد بن الطالب عبيدي
29 ـ الفضيل بن عمر
30 ـ المبروك الغدي
31 ـ المبروك المنتصر الترهوني
32 ـ الشيخ سيدي المختار الكنتي
33 ـ المهدي السنوسي
34 ـ المهدي السني
35 ـ آله بشير
36 ـ الولي مصطفى السيد
37 ـ بشير بن اسديرة
38 ـ بكار ولد سويدي أحمد
39 ـ بوشيري بن سالين
40 ـ حامد ادريس عواتي
41 ـ حبيب الله بن عابدين الكنتي
42 ـ حمة خليفة
43 ـ حميدي بن محمد المرجبي
44 ـ خليفة وردة
45 ـ خناثة بنت بكار
46 ـ ديلول
47 ـ رابح بن فضل الله
48 ـ زيد بن الطاهر
49 ـ سالم بن عبد النبي
50 ـ ساموري توري
51 ـ سعد بن عون
52 ـ سعد فريحيس
53 ـ سعيد الدبابي
54 ـ الشيخ سيديا
55 ـ سيدي بن خليل
56 ـ سير بن أبي بكر
57 ـ شبو
58 ـ صالح الأطيوش
59 ـ صالح محمد الفلاني
60 ـ طارق الإفريقي
61 ـ عابدين الكنتي
62 ـ عبد الجليل سيف النصر
63 ـ عبد الحميد العبار
64 ـ عبد الرحمن البوصيري
65 ـ عبد الرحمن تاقامة
66 ـ عبد الرحمن السعدي

67 ـ عبد السلام الكزة
68 ـ عبد العاطي الجرم
69 ـ عبد القادر بن طالب
70 ـ عبد الكريم صابون
71 ـ عبد الله التعايشي
72 ـ عبد الله جماع
73 ـ عبد الله السناري
74 ـ عبد الله الطوير
75 ـ عبد الله بن ياسين
76 ـ عبد النبي بن خير
77 ـ عثمان دان فودي
78 ـ عثمان دقنة
79 ـ علي خليفة الزائدي
80 ـ علي السني
81 ـ علي الصيد المرزوقي
82 ـ علي بن يحيى المسوفي
83 ـ علي كلة
84 ـ علي ولد ميارة
85 ـ عمارة دونقس
86 ـ عمر الغول
87 ـ عمر المختار
88 ـ عمر تال
89 ـ غومة المحمودي
90 ـ غيلان
91 ـ فهرن بن الأنصار
92 ـ قجة بن عبد الله
93 ـ ليج إياسو
94 ـ الشيخ ماء العينين
95 ـ محمد اخنوخن
96 ـ محمد الأخضر السائحي
97 ـ محمد الأمين الباقرمي
98 ـ محمد الأمين درامي
99 ـ محمد الأمين العموري
100 ـ محمد الأمين الكانمي
101 ـ محمد الأمين بن زيني القلقمي
102 ـ محمد الجروي الأزهري
103 ـ محمد الخضر حسين
104 ـ محمد بن عبد الله
105 ـ محمد الدغباجي
106 ـ محمد العيد آل خليفة
107 ـ الشيخ محمد المامي
108 ـ محمد المختار بن حود الأنصاري
109 ـ محمد المرزوقي
110 ـ محمد المهدي السوداني
111 ـ محمد اسكيا
112 ـ محمد بن الحاج
113 ـ محمد بن مختار الكنتي
114 ـ محمد بن سعيد البوصيري
115 ـ محمد بن سيديا
116 ـ محمد بن شروم
117 ـ محمد صالح
118 ـ محمد بن عائشة
119 ـ محمد بن عبد الكريم المغيلي
120 ـ محمد بن عبد الله البوسيفي
121 ـ محمد بن عيسى
122 ـ محمد بن فاطمة
123 ـ محمد سوف المحمودي
124 ـ محمد بن عبد الله السني
125 ـ محمد عثمان الميرغني
126 ـ محمد كاوصن
127 ـ محمد محمود بن تلاميد الشنقيطي
128 ـ سيدي محمد ولد امهمد
129 ـ القاضي محمد يحيى الدنبجة
130 ـ مختار ولد حامدون
131 ـ المرابط بن أحمد فال
132 ـ مزدلي بن تيولتكان
133 ـ منصور الهوش
134 ـ موسى دمرقوما
135 ـ الشيخ نمر الجعلي
136 ـ هم بن محمد الأنصاري
137 ـ هنون ولد بوسيف
138 ـ يحيى بن ابراهيم الكدالي
139 ـ يحيى بن عمر اللمتوني
140 ـ يوسف بن تاشفين
141 ـ يوسف بن محمد النحوي
142 ـ يوسف بورحيل

# المحتويات

الصفحة

الإهداء ........ 3
تمهيد ........ 5
1 ـ الشيخ ابراهيم انياس ........ 9
2 ـ أبو القاسم بن أحمد البصير ........ 10
3 ـ بلقاسم خيشي ........ 11
4 ـ أبو بكر غرس الله ........ 12
5 ـ أبو بكر بن عمر اللتموني ........ 13
6 ـ أبو بكر قرزة ........ 14
7 ـ أحمد بن ابراهيم ........ 15
8 ـ أحمد آمود ........ 17
9 ـ أحمد الباسل ........ 18
10 ـ أحمد البكاي بن محمد ........ 19
11 ـ أحمد التنجوري ........ 21
12 ـ أحمد الشريف السنوسي ........ 22
13 ـ أحمد المريض ........ 24
14 ـ الشيخ أحمد الهيبة (السلطان الأخضر) ........ 25
15 ـ أحمد بابا التينبكتي ........ 27
16 ـ أحمد بن الأمين الشنقيطي ........ 29
17 ـ أحمد سالم بن السالك ........ 31
18 ـ أحمد سيف النصر ........ 33

19 ـ سيدي أحمد ولد أحمد ولد عيدّة ........................................ 35
20 ـ أحمدو لوبو ........................................ 37
21 ـ ادريس بن علي ........................................ 38
22 ـ أسماء بنت الشيخ عثمان ........................................ 39
23 ـ أمحمد بن أحمد يورة ........................................ 40
24 ـ أمحمد بن محمد اليعقوبي ........................................ 42
25 ـ الإمام بن محمد الفغ الجكني ........................................ 48
26 ـ البراني الساعدي ........................................ 50
27 ـ الخليفة ولد محمد ........................................ 52
28 ـ والده بن محمد بن الطالب عبيدي ........................................ 53
29 ـ الفضيل بوعمر ........................................ 54
30 ـ المبروك الغدي ........................................ 55
31 ـ المبروك المنتصر الترهوني ........................................ 56
32 ـ الشيخ سيدي المختار الكنتي ........................................ 58
33 ـ المهدي السني ........................................ 60
34 ـ آلّه بشير ........................................ 61
35 ـ الولي مصطفى السيد ........................................ 62
36 ـ بشير بن أسديره ........................................ 63
37 ـ بكار ولد سويدي أحمد ........................................ 65
38 ـ بوشيري بن سالين ........................................ 66
39 ـ حامد ادريس عواتي ........................................ 67
40 ـ حبيب الله بن عابدين الكنتي ........................................ 69
41 ـ حمه بن اخليفه ........................................ 70
42 ـ أحمد بن محمد المرجبي ........................................ 70
43 ـ خليفة وردة ........................................ 72
44 ـ خناثة بنت بكار ........................................ 73
45 ـ ديلول ........................................ 74

46 ـ رابح بن فضل الله ........ 75
47 ـ زيد بن الطاهر ........ 78
48 ـ سالم بن عبد النبي الزنتاني ........ 79
49 ـ ساموري توري ........ 81
50 ـ سعد بن عون ........ 82
51 ـ سعد فريعيس ........ 83
52 ـ سعيد الدبابي ........ 84
53 ـ الشيخ سيديا ........ 85
54 ـ سيدي بن خليل ........ 87
55 ـ سير بن أبي بكر ........ 88
56 ـ شبُو ........ 89
57 ـ صالح الأطيوش ........ 90
58 ـ صالح بن محمد الفلاني ........ 91
59 ـ طارق الافريقي ........ 92
60 ـ عابدين الكنتي ........ 97
61 ـ عبد الجليل سيف النصر ........ 98
62 ـ عبد الحميد العبار ........ 99
63 ـ عبد الرحمن البوصيري ........ 101
64 ـ عبد الرحمن تاقامة ........ 102
65 ـ عبد الرحمن بن عبدالله بن عمران ........ 103
66 ـ عبد السلام الكزّة ........ 104
67 ـ عبد العاطي الجرم ........ 105
68 ـ عبد القادر بن طالب ........ 106
69 ـ عبد الكريم صابون ........ 108
70 ـ عبدالله التعايشي ........ 108
71 ـ عبدالله جمّاع ........ 109
72 ـ عبدالله السناري ........ 110

73 ـ عبدالله الطوير ........ 111
74 ـ عبدالله بن ياسين ........ 112
75 ـ عبد النبي بن خير ........ 113
76 ـ الشيخ عثمان دان فودي ........ 115
77 ـ عثمان دقنة ........ 117
78 ـ علي خليفة الزائدي ........ 117
79 ـ علي السنّي ........ 121
80 ـ علي الصيد المرزوقي ........ 122
81 ـ علي بن يحيى المسوفي ........ 123
82 ـ علي كلة ........ 125
83 ـ علي ولد ميارة ........ 126
84 ـ عمارة دونقس ........ 127
85 ـ عمر الغول ........ 128
86 ـ عمر المختار ........ 130
87 ـ الحاج عمر تال ........ 133
88 ـ غومة المحمودي ........ 134
89 ـ غيلان ........ 137
90 ـ فهرون بن الأنصار ........ 138
91 ـ قجة بن عبدالله ........ 139
92 ـ ليج إياسو ........ 140
93 ـ الشيخ ماء العينين ........ 143
94 ـ محمد أخنوخن ........ 145
95 ـ محمد الأخضر السائحي ........ 146
96 ـ محمد الفاسي ........ 148
97 ـ محمد الأمين درامي ........ 150
98 ـ محمد الأمين العموري ........ 151
99 ـ الشيخ محمد الأمين الكانمي ........ 153

100 ـ محمد الأمين بن زيني القلقمي الشنقيطي ........ 154
101 ـ الشيخ محمد الجروي الأزهري ........ 155
102 ـ محمد الخضر حسين ........ 156
103 ـ محمد بن عبدالله بن حسن ........ 157
104 ـ محمد الدغباجي ........ 159
105 ـ محمد العيد آل خليفة ........ 160
106 ـ الشيخ محمد المامي ........ 162
107 ـ محمد المختار بن حوّد الأنصاري ........ 163
108 ـ محمد المرزوقي ........ 164
109 ـ محمد المهدي السوداني ........ 167
110 ـ محمد أسكيا ........ 168
111 ـ محمد بن الحاج ........ 170
112 ـ محمد بن المختار الكنتي ........ 171
113 ـ محمد بن سعيد البوصيري ........ 171
114 ـ محمد بن سيديا ........ 172
115 ـ محمد بن شروم ........ 174
116 ـ محمد صالح بن أختوخن ........ 175
117 ـ محمد بن عائشة ........ 179
118 ـ محمد بن عبدالكريم المغيلي ........ 180
119 ـ محمد بن عبدالله البوسيفي ........ 181
120 ـ محمد بن عيسى سوار الذهب ........ 182
121 ـ محمد بن فاطمة ........ 183
122 ـ محمد سوف المحمودي ........ 183
123 ـ محمد عبدالله السني ........ 187
124 ـ محمد عثمان الميرغني ........ 190
125 ـ محمد كاوصن ........ 191
126 ـ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي ........ 192

127 ـ سيدي محمد ولد أمهمد ........ 193
128 ـ القاضي محمد يحيى بن محمد الدنبجة ........ 194
129 ـ مختار ولد حامدون ........ 196
130 ـ المرابط بن أحمد فال ........ 198
131 ـ مرذلي بن تيولتكان ........ 200
132 ـ منصور الهوش ........ 201
133 ـ موسى دمقرقوما ........ 203
134 ـ الشيخ نمر الجعلي ........ 204
135 ـ همّ بن محمد الأنصاري ........ 206
136 ـ هنون ولد بوسيف ........ 207
137 ـ يحيى بن ابراهيم الكدالي ........ 209
138 ـ يحيى بن عمر اللتموني ........ 210
139 ـ يوسف بن تاشفين ........ 210
140 ـ يوسف بن محمد بن النحوي ........ 212
141 ـ يوسف بورحيل ........ 215
المصادر والمراجع ........ 217
المخطوطات ........ 219
فهرس الأعلام ........ 221

# أعـلام من الصّحراء

جمعت هذه الثلة من الأعلام من الصحراء العربية الكبرى في تواريخ أنجبتهم مختلفة . وفي أزمنة متباعدة وفي مهام متباينة. ومع ذلك جميعهم جاهدوا من أجل علو شأن أمتهم فاكتسبوا المجد والخلود. واقتصرت في جمعي لهؤلاء الأعلام على الصحراء العربية الافريقية ولم أتطرق لشخصيات أخرى فذة نشأت وترعرعت وسطرت تاريخ أمتها في صحراء العرب بالجزيرة العربية من القسم العربي الآسيوي لأن ذلك القسم شبع دراسة وبحثاً وكتابة على مدى عصور التاريخ.

أوردت هؤلاء الأعلام لأن أكثرهم لم يكن معروفاً لدى إخوتهم العرب.

ولأن وطنهم الكبير في الصحراء الافريقية العربية الكبرى لم تدرج ضمن خرائط العرب لأوطانهم لأن الاستعمار أرادها أن تكون غير عربية. وأرادها أبطال العرب أن لا تنفصم من أمة عمّرتها منذ الآف السنين.

دار المـلتـقى للطباعة والنشر